



المُقدِّمةُ الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا حِدَّ لَهُ

وَشُكْرًا لَا عَدَّ لَهُ

كَمَا تَسْتَحِقُّهُ ذَاتَهُ الْمَقْدَسَةَ جَلًّا وَعِلًّا

الَّذِي خَلَقَ الْوُجُودَ وَعَالَمَ الْخَلْقِ سَبَبًا تَكَامِلُ وَجُودَ الْإِنْسَانِ

وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ لِعِبَادَةِ ذَاتِهِ الْمَقْدَسَةِ.^١

^١ هناك بعض الآيات في القرآن الكريم وردت في سياق هذا المعنى؛ مثل الآية: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}. (صدر الآية ٢٠، من سورة لقمان) والآية: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}. (صدر الآية ١٣، من سورة الجاثية) والآية: {وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ}. (صدر الآية ٣٣، من سورة إبراهيم) والآية: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}. (صدر الآية ٢٩، من سورة البقرة). وقد جاء في الحديث القدسي: "عَبْدِي! خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ؛ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي". (كلمة الله، ص ١٦٩، عن «مشارق أنوار اليقين» لحافظ رجب البرسي).

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ١.

و لا يمكن معرفة حقيقة العبادة دون معرفة حقيقة العبوديّة. لذا فإنّ معرفة ذاته سبحانه و تعالى و أسمائه الحسنی و صفاته العليا هي من جملة العلل الغائيّة و النهائيّة لوجود عالم التكوين.

و أمّا الغاية القصوى و الهدف الأعلى من تلك المعرفة، فهي الخضوع و الخشوع للحيّ القيّوم و الاضطباع بصبغة العبوديّة، و ارتداء لباس الذلّ و المسكنة في مقابل عزّ كبريائه، و رؤية جميع عوالم الوجود كآية و مرآة

١ الآية ٥٦، من السورة ٥١: الذاريات.

لذات الحقّ، و الخروج من قيود الغرور، و الوصول
إلى ذروة الإقرار و الاعتراف بالفناء و الزوال و الاندكاك
في ذات الحقّ المقدّسة:

{ وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَ قَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ

ظُلْمًا }^١.

و التحيّات الزاكيات و الصلوات المباركات على
الأنبياء العظام و ملائكة الملائكة الأعلى، الذين أنقذوا بني
البشر من سجن السبعيّة و البهيمة و الشيطنة، و ذلك من
خلال المساهمة في إيصال الوحي إليهم، و الذين عرفوهم
سبل معرفة العبوديّة، و جعلوهم قابلين و مستعدّين
للاستفادة من جميع المواهب الربّانيّة و المتّع السبحانيّة.
و بالخصوص على سيّد الرسل و هادي السبل و عقل
الكلّ، بداية البدايات و نهاية النهايات، سيّدنا محمّد ابن
عبد الله صلى الله عليه و آله و سلّم، و على صنوه و شقيقه
و وصيّيه و وزيره و صهره و وليّه و أخيه و خليفته، علي بن
أبي طالب أمير المؤمنين السابق في إيمانه، و المتربّع على

^١ الآية ١١١، من السورة ٢٠: طه.

كرسيّ مقام عزّ ذي الجلال، و ناشر لواء الحمد بيده، و نائل
المقام المحمود للشفاة الكبرى.

و على ذريّتهم الطاهرة، الأئمّة المعصومين سلام الله
عليهم أجمعين، لا سيّما مولانا بقيّة الله في الأرضين الحجّة
ابن الحسن العسكريّ أرواحنا فداه، الإمام الحيّ، و
الواسطة للفيض الإلهيّ، و مُفيض الرحمة و الوجود من
العالم الأعلى و ناشرها على الماهيّات الإمكانية، و باسط
نور الرحمة الإلهية من مقام غيب الغيوب و الكنز المخفيّ،
على النفوس العالمية، كلّ حسب قابليّته و استعداده.

{ وَ إِن مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا

بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ }

و منزل خزائن الجود و الرحمة حسب إرادة الحقّ
تبارك و تعالى و مشيئته على كلّ ذرّة من ذرّات ماهيّات عالم
الوجود، و موزّع ذلك عليها كلّ حسب قوّته و ما قُدّر له
منها.

{ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي

زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ }

نعم، فمنذ عودة هذا الحقير المسكين من النجف
الأشرف في شهر شوال المكرّم سنة ١٣٧٦ هـ وحتى هذا
التأريخ، وهو شهر ربيع الأوّل من عام ١٤٠٠ هـ، كان
محور البحث الذي دار بيني وبين الأشقاء والروحانيّين
الأعزّاء وسادة الإيمان، على أساس تفسير اي القرآن و
البحث و التنقيب في الروايات الواردة عن المعصومين
صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين، و كانت في أحيان
كثيرة تتّضح مسألة تطابق الآيات القرآنيّة و الأخبار
النبويّة مع الحقائق، سواءً من ناحية الاستدلال الفكريّ و
الذهنيّ، أم من الناحية الوجدانيّة و مشاهدة الضمير، و
ذلك باستخدام البحوث الفلسفيّة

و العلميّة من جهة، و المحاورات الذوقيّة و العرفانيّة
من جهة أخرى.

و لقد كانت لنا في مرّات عديدة و أوقات مختلفة
بحوث خاصّة بمسألة التوحيد و الولاية و المعاد، و
تفسير الكثير من الآيات القرآنيّة و العديد من المسائل
الفقهية و العلميّة.

و مع وجود التفاسير الكثيرة و البالغة أكثر من ثلاثين نوعاً، فقد اعتمدنا أكثر ما اعتمدنا على تفسير «الميزان في تفسير القرآن» تأليف سماحة الاستاذ آية الله العظمى العلامة السيد محمد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ أمد الله في ظلاله السامية، و كان ملاذنا في البحث و التدقيق. و للتفسير المذكور مكانة سامية و معزة عالية في نفس الحقير، و إنّه لذو معلّم خاصّ و فريد بين التفاسير الأخرى.

و لذا، فقد استقرّ رأينا على تهيئة سلسلة كاملة من التفسير المشار إليه و ذلك باللغة الفارسيّة و بإنشاء سهل و تحرير مُدرّك و سلس، يحوي جميع المواضيع المذكورة فيه، حتى يتسنى للإخوة الناطقين باللغة الفارسيّة الاستفادة كما يجب و بأقصى ما يمكن من ينابيع «تفسير الميزان».

ثمّ رسا بنا المقام، و لأسباب معيّنة، إلى تأليف رسالة مستقلة عن كلّ من المواضيع المتعلقة بالأبحاث العقائديّة و الأحكام التبعديّة و المسائل الأخلاقيّة و

الاجتماعية، حتى يتم بحث كل موضوع من تلك
المواضيع بتفصيل أكثر و إطناب أوسع، تُستوفي فيه
متعلقات ذلك الموضوع كافة، فتزول بذلك كل
الإشكالات و الشبهات و الأسئلة، و تتضح جميع جوانب
ذلك الموضوع بشكل كامل و وافي.

و كان مجموع ما بلغ من تلك الرسائل حتى الآن
حوالي مائة رسالة، كرسالة إعجاز القرآن، و إعجاز
الأنبياء، و رسالة الشفاعة، و رسالة الولاية، و رسالة
الإمامة و الزعامة، و رسالة النبوة، و رسائل متفرقة في
أحوال و سيرة

الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، ورسالة
في البرزخ، ورسالة في القيامة، ورسالة في الحشر وقيام
الإنسان عند الله، ورسالة الميزان، ورسالة الصراط، و
رسالة العبودية في الإسلام، ورسالة الصلاة، ورسالة
الوجوبين العيني والتعيني لصلاة الجمعة في جميع
الأزمنة، ورسالة الصيام، ورسالة الحج، ورسالة الجهاد
والحكومة، ورسالة القرض الحسن والربا، ورسالة
الملكية وطرقها المشروعة وغير المشروعة، ورسالة
الحقوق العامة، ورسالة حقوق المرأة، وغير ذلك من
البحوث الدينية والعلمية، والتي هي صلب ما يحتاج
إليها شبابنا في العصر الحاضر وأجيالنا في المستقبل.

لكن، و مما يؤسف له، لم يُنجز من تلك الرسائل إلا
النزر اليسير و ذلك لكثرة الشواغل العلمية و الامور
الاجتماعية التي كانت تاحيط بي، و التي حالت دون
وصولي إلى الهدف المنشود.

إلا أن العناية الإلهية شملتني، فتمكنت من جمع
المواضيع القرآنية و التفاسير الروائية و العلمية و

الاجتماعية و التاريخية و الأخلاقية على شكل سلسلة علمية سميتها «دورة علوم و معارف اسلام» (سلسلة العلوم و المعارف الإسلامية) بحثت فيها تلك المواضيع و وضعتها بين يدي الإخوة الأعزاء، فلم تقل أهمية عن ذلك الهدف المنشود.

و هذه السلسلة من العلوم، هي من قسم العقائد و تنقسم إلى ثلاثة محاور رئيسة هي: معرفة الله، و معرفة الإمام، و معرفة المعاد، و تعالج ثلاثة مواضيع مهمة: مسألة التوحيد و الولاية و المعاد.

و أمّا في أقسام الأحكام و المسائل فتشمل أبحاثاً حول القرآن و الصلاة و الصوم و الحجّ و المسجد و الدعاء و الربا و رؤية الهلال في شهر رمضان و لزوم اشتراك الآفاق بالنسبة إلى الدخول في الشهر الجديد، و حول

جهاد و قضاء و حكومة المرأة، و تفسير الآية
الكريمة {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ} و بعضاً من
الأحكام الأخرى و التي تمّ تأليف معظمها، و سيتمّ
وضعها بين يدي القراء لدراستها و مطالعتها إن شاء الله
تعالى. و هذا هو القسم الأوّل من سلسلة العلوم و
المعارف الإسلاميّة «معرفة الله».

و أصل هذه الأبحاث مأخوذ من تفسير الآية
المباركة {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، حتى آخر الآية
الكريمة {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

و قد تمّ فيها معالجة مسألة التوحيد الذاتيّ و الأسمائيّ
و الأفعاليّ لذات الحقّ المقدّسة، و كنيّة وجود عالم
الخلق، و الربط بين الحادث و القديم، و نزول نور الوجود
في ظواهر الإمكان، و حقيقة الولاية و ربط الموجودات
بذات البارئ تعالى، و لقاء الله و الوصول إلى ذاته
المقدّسة بالفناء و باندكاك الكينونة المجازيّة المُعارة في
الوجود المطلق و الكينونة الأصليّة الحقيقيّة.

نَسَأَلُ اللّهُ الرَّبَّ الوُدودَ وَ المَنَّانَ أَن يوفِّقنا في إنجاز

هذه المهمة التي نسعى جاهدين في إتمامها، دون أن ندّخر

أيّ جهد و وسع في سبيل ذلك، و أن يتقبّل منا هذا العمل

البسيط بكرمه و فضله، و أن يسدّد خطانا بجوده و منه.

"إِلَهِي... وَ أَحِقْنَا بِعِبَادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالْبِدَارِ إِلَيْكَ

يُسَارِعُونَ، وَ بَابِكَ عَلَى الدَّوَامِ يَطْرُقُونَ، وَ إِيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَ

النَّهَارِ يَعْبُدُونَ، وَ هُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ؛ الَّذِينَ صَفَّيْتَ

هُمُ الْمَشَارِبَ، وَ بَلَّغْتَهُمُ الرَّغَائِبَ، وَ أَنْجَحْتَ لَهُمُ

الْمَطَالِبَ، وَ قَضَيْتَ لَهُمُ مِنْ فَضْلِكَ الْمَآرِبَ، وَ مَلَأْتَ لَهُمُ

ضَمَائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ، وَ رَوَيْتَهُمْ مِنْ صَافِي شَرِبِكَ؛ فَبِكَ إِلَى

لَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ وَصَلُّوا، وَ مِنْكَ أَقْصَى مَقَاصِدِهِمْ

حَصَلُوا".

إلهي! سهّل لنا سبلك حتى لا نرى غيرك و لا نعرف

أحداً سواك. و أوصل ذاتنا و كياننا إلى مقام الفناء، حتى

تندم كلّ ذرّة من الأنانيّة و العجب في وجودنا، فنكون

عبداً خالصين مخلصين لك العبوديّة، بمحمّد و آله

الطاهرين صلواتك و تسليّاتك عليهم أجمعين، و السلام
علينا و على عباد الله الصالحين، و الحمد لله ربّ العالمين.

في تاريخ ربيع المولود سنة ١٤٠٠ هجرية

السيد محمد الحسين الحسيني الطهرانيّ

المقدمة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم
الصلاة والسلام على الرسول الأمين
خاتم الأنبياء والمرسلين محمد،
وعلى الوصي غرة الدين،
وعلى أولاده الأماجد الأجداد الطاهرين،
واللعنة والحزني من رب العالمين على أعدائهم و
معانديهم و غاصبي حقهم من الآن إلى يوم الدين.

كما لاحظتم في المقدمة الاولى، فقد صمّم الحقير في
شهر ربيع الأوّل من سنة ١٤٠٠ هـ على تأليف و كتابة
القسم الأوّل من سلسلة العلوم و المعارف الإسلامية، و
هو «معرفة الله»، و نشر أجزاءه بالتتابع بحول الله و قوّته،

و الشروع في بقية أقسام العلوم و المعارف التي ذُكرت
أنفاً، لكنّ الله سبحانه لم يشأ لذلك أن يتمّ.

فوفِّقْتُ بعد ذلك بشهرين من نفس السنة، اي في يوم
السادس و العشرين من شهر جمادي الأولى، بالسفر إلى
مدينة مشهد المقدّسة، و تشرّفْتُ بتقبيل عتبة الإمام الهمام،
و اكتحلت عيناى بتراب أقدام زائري ثامن الأئمة علي بن
موسى الرضا عليهما السلام و على آبائهما و أولادهما جميع
صلوات الله و ملائكته المقربّين و أنبيائه المرسلين و
عباده الصالحين، من الآن إلى قيام يوم الدين، و ألقيتُ
رحال الفاقة على أعتابه المحروسة بالملائكة، متوسّلاً
بساحة قدسه و طهارته و علوّ درجاته، معترفاً مدعناً
بفقري و عجزى و عدم قدرتي على تحديد صلاحى و
فسادى، و عدم معرفتى طريق الحقّ من الباطل، طالباً
الشفاعة و العون منه، في أن

يأخذ الله جلّت عظمته و علت آلاؤه بيدي، و أن
يُنَجِّينِي من هزائز آخر الزمان و فتنه، و لا يَكَلِّني إلى نفسي
طرفة عين أبداً، و الله المستعان.

فتقبّل مولاي روعي فداه ذلك منّي، و سكب لي
بعظمته و كرامته كأس رحمته برعايته الدائمة لي على أتمّ
وجه و أكمل نحو، و ليس بمقدار استجدائي منه.

و من جملة ما قُدِّرَ بالقلم أمر تأخير خروج سلسلة
«معرفة الله» خمس عشرة سنة، و ها هو ذا غرّة شهر ربيع
المولود من سنة ألف و أربعمائة و خمسة عشر للهجرة قد
طلعت، حيث وُفِّقْتُ للبدء بذلك، و لا عِلْمَ لي في مقدار
ما قُدِّرَته لي روعي من العون و قلّمي من القدرة، الله
وحده أعلم!

يقول مولى الموحّدين و سيّد قلوب العاشقين أمير

المؤمنين عليه السلام:

"عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَ حَلِّ الْعُقُودِ وَ

نَقْضِ الْهَمَمِ".^١

خاطب الحقير يوماً استاذنا ساحة العلامة
الطباطبائي قدس الله سرّه الزكيّ: كثيراً ما يصمّم الإنسان
على فعل الخير، و تتوفر له الظروف و المسبّبات لإنجاز
ذلك، و لم يملك أدنى شكّ في حُسن و خلوص ذلك
العمل، فيجدّ في تنفيذ ذلك الفعل، حتى يصل إلى مرحلة
الجزم و الإرادة القطعيّة، ثمّ و بدون أيّة علّة و لا سبب،
يُثني ذلك الإنسان نفسه عن تنفيذ ذلك العمل و ينصرف

^١ «نهج البلاغة» الحكمة ٢٥٠؛ و في طبعة صبحي الصالح - بيروت، الطبعة
الثانية، سنة ١٣٨٧، الصفحة ٥١١؛ و يقول في ص ٧٢١ ضمن شرحه لمعاني
«النهج»: العزائم: جمع عزيمة، و هي ما يصمّم الإنسان على فعله؛ و فسخ
العزائم: نقضها. العقود: جمع عقد بمعنى النية، تنعقد على فعل أمرٍ.

عن إنجازهِ! و بعد ذلك يعتريه العَجَب و تتابه
الدهشة في حصول كل ذلك؟! و يتساءل عن منشأ المانع
الذي تسبب في عدوله عن نيته؟! فلا يصل إلى حلّ و لا
يقترّب من شاطئ الأمان.

فأجاب الاستاذ على ذلك بجملة واحدة فقط قائلاً:

«نعم، هو ما تقول!».

و رُمتُ أنا الحقير في البدء على تأليف سلسلة «معرفة

الله» و تقديمها على جميع البحوث العقائدية، من مبحث

«معرفة الإمام» و مبحث «معرفة المعاد» و سائر الأبحاث

الفلسفية و العرفانية و الأخلاقية و العلوم و الفقه و

التاريخ و التفسير، ذلك بأنّ الله هو الأوّل، و هو المُقدّم

على عالم الوجود بالتقدّم التكويني، فاستوجب الأمر أن

يكون مُقدّماً كذلك في التأليف. إلّا أن الله لم يشأ و لم

يرغب، فقد تمّ خلال مدّة الخمس عشرة سنة هذه بحمده

و منه تأليف القسم الخاصّ بـ «معرفة الإمام» في ثمانية عشر

جزءاً، و القسم الخاصّ بـ «معرفة المعاد» في عشرة أجزاء،

هذا ما يخصّ سلسلة المعارف. و أمّا ما يخصّ سلسلة

العلوم في قسم الأخلاق و الحِكْمَة و العرفان، فقد تمّ
تأليف: «رسالة السير و السلوك المنسوبة إلى بحر العلوم»
مع مقدّمة و تعليق من قِبَل الحقير، و «رسالة لبّ اللُّباب
في سير و سلوك اولي الألباب»، و كتاب «التوحيد العلميّ
و العينيّ»، و «الشمس الساطعة»، و «الروح المجرّد»، و
ما يخصّ قسم البحوث التفسيرية: «رسالةٌ بديعةٌ» ترجمة
«رسالة جديدة»؛ و ما يخصّ قسم البحوث العلمية و
الفقهية: «رسالةٌ حولَ مسألةِ رُؤيةِ الهلال»، و كتاب
«وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام»، و كتاب
«ولاية الفقيه في حكومة الإسلام» في أربعة أجزاء، و كتاب
«نور ملكوت القرآن» في أربعة أجزاء من سلسلة أنوار
الملكوت، و «رسالة مسوّدَة القانون الأساسي»، و كتاب
«نظرة على مقالة

بسط و قبض نظريّة الشريعة للدكتور عبد الكريم

سروش»، و «الرسالة النكاحيّة: تحديد النسل ضربة

قاصمة لكيان المسلمين»؛ و في قسم الأبحاث التاريخيّة:

«لمعاتُ الحسين عليه السلام»، و «الهدية الغديرية:

رسالتان قائمة و مشرقة». و قد تمّ طبع و نشر أغلب هذه

المؤلّفات.

و الآن نشرع، بحول الله و قوّته، في كتاب «معرفة

الله»؛ {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}.

البَحْثَانُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي: تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ
وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ
عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ^١؛

^١ سورة النور (٢٤) الآية ٣٥.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

تفسير العلامة الطباطبائي آية النور

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ
وَلَا غَرْبِيَّةٍ (بل هي في وسط الصحراء تظلها السماء،
تكتسب من الشمس و الهواء و الأرض) يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُوْرٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ

(إلى منزل قربه) مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ (و تلك المشكاة- أو المؤمنون
 الذين اهدوا بنور الله تعالى) فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ
 وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾
 رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ
 الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ
 الْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُم مِّنْ
 فَضْلِهِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾^١

تفسير العلامة الطباطبائي: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

قال استاذنا الأعظم العلامة آية الله الطباطبائي قدس
 الله سرّه في تفسير هذه الآيات و الآيات التي تليها و
 الخاصّة بوصف الكافرين:

«تتضمّن الآيات مقايسة بين المؤمنين بحقيقة الإيمان
 و الكفار، تميّز المؤمنين منهم بأنّ المؤمنين مهديّون
 بأعمالهم الصالحة إلى نور من ربّهم يفيدهم معرفة الله
 سبحانه و يسلك بهم إلى أحسن الجزاء و الفضل من الله

^١ الآيات ٣٥ إلى ٣٨، من السورة ٢٤: النور.

تعالى يوم ينكشف عن قلوبهم و أبصارهم الغطاء، و الكفار لا تسلك بهم أعمالهم إلا إلى سراب لا حقيقة له، و هم في ظلمات بعضها فوق بعض و لم يجعل الله لهم نوراً فما لهم من نور.

و قد بين سبحانه هذه الحقيقة بأن له تعالى نوراً عاماً تستنير به السماوات و الأرض فتظهر به في الوجود بعد ما لم تكن ظاهرة فيه، فمن البين أن ظهور شيء بشيء يستدعي كون المظهر ظاهراً بنفسه و (الظاهر بذاته المظهر لغيره هو النور)، فهو تعالى نور يظهر السماوات و الأرض بإشراقه عليها، كما أن الأنوار الحسية تُظهر الأجسام الكثيفة للحس بإشراقها عليها غير أن ظهور الأشياء بالنور الإلهي عين وجودها و ظهور الأجسام الكثيفة بالأنوار الحسية غير أصل وجودها.

و نوراً خاصاً يستنير به المؤمنون و يهتدون إليه بأعمالهم الصالحة و هو نور المعرفة الذي سيستنير به قلوبهم و أبصارهم يوم تتقلب فيه القلوب و الأبصار فيهتدون به إلى سعادتهم الخالدة فيشاهدون فيه شهود

عيان ما كان في غيب عنهم في الدنيا، و مثلّ تعالى هذا النور
بمصباح في زجاجة في مشكاة يشتعل من زيت في نهاية
الصفاء فتتألأ الزجاجة كأنها كوكب دريّ فتزيد نوراً على
نور، و المصباح موضوع في بيوت العبادة التي يسبح الله
فيها رجال من المؤمنين لا تلهيهم عن ذكر ربهم و عبادته
تجارة و لا بيع.

فهذه صفة ما أكرم الله به المؤمنين من نور معرفته

المتعقب للسعادة

الخالدة، و حرّمه على الكافرين و تركهم في ظلمات لا يُبصرون، فخصّ من اشتغل برّبّه و أعرض عن عرض الحياة الدنيا بنور من عنده، و الله يفعل ما يشاء له الملك و إليه المصير.

و قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ} - إلى آخر الآية.

المشكاة على ما ذكره الراغب و غيره: كُوَّةٌ غَيْرُ نَافِذَةٍ
و هي ما يتخذ في جدار البيت من الكوّة لوضع بعض الأثاث كالمصباح و غيره عليه و هو غير الفانوس.
و الدرّيّ: من الكواكب، العظيم الكثير النور، و هو معدود في السماء. و الإيقاد: الإشعال، و الزيت: الدهن المتخذ من الزيتون.

و قوله: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ}، النور معروف و هو الذي يظهر به الأجسام الكثيفة لأبصارنا، فالأشياء ظاهرة به و هو ظاهر مكشوف لنا بنفس ذاته، فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات للبصر. هذا أوّل ما وُضع عليه لفظ النور، ثمّ عمّم لكلّ ما

ينكشف به شيء من المحسوسات على نحو الاستعارة أو الحقيقة الثانية فعدّ كل من الحواسّ نوراً أو ذا نور يظهر به محسوساته كالسمع أو الشمّ و الذوق و اللمس، ثمّ عمّم لغير المحسوس فعدّ العقل نوراً يظهر به المعقولات، كل ذلك بتحليل معنى النور المبصر إلى الظاهر بذاته المظهر لغيره.

و إذ كان وجود الشيء هو الذي يظهر به نفسه لغيره من الأشياء كان مصداقاً تاماً للنور، ثمّ لما كانت الأشياء الممكنة الوجود إنّما هي موجودة بإيجاد الله تعالى كان هو المصداق الأتمّ للنور، فهناك وجود و نور يتّصف به الأشياء، و هو وجودها و نورها المستعار المأخوذ منه تعالى، و وجود و نور قائم بذاته يوجد و يستنير به الأشياء. فهو سبحانه نور يظهر به السماوات و الأرض، و هذا هو المراد بقوله:

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، حيث اضيف النور

إلى السماوات و الأرض ثم حمل على اسم الجلالة، و على هذا ينبغي أن يُحمل قول من قال: أن المعنى الله مُنَوَّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، و عمدة الغرض منه أن ليس المراد بالنور النور المستعار القائم بها و هو الوجود الذي يُحمل عليها تعالى الله عَنْ ذَلِكَ وَ تَقَدَّسَ.

و من ذلك يستفاد أنه تعالى غير مجهول لشيء من الأشياء، إذ ظهور كل شيء لنفسه أو لغيره إنما هو عن إظهاره تعالى، فهو الظاهر بذاته له قبله، و إلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى بعد آيتين: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ}، إذ لا معنى للتسبيح و العلم به و بالصلاة مع الجهل بمن يصلون له و يسبحونه، فهو نظير قوله:

{وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}، (الآية ٤٤، من السورة ١٧:

الإسراء)، و سيوافيك البحث عنه إن شاء الله.

فقد تحصّل أن المراد بالنور في قوله: {اللَّهُ نُورٌ
السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ}، نوره تعالى من حيث يشرق منه
النور العامّ الذي يستنير به كلّ شيء، و هو مساوٍ لوجود
كلّ شيء، و ظهوره في نفسه و لغيره و هي الرحمة العامّة.
و قوله: {مَثَلُ نُورِهِ} يصف تعالى نوره، و إضافة
النور إلى الضمير الراجع إليه تعالى- و ظاهره الإضافة
اللامية- دليل على أن المراد ليس هو وصف النور الذي
هو الله، بل النور المستعار الذي يفيضه، و ليس هو النور
العامّ المستعار الذي يظهر به كلّ شيء و هو الوجود الذي
يستفيضه منه الأشياء و تتّصف به، و الدليل على قوله بعد
تتميم المثل: {يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ}، إذ لو كان هو
النور العامّ لم يختصّ به شيء دون شيء، بل هو نوره الخاصّ
بالمؤمنين بحقيقة الإيمان على ما يفيد الكلام.

و قد نسب تعالى في سائر كلامه إلى نفسه نوراً كما في

قوله:

{يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ

وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}. (الآية ٨، من السورة ٦١: الصف)

و قوله: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

مِنْهَا}. (الآية ٢٢، من السورة ٦: الأنعام)

و قوله: {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ

نُورًا تَمْشُونَ بِهِ}. (الآية ٢٨، من السورة ٥٧: الحديد)

و قوله: {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى

نُورٍ مِنْ رَبِّهِ}. (الآية ٢٢، من السورة ٣٩: الزمر)

و هذا هو النور الذي يجعله الله لعباده المؤمنين

يستضيئون به في طريقهم إلى ربهم و هو نور الإيمان و

المعرفة.

و ليس المراد به القرآن كما قاله بعضهم فإن الآية

تصف حال عامّة المؤمنين قبل نزول القرآن و بعده. على

أن هذا النور وصف لهم يتصفون به كما يشير إليه قوله:

{لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ}. (الآية ١٩، من السورة ٥٧:

الحديد)

و قوله: {يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا}. (الآية ٨، من

السورة ٦٦: التحريم)

و القرآن ليس وصفاً لهم و إن لوحظ باعتبار ما

يكشف عنه من المعارف رُجع إلى ما قلناه.

تفسير العلامة الطباطبائي لقوله تعالى: كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ

و قوله: {كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي

زُجَاجَةٍ}، المُشَبَّه به مجموع ما ذكر من قوله {كَمِشْكَاةٍ

فِيهَا مِصْبَاحٌ} - إلى آخره، لا مجرد المِشْكَاة و إلا فسد

المعني، و هذا كثير في تمثيلات القرآن.

و قوله: {الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}؛ تشبيه

الزجاجة بالكوكب الدرّي من جهة ازدياد لمعان نور المصباح و شروقه بتركيب الزجاجة على المصباح فتزيد الشعلة بذلك سكوناً من غير اضطراب بتموّج الأهوية و ضرب الرياح، فهي كالكوكب الدرّي في تألؤ نورها و ثبات شروقتها.

و قوله: {يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ

و لَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَ لَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ}؛

خبر بعد خبر للمصباح، اي المصباح يشتعل آخذاً اشتعاله من شجرة مباركة زيتونة، اي أنه يشتعل من دهن زيت مأخوذ منها، و المراد بكون الشجرة لا شرقية و لا غربية أنها ليست نابتة في الجانب الشرقي و لا في الجانب الغربي حتى تقع الشمس عليها في أحد طرفي النهار و يفيء الظلّ عليها في الطرف الآخر فلا تنضج ثمرتها فلا يصفو الدهن المأخوذ منها فلا تجود الإضاءة، بل هي ضاحية تأخذ من الشمس حظّها طول النهار فيجود دهنها لكمال نضج ثمرتها.

و الدليل على هذا المعنى قوله: **{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ**
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}، فإنّ ظاهر السياق أن المراد به
صفاء الدهن و كمال استعداده للاشتعال و أن ذلك متفرّع
على الوصفين: لا شرقية و لا غربية.

و أمّا قول بعضهم: من أن المراد بقوله: **{لا شرقية**
و لا غربية}، إنّها ليست من شجر الدنيا حتى تنبت إمّا في
شرق أو في غرب، و كذا قول آخرين: أن المراد أنّها ليست
من شجر شرق المعمورة و لا من شجر غربها، بل من
شجر الشام الواقع بين الشرق و الغرب و زيته أفضل
الزيت، فغير مفهوم من السياق.

و قوله: **{نُورٌ عَلَى نُورٍ}**؛ خبر لمبتدأ محذوف و هو
ضمير راجع إلى نور الزجاجاة المفهوم من السياق، و
المعنى نور الزجاجاة المذكور نور عظيم على نور كذلك،
اي في كمال التلمّع.

و المراد من كون النور على النور قيل: هو تضاعف
النور لا تعدده فليس المراد به أنه نور معيّن أو غير معيّن
فوق نور آخر مثله، و لا أنّه مجموع نورين اثنين فقط، بل
إنّه نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه، و هذا التعبير
شائع في الكلام.

و هذا معنى لا يخلو من جودة، و إن كان إرادة التعدّد
أيضاً لا تخلو من لطف و دقّة، فإنّ للنور الشارق من
المصباح نسبة إليه بالأصالة و الحقيقة و نسبة إلى الزجاجة
التي عليه بالاستعارة و المجاز، و يتغاير النور بتغاير
النسبتين و يتعدّد بتعدّدهما و إن لم يكن بحسب الحقيقة إلا
للمصباح و الزجاجة صفر الكفّ منه، فللزجاجة بالنظر
إلى تعدّد النسب نور غير نور المصباح، و هو قائم به و
مُستمدّ منه.

و هذا الاعتبار جار بعينه في الممثلّ له، فإنّ نور
الإيمان و المعرفة نور مستعار مُشرق على قلوب المؤمنين
مقتبس من نوره تعالى قائم به و مستمدّ منه.

فقد تحصل أن الممثل له هو نور الله المشرق على
قلوب المؤمنين، و المثل هو المشبه به النور المشرق من
زجاجة على مصباح موقد من زيت جيد صاف و هو
موضوع في مشكاة، فإنّ نور المصباح المشرق من
الزجاجة و المشكاة تجمعه و تعكسه على المستنيرين به
يشرق عليهم في نهاية القوّة و الجودة.

فأخذ المشكاة للدلالة على اجتماع النور في بطن
المشكاة و انعكاسه إلى جو البيت، و اعتبار كون الدهن
من شجرة زيتونة لا شرقيّة و لا غربيّة للدلالة على صفاء
الدهن و جودته المؤثّر في صفاء النور المُشرق عن
اشتعاله و جودة الضياء على ما يدلّ عليه كون زيت
{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ}، و اعتبار كون
النور على النور للدلالة على تضاعف النور أو

كون الزجاجاة مستمدة من نور المصباح في إنارتها.
و قوله: **{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ}**؛ استئناف
يعلل به اختصاص المؤمنين بنور الإيمان و المعرفة و
حرمان غيرهم.

فمن المعلوم من السياق أن المراد بقوله: **{مَن يَشَاءُ}**
القوم الذين ذكرهم بقوله بعد: **{رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَ**
لَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ} - إلى آخره، فالمراد بـ **{مَن يَشَاءُ}**،
المؤمنون بوصف كمال إيمانهم^١.

تفسير العلامة الطباطبائي لقوله تعالى: **وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ**

و في تفسيره لـ **{وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}**، قال:
و قوله: **{وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}**؛ الفضل العطاء، و
هذا نص في أنه تعالى يعطيهم من فضله ما ليس بإزاء
أعمالهم الصالحة، و أوضح منه قوله تعالى في موضع آخر:
{لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ}، (الآية ٣٥، من
السورة ٥٠: ق)، حيث أن ظاهره أن هذا المزيد الموعود
أمر وراء ما تتعلق به مشيئتهم.

^١ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥، ص ١٣٠ إلى ١٣٥.

و قد دلّ كلامه سبحانه أن أجرهم أن لهم ما يشاؤون
قال تعالى: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} • لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ
رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}. (الآية ٣٤، من السورة
٣٩: الزمر)

و قال: {أُمُّ جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ
جَزَاءً وَ مَصِيرًا} • لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ}. (الآيتان
١٥ و ١٦، من السورة ٢٥: الفرقان)

و قال: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ}. (الآية ٣١، من السورة ١٦: النحل)

(و عليه، فإنّ المؤمنين و حدهم الذين يُثابون على
أعمالهم الصالحة التي تقع تحت إرادتهم و في قبضة
مشيئتهم.) فهذا المزيد الذي هو وراء

جزاء الأعمال أمر أعلى و أعظم من أن تتعلق به مشيئة
الإنسان أو يوصل إليه سعيه، و هذا أعجب ما يعده القرآن
المؤمنين و يبشّرهم به فأجد التدبّر فيه»^١.

و يستطرد الاستاذ العلامة قدّس الله سرّه في بحث
فلسفيّ مستقلّ كاشفاً الحقيقة المطلقة لمشيئة البارئ و
المتمثّلة بالآية ٤٥، من هذه السورة: {يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، حيث يقول:

«إنّا لا نشكّ في أن ما نجده من الموجودات الممكنة
معلولة منتهية إلى الواجب تعالى و أن كثيراً منها- و خاصّة
في الهاديّات- تتوقّف في وجودها على شروط لا تحقّق لها
بدونها كالإنسان الذي هو ابن، فإنّ لوجوده توقّفاً على
وجود الوالدين و على شرائط أخرى كثيرة زمنيّة و
مكانيّة، و إذ كان من الضروريّ كون كلّ ممّا يتوقّف عليه
جزء من علّته التامّة كان الواجب تعالى على هذا جزء علّته
التامّة لا علّة تامّة وحدها.

^١ «الميزان في تفسير القرآن» ج ٥، ص ١٤٠.

نعم، هو بالنسبة إلى مجموع العالم علة تامّة، إذ لا يتوقّف على شيء غيره، وكذا الصادر الأوّل الذي تتبعه بقية أجزاء المجموع، وأمّا سائر أجزاء العالم فإنّه تعالى جزء علته التامّة ضرورة توقّفه على ما هو قبله من العلل و ما هو معه من الشرائط و المعدّات.

هذا إذا اعتبرنا كلّ واحد من الأجزاء بحياله، ثمّ نسبنا وحده إلى الواجب تعالى.

و هاهنا نظر آخر أدقّ و هو أن الارتباط الوجوديّ الذي لا سبيل إلى إنكاره بين كلّ شيء و بين علته الممكنة و شروطه و معدّاته يقضي بنوع من الاتّحاد و الاتّصال بينها، فالواحد من الأجزاء ليس مطلقاً منفصلاً، بل هو

في وجوده المتعين مقيّد بجميع ما يرتبط به متصل
الهويّة بغيرها.

فالإنسان الابن الذي كُنّا نعتبره في المثال المتقدّم
بالنظر السابق موجوداً مستقلاً مطلقاً فنجدّه متوقّفاً على
علل و شروط كثيرة و الواجب تعالى أحدها يعود بحسب
هذه النظرة هويّة مقيّدة بجميع ما كان يعتبر توقّفه عليه
من العلل و الشرائط غير الواجب تعالى، فحقيقة زيد مثلاً
هو الإنسان ابن فلان و فلانة المتولّد في زمان كذا و مكان
كذا المتقدّم عليه كذا و كذا المقارن لوجوده كذا و كذا
من الممكنات.

فهذه هي حقيقة زيد مثلاً و من الضروريّ أن ما
حقيقته ذلك لا تتوقّف على شيء غير الواجب، فالواجب
هو علته التامة التي لا توقّف له على غيره، و لا حاجة له
إلى غير مشيئته، و قدرته تعالى بالنسبة إليه مطلقة غير

مشروطة و لا مقيدة، و هو قوله تعالى: {يَخْلُقُ اللَّهُ مَا

يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ^١.

بحث روائي للعلامة الطباطبائي في تفسير آية النور

و قد ذكر الاستاذ العلامة قدس الله ترابه في معرض

كلامه عن البحث الروائي:

«و في التوحيد و قد روي عن الصادق عليه السلام أنه

سئل عن قول الله عزّ و جلّ: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ

الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}؛ فقال: "هو

مثل ضربه الله لنا؛ فالنبيّ و الأئمة صلوات الله عليهم من

دلالات الله، و آياته التي يهتدي بها إلى التوحيد و مصالح

الدين و شرائع الإسلام و السنن و الفرائض. و لا قوّة إلاّ

بالله العليّ العظيم".

ثمّ قال:

أقول: الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق

و هو من أفضل

^١ «الميزان» ج ١٥، ص ١٤٩ و ١٥٠؛ و هذه الآية هي الآية ٤٥، من السورة

المصاديق و هو النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم و
الطاهرون من أهل بيته عليهم السلام، و إلاّ فالآية تعمّ
بظاها غيرهم من الأنبياء عليهم السلام و الأوصياء و
الأولياء.

نعم، ليست الآية بعامة لجميع المؤمنين، لأخذها في
وصفهم صفات لا تعمّ الجميع كقوله: {رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ
تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} - إلى آخره.

و في «الدرّ المثور» أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة
عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم في قوله: {زَيْتُونَةٍ لَا
شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ}؛ قال: "قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ؛ لَا يَهُودِيٍّ وَ لَا
نَصْرَانِيٍّ".

أقول: و هو من قبيل ذكر بعض المصاديق، و قد ورد
مثله من طرق الشيعة عن بعض أئمة أهل البيت عليهم
السلام كما تقدّم.

و فيه أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك و بريدة
قالا: قرأ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم هذه الآية:

{ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ }، فقام

إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟

قال: **بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ.**

فقام إليه أبو بكر فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا،

لَبَيْتُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ؟! قَالَ: **"نَعَمْ! مِنْ أَفْضَلِهَا"**!^١.

نعم، كان ذلك جزءاً من تفسير هذه الآية الشريفة من

دُرر كلام سيّدنا الأعظم و سندننا الأقوم سماحة العلامة

الأكرم حشره الله مع المقرّبين و المخلصين من أنبيائه و

أوليائه المُعظّمين، و الذي تبرّكنا به في هذا الكتاب.

^١ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥، ص ١٥٢ و ١٥٣.

و أمّا تفصيل و شرح المواضيع التي ذكرها العلامة،

و المستفاد من الآيات المذكورة، فهو على النحو التالي:

«الله» اسم جامع للكمال و الجمال و الجلال الربانيّ، و

شامل لجميع الأسماء و الصفات الكلّية و الجزئية. و لأنّ

بحثنا يرتكز على معرفة الله، لا بدّ لنا من البحث و

التمحيص في هذه الكلمة المباركة من جميع جهاتها، حتى

تنكشف لنا كلّ الامور و الجوانب المتعلقة بهذه المسألة:

من النور البحث للذات و الوجود الصّرف، حتى نور

الأسماء و الصفات الكلّية، و عبر مراتب و درجات

متفاوتة و مختلفة؛ ثمّ الوصول إلى نور الأسماء و الصفات

الجزئية، حتى الهولي المبهمّة، و هي المادّة الكثيفة القابلة

لعروض الأجناس و الفصول و الأنواع.

و علينا أن نرى كيفية نزول القديم في الحادث، و

الكلّية في الجزئية، و الأنوار المحضّة في الأنوار المشوبة

بالظلمة، و عموماً، الله في اسم الأحديّة و اسم الوحدانية.

و أن نرى كيفية نزول النور المطلق في شبكات

التعيّن، الواحدة بعد الأخرى و معنى الولاية الكلّية و

المطلقة و الذي هو واحد و يُعتبر من مختصات الله
سبحانه؟

و للبحث في هذا المقام لا غنى لنا من استمداد العون
من آية النور المباركة.

نحمد الله عزّ و جلّ على أنّنا أكملنا بحث موضوع
الولاية حتى الجزء الخامس من «معرفة الإمام» من سلسلة
العلوم و المعارف الإسلاميّة بجميع تفاصيله، بدءاً من
المعنى اللغويّ، و حتى مواطن استخدام هذه الكلمة، و
كذا كفيّة الولاية و مفاد هذه الكلمة و محتواها في الوجود
المقدّس لسيدنا خاتم الرسل و الأنبياء و المقام المقدّس
لمولانا أمير المؤمنين و الأئمّة

الطاهرين عليهم جميعاً صلوات الله و سلام أنبيائه
المرسلين و ملائكته المقربين إلى يوم الدين، و قد تمّ
بحث كلّ ذلك بالتمام و الكمال. فاتّضح معنى الولاية
التكوينيّة و الولاية التشريعيّة.

لعلّ من أهمّ الأبحاث و المواضيع و مسائل
الاصول العقائديّة هو البحث في موضوع الولاية. فمعرفة
الوليّ (صاحب الولاية) و الآثار المترتبة على الوليّ و
الولاية، و معرفة كفيّة موضوع مقام الرحمة، و إفاضة
الفيض من قبل الربّ الفيّاض في الماهيّات الإمكانية
بوساطة نفس الوليّ، و الآيات الواردة في القرآن الكريم
بهذا الصدد، و الروايات المُسلّم بها و الموثوقة و
الصحيحة المرويّة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و
آله و سلّم، كلّ ذلك يُعتبر من أعظم و أكبر المسائل
الاصوليّة.

و لقد بحثنا تفسير و معنى و شأن نزول الآية الشريفة:

{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ}. و الآثار المترتبة عليها.

و بحثنا كذلك معنى و محتوى قول الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلّم:

"يَا عَلَى! أَنْتَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ مِنْ بَعْدِي".

اعتقاد طوائف المسلمين المختلفة في أن الله هو نور السماوات و الأرض

و يا لها من آية مباركة تلك التي ذكرت في الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ}، فهي آية تنشر النور في القلوب و تُضفي على الفكر الصفاء و النقاء، و تمنح الروح قوّة و قدرة.

{اللَّهُ}، اسمٌ جامعٌ لصفات الكمال و مُنزهٌ عن صفات النقص و العيب، ينطوي على كلّ صفات الجمال و الجلال، و يمتلك صرافةً ذاتيةً محضة،

و هو لا متناهٍ في الحياة و العلم و القدرة. هو نور
السموات و الأرض. و لكن، ما معنى كونه نوراً
للسموات و الأرض؟! هل الله سبحانه نورٌ حسيّ، و
السموات و الأرض شيءٌ آخر؟! و هذا النور المحسوس
المُشاهد في السموات و الأرض هو الله..؟؟؟ على هذا،
ففي غياب السموات و الأرض و انعدام وجودهما لا
وجود لله كذلك ليكون نوراً للسموات و الأرض. و عليه
فلا وجود لله إذاً. فما معنى و مُحْصَلَة هذا الافتراض في
تلك الآية؟!!

أو أن معنى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ} أن الله
مُنَوَّرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، فلا هو و لا حقيقته نور، بل
مُنَوَّر، اي أن النور الموجود في السموات و الأرض إنما
هو نور الله، فهو مُنَوَّر.

الوهابيون و الحنابلة يعتقدون بجسمانية الله تعالى

و قد قال بعض العامة بالقول الأوّل، في حين ذهب
بعض الخاصة ممن فتحوا باب التأويل إلى انتخاب المعنى
الثاني. فالمجموعة الاولى تعتقد بأن الله هو جسم و لا

إشكال في كون واقعه نوراً مادّياً. و الثانية تعتقد بأنّ الله سبحانه ليس مادّة و لا مادّياً، و على هذا فنور السماوات و الأرض الذي هو نورٌ ما دّي لا يمكن أن يكون هو الله. لذا، لا محالة من تأويل الآية الشريفة و اعتبار النور بمعنى المُنور، حتى نخرج من هذا المأزق و هو القول بجسميّة الله سبحانه، ممّا يستلزم الشُّرك و نسبته تعالى إلى المحدوديّة و الإمكان. و أمّا القول بالمنور فلا إشكال فيه، ذلك بأنّ الله هو الخالق و الموجد لجميع الموجودات المجرّدة و الهاديّة، و خلقتة و تنويره للسماوات و الأرض بالنور الهادي لا يستلزم الإشكال، فينتج عن ذلك معنى معقول و مقبول.

و الحنابلة (أتباع أحمد بن حنبل) هم الطائفة الوحيدة من بين طوائف المسلمين الذين يقولون بالمعنى الأوّل، و يُصرون على ذلك. و يؤكّد ابن

تيميّة الحنبليّ أيضاً، على هذا الرأي، و يصرّ عليه بقوله: أن المراد من آيات القرآن في العبارات و الألفاظ المستعملة فيه، هو هذه المعاني المعروفة الهاديّة و الطبيعيّة و الجسمانيّة. و لا يجوز حمل ألفاظه و كلماته على غير هذه المعاني. و تُصرّ الوهابيّة (و هم أتباع محمّد بن عبد الوهاب و يعتقدون بالمذهب الحنبليّ) على المبدأ المذكور و تؤكّد عليه.

يقول الحنابلة: أن المراد من العرش و الكرسيّ و اليد و النور و الاستواء و النزول و مجيء الربّ، و أمثال ذلك ممّا ورد ذكره في القرآن الكريم و استُخدم في كثير من الآيات، هو هذه المعاني المستعملة و المتعارف عليها، و لا يجوز بأيّ شكل من الاشكال التصرّف في الآيات المذكورة أو تغييرها، أو حمل تلك الألفاظ و الكلمات على معانٍ أخرى أوسع و أكثر تجرّداً.

و كان ابن تيميّة يقول صراحةً بأنّ المراد من نزول الله هو هذا النزول المُشاهد و المحسوس. و أن ما رُوي

في الأحاديث النبويّة من نزول الله سبحانه في ليالي الجمعة،
يُقصد به هذا الشكل من النزول.

و قد كان يقول بصريح العبارة حين يعتلي المنبر و
يقوم بإلقاء خُطبه: أن النزول المراد به هو هذا النزول
المعروف، فالله ينزل تماماً كما أنزل أنا! انظروا، هكذا!
فكان ينزل دَرَجَةً من على المنبر و يمثل و يُشبه للناس
كيفية نزول الله سبحانه بصورة محسوسة.

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، اي أن الله سبحانه

هو هذا النور المحسوس.

{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ^١، معناه أن الله جلس

و استقرّ على

عرشه.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} ^٢، تعني أن

حجم كرسيه الذي يجلس عليه و اتّساعه هو بقدر حجم
و اتّساع السماوات و الأرض.

^١ الآية ٥، من السورة ٢٠: طه.

^٢ الآية ٢٥٥، من السورة ٢: البقرة.

{ وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا }^١، معناه أن الله

سبحانه يأتي في اليوم الآخر مع ملائكته على شكل صفوفٍ
مُترابّةٍ أو جماعاتٍ منظّمة.

و تقول هذه الطائفة كذلك: أن العرش هو بمعنى
كرسيّ و عرش السُّلطان و المُلْك؛ و كما أن السُّلطان
يجلس على كرسيّه و عرشه أثناء حكمه، و يتكىء عليه و
يستقرّ فوقه، فإنّ هذه الآية تُفيد معنى أن الله كذلك يجلس
و يستقرُّ على كرسيّه (المناسب في سعته و عظمته له
تعالى).

و أن مجلس الله و كرسيّه الذي يستقرّ عليه يوازيان
حجم و وسع السماوات و الأرض.

و أن ربّك، يأتي يوم القيامة في صفوفٍ مع ملائكته
صفّاً بعد آخر، تماماً كما يتقدّم الناس رافعين أرجلهم من
مكان ليضعوها في مكانٍ آخر.

^١ الآية ٢٢، من السورة ٨٩: الفجر.

و في تعليقهم على آية {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} ^١ ،
يقولون: اي أن الله سبحانه يملك يداً أقوى و أكبر و
أعظم و أعلى من سائر الأيدي.

و تعتقد هذه الجماعة كذلك: أن الله لا يمكن رؤيته في
الدنيا بحاسة البصر، إلا أنه يمكن رؤيته في الآخرة بهذه
العين الباصرة الظاهرية الحسية التي يملكها البصير. و
سيأتي الله بجسم و اذن و يد و أرجل نحو الناس تماماً
كمجيء الفرد العادي في الدنيا، و سيجلس على عرشه،
تماماً

^١ الآية ١٠، من السورة ٤٨: الفتح.

كاجلوس المتعارف لدينا نحن البشر، كل ما في الأمر، أن الله سيبدو أعظم و أكبر و أقوى، لا غير.

معنى النور: الظاهر بذاته، المظهر لغيره

و أمّا حكماء الإسلام و الفلاسفة اللاهوتيون العظام فكلّهم متفقون على أن الألفاظ إنّما وُضِعَتْ لِلْمَعْنَى الْعَامَّةِ. و على هذا فإنّ آية كلمة وَضَعَهَا الْإِنْسَانُ أَوْ يَضَعُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِأَيِّ لِسَانٍ وَ آيَّةُ لُغَةٍ، فهي إنّما تُوضَعُ لِلْمَعْنَى الْعَامَّةِ، و ليس لخصوصية ذلك المعنى المحدود الحسيّ و الطبيعيّ و الهاديّ و المُقَيَّدُ بِالزَّمَانِ أَوْ الْمَكَانِ الْفُلَانِيّ.

فإذا أخذنا مثلاً كلمة «مصبح» بنظر الاعتبار، فإنّ هذه الكلمة مصداق للمصبح الموجود في غرفتنا في الليلة الفلانيّة، دون أن يكون لغرفتنا دَخَلَ فِي ذَلِكَ أَوْ أَنْ يَكُونَ لِلَّيْلِ الْفُلَانِيَّةِ أَثَرٌ عَلَى مَعْنَى الْمَصْبِحِ. و لذا فإنّنا نرى صدق هذه الكلمة كذلك على مصباح غرفة صديقنا في ليلة أخرى. و من هنا يتبيّن أن مفهوم و معنى لفظة «مصبح» لم يكن لهما أثر أو دَخَلَ فِي خُصُوصِيَّةِ هَذَا الزَّمَانِ

أو ذاك، أو في خصوصية هذا المكان أو غيره، بل يصدقان على جميع أنواع المصابيح دون استثناء.

و لذلك فلو أعطينا المفهوم السابق بعداً آخر أوسع، لشاهدنا أنه لا دخل هنا مثلاً لكون مزية المصباح مصنوعة من النحاس أو من البلّور أو الخزف و ما إلى ذلك، بل تُطلق لفظة مصباح على جميع تلك الأنواع من المصابيح. و إذن، فلا أثر لخصوصية الميزة في مفهوم المصباح عموماً.

ففي الأزمنة الأولى كانت لفظة مصباح تصدق على كلّ إناء يحتوي على زيت و فيه فتيل و عليه زجاجة تُهيمن على شدة و تصاعد شعلته. و لما استبدل الزيت الذي كان يُستخدم في تلك المصابيح - و كان زيت الخروع في أغلب الأحيان أو زيت الزيتون - بالنفط المعروف لدينا اليوم، لم يكن ذلك مدعاةً لتغيّر دلالة لفظة مصباح عمّا كانت تعنيه في السابق. و كذلك

الحال مع اختراع المصباح الغازي حيث ظلت تُطلق عليه لفظة مصباح. و ها نحن اليوم نطلق كلمة مصباح حتى على المصابيح الكهربائيّة المنتشرة في عالمنا الحاضر. و ستظلّ كلمة مصباح تُطلق على الأشكال الجديدة من المصابيح، و التي قد تُستحدث في المستقبل سواء كانت تعمل على الطاقة الكهربائيّة أو كانت قُدرة الإنارة فيها بشكل لا تُقاس بما نستخدمه في عصرنا الحاضر.

و كلّ ذلك كان و لا يزال دون أدنى تصرّف أو تدخّل في معنى كلمة مصباح أو المفهوم الموضوع له، فقد استخدمها السابقون و ها هم اللاحقون يستخدمونها كما هي عليه دون تغيير يُذكر.

و من هنا يتبيّن لنا أن أيّاً من الخصوصيّات المتفاوتة و الأشكال المختلفة لا دَخَل لها و لا أثر على معنى كلمة المصباح و مراده و مفهومه الذي وُضِع له هذا اللفظ منذ بداية وجوده و اختراعه و على اختلاف أشكاله، و لا زال كذلك إلى يومنا هذا.

و المصباح في الحقيقة هو كل شيء وُضِعَ في مكان أو

حيّز محدود لاستخدامه في إنارة الأشياء و إضاءتها.

و كذا كلمة النور، فهي في أصل لفظتها و وضعها أوّل

مرّة لم توضع للإشارة إلى النور الحسيّ المحسوس بحاسّة

الباصرة و حسب. بل أن معنى النور هو ذلك الشيء الذي

يكون ظاهراً بنفسه و ذاته، و قادراً على إظهار الأشياء

الأخرى.

و أحد مصاديق هذه اللفظة هو النور المحسوس

الهاديّ و الظاهريّ، كنور الشمس مثلاً و نور القمر و

المصباح، ذلك أن هذه الأنوار لا تحتاج بوجودها و ذاتها

إلى مُظهِرٍ لها، فهي ظاهرة بذاتها و نفسها. إنّنا لا نرى نور

الشمس و لا ضوء القمر بمعية أشياء أخرى، بل هي مُنيرة

و مُضيئة بذاتها،

و أما بالنسبة إلى الأشياء الأخرى، فإننا نراها و
نتحسسها بواسطة نور الشمس و ضوء القمر. إننا نلاحظ
الصحراء و البحر و الجبال و البراري و البساتين و أشياء
كثيرة أخرى و نتعامل معها في أوقات مختلفة و أزمان
متباينة، و هي لا تظهر لنا و لا نتمكن من إدراكها إلا
بواسطة النور، فتصدق هنا المقولة القائلة النور هو
الظاهر بذاته، المظهر لغيره، و لهذا فإننا نطلق عليه كلمة
نور.

و لكن كلمة نور لا تقتصر على النور المادي الحسي،
فنور الفكر و العقل، و النور النفسي و القلبي، و نور عالم
الملكوت، و نور الأسماء و الصفات الإلهية، و نور الجمال
و الجلال، و نور ذات الحق تعالى و تقدس، كل ذلك من
أمثال النور.

فقد نتكلم عن فلان قائلين أن له فكراً نورانياً، أو عقلاً
نورانياً، أو نفساً نورانية، أو قلباً نورانياً، دون أدنى تصرف
في معنى ما نقصده من إطلاق كلمة النور. و أن أنوار عالم
المثال و عالم العقل، و نور صفة الجمال أو صفة الجلال

للحقّ تعالى هي من الامور المعروفة لدى العرفاء. و
أعجب من ذلك كلّه و أوضحه نور ذات الحقّ تعالى.

و عموماً فإنّ أهل العرفان يتعاملون بلفظة النور عند
تكلّمهم و تحدّثهم عن الصفات المختلفة للحقّ سبحانه
و تعالى، بدءاً بأوضحها و هو نور القمر و ضوءه، و انتهاءً
بنور الذات السوداء اللون.

و على هذا الأساس و تلك القاعدة فإنّ ذات الله
سبحانه نور، لأنّه لا يحتاج في ذاته و نفسه إلى مُنور، و كلّ
ما سوى ذلك من العقل الأوّل إلى العقل العاشر، و من
أعلى رتبة للاسم و الصفة و حتى أوطئها، كلّها محتاجة إلى
نور الله سبحانه.

الله سبحانه هو أصل الوجود، و الموجودات إنّما
موجودة بوجوده،

و على هذا فإن هويته هي النور الذي هو الظاهر بنفسه
المُظهِر لغيره.

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، اي أن الله هو أصل
وجود السماوات و الأرض، و أصل حقيقتها و تكوينها
و هو الموجدُ لهما.

الله هو الأول، و بعده تأتي الموجودات؛ و هو لا
يحتاج إلى مُعرّف، و كلّ الموجودات محتاجة إليه ليُعرّفها؛
هو أصل الوجود و باقي الموجودات موجودة بوجوده؛
هو الظاهر بهويته و بقيّة الأشياء ظاهرة بظهوره؛ هو النور،
و بقيّة الموجودات مُنوّرةٌ بنوره. هو أصل الحقيقة، و بقيّة
الموجودات إنّما هي مجاز و عارية.

إن البحث في عمومية و شموليّة وضع اللفظ للمعني
العامّ هو بحث شيق. و بحمد الله و حُسن توفيقه قد بحثنا
بشكل وافٍ في معنى و حقيقة الصراط في المجالس ٥١
إلى ٥٣، و في معنى و حقيقة الميزان في المجلسين ٥٤ و
٥٥ من الجزء الثامن من كتاب «معرفة المعاد» من سلسلة
العلوم و المعارف الإسلاميّة.

كثيرة هي حالات إطلاق لفظة النور في القرآن و الأخبار على الأنوار المعنويّة، و لبيان بعض تلك الحالات نكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة. فأما في القرآن الكريم فقد وردت الآيات التالية:

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ^١.

ففي هذه الآية الشريفة اطلقت لفظة النور على الهدى و اطلقت الظلمة على الكفر.

^١ الآية ٢٥٧، من السورة ٢: البقرة.

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ
كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ
قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^١ هنا
اطلقت كلمة النور على القرآن الكريم الذي أنزله الله على
رسوله.

{ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ }^٢.

في هذه الآية شُبِّهت البصيرة بالنور.

{ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ }، (كالغافل الذي

قسي قلبه عن ذكر الله تعالى) { فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ

لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ }^٣.

و اطلقت هنا لفظة النور على قبول دين الإسلام و

تبنيه، في مقابل القاسية قلوبهم و الراضين له.

^١ الآيتان ١٥ و ١٦، من السورة ٥: المائدة.

^٢ الآية ٤٠، من السورة ٢٤: النور.

^٣ الآية ٢٢، من السورة ٣٩: الزمر.

و أمّا ما ورد في الأخبار، ففي «نهج البلاغة» قال مولي
الموحّدين و أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات
المصلّين:

"و نَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ"^١.

"أَحْيَى قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَ أَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَ قَوَّهَ
بِالْيَقِينِ، وَ نَوَّرَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَ ذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَ قَرَّرَهُ
بِالْفَنَاءِ، وَ بَصَّرَهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَ حَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَ
فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ"^٢.

"وَ لَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءٍ، فَأَرَاهُ وَ لَا يَرَاهُ
غَيْرِي. وَ لَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمِيذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ

^١ «نهج البلاغة» الحكمة ٣٧٣، طبعة عيسى البابي الحلبي؛ و في طبعة مصر مع
تعليقة للشيخ محمد عبده: ج ٢، ص ٢٢٥: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَانًا
يُعْمَلُ بِهِ وَ مُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَ بَرِيَ، وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ
فَقَدْ أَجَرَ وَ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ، وَ مَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّيفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا وَ كَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَ قَامَ عَلَى
الطَّرِيقِ وَ نَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ.

^٢ «نهج البلاغة» ج ٢، ص ٣٨ و ٣٩، الرسالة ٣١، طبعة مصر مع تعليقة للشيخ
محمد عبده، وصيته عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين،
عند انصرافه من صفين.

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ؛ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ
الْوَحْيِ وَ الرِّسَالَةِ، وَ أَشْمُ رِيحَ النُّبُوَّةِ"^١.
الأخبار و الروايات الواردة في «أول ما خلق الله»

و قد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة و
الخاصة، و كلها تؤكد على أن أول مخلوق خلقه الله
سبحانه كان النور. كما ورد أنه **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الرُّوحَ وَ**
القلم و العقل.

روي العلامة المجلسي رضوان الله عليه، عن ثامن
الحُجَج الإمام الرضا عليه السلام أنه قال في مجلس
للمأمون، في تعليقه على بحث طويل مع عمران الصابي
حول بداية الخلق:

"وَ النُّورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَوَّلُ فِعْلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ نُورُ
السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ"^٢.

^١ «نهج البلاغة» الخطبة ١٩٠؛ و في طبعة مصر مع تعليقة للشيخ محمد عبده: ج
١، ص ٣٩٢.

^٢ «بحار الأنوار» ج ١٠، ص ٣١٤، باب مناظرات الرضا و احتجاجاته،
الحديث الأول، الطبعة الحديثة.

و رُوي في كتاب «عوالي اللئالي» أن النبي صلى الله

عليه وآله قال:

"أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي" ١.

و في حديث آخر أن الرسول الأكرم صلى الله عليه و

آله قال:

"أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ" ٢.

و روي الصدوق في «الخصال» بسنده عن سَمَاعَةَ أَنَّهُ

قال: كنتُ عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام و عنده

جماعة من مواليه فجري ذكر العقل و الجهل ... حتى قال:

فقال أبو عبد الله عليه السلام:

"إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَلَقَ الْعَقْلَ وَ هُوَ أَوَّلُ خَلْقِ خَلْقِهِ

مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ" - إلى آخره. ٣.

و ورد نظير هذا الكلام في حديث الإمام موسى بن

جعفر الكاظم عليهما السلام خلال حديث طويل له مع

هشام بن الحكم، حيث قال:

١ «بحار الأنوار» ج ١، ص ٩٧، باب حقيقة العقل و كَيْفِيَّتِهِ و بدو خلقه،

الحديث السابع.

٢ «المصدر السابق»، الحديث الثامن.

٣ «المصدر السابق»، ص ١٠٩، كتاب العقل و الجهل، الحديث السابع.

"يَا هِشَامُ! أَنْ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ وَ هُوَ أَوَّلُ خَلْقِ خَلْقِهِ

اللَّهُ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ" ^١.

و روي عن عبادة بن الصامت قال: سمعتُ رسول

الله صلى الله عليه و آله يقول: "أَنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ.

فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ! فَجَرَى بِمَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى الْأَبَدِ" ^٢.

و عن معاوية بن قرة عن أبيه أنه قال: تلا رسول الله

صلى الله عليه و آله: {نَ وَالْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ}. قَالَ:

"لَوْحٌ مِنْ نُورٍ، وَ قَلَمٌ مِنْ نُورٍ، يَجْرِي بِمَا هُوَ كَاتِنٌ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ" ^٣.

قال عزيز الدين النسفي: جاء في الحديث "أَوَّلُ مَا

خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ". و جاء في حديث آخر "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ

الْقَلَمَ". و في آخر أنه "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ رُوحِي". و جاء في

^١ «المصدر السابق»، ص ١٥٨، الحديث الثلاثون.

^٢ «بحار الأنوار» ج ٥٧، ص ٣٧٤، باب القلم و اللوح المحفوظ و الكتاب الميم، الحديث الرابع و العشرون.

^٣ «بحار الأنوار» ج ٥٧، ص ٣٧٤، الحديث الخامس و العشرون.

آخر أيضاً: **"أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي"**. و قد وردت أمثال ذلك في كثير من الأحاديث.^١

و قال في مكان آخر: جاء في حديث نبويّ أنّ: **"أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ"**. و ورد كذلك أنّ: **"أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ"**. و في حديث آخر أنّ: **"أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشُ"**. و وردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى.^٢

و قال الشيخ نجم الدين الرازي: اعلم أنّ مبدأ المخلوقات و الموجودات كان الأرواح الإنسانيّة، و كان مبدأ الأرواح الإنسانيّة الروح المحمّديّة الطاهرة كما قال عليه الصلاة و السلام: **"أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحِي"**. و في رواية أخرى **"نوري"**. و لأنّه عليه الصلاة و السلام كان زبده و خلاصة الموجودات و ثمرة شجرة الكائنات، إذ **"لَوْلَاكَ لَمَّا خَلَقْتُ الْأَفْلَاكَ"**، فإنّه كان كذلك مبدأ الموجودات و لا يمكن أن يكون غير ذلك، و ذلك أنّ

^١ «الإنسان الكامل» لعزیز الدین النسفی، ص ٢٢٠ و ٣٩٨، طبعة طهران، قسم المعهد الإيراني و الفرنسيّ بتصحيح ماريجان موله.

^٢ «نفس المصدر السابق»

الخالق كان على مثال الشجرة، و المصطفى عليه الصلاة و
السلام هو ثمرة تلك الشجرة، و الشجرة في الحقيقة لا
تكون إلا من حبٍ

الثمرة. ١.

و يقول في مكان آخر: «هنالك لطيفة عجيبة تُستشفُّ

من قوله عليه الصلاة و السلام: **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ،**

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ، **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ رُوحِي،** وهي أن

هذه الأقوال الثلاثة كلها صحيحة، وهي في الحقيقة قول

واحد، وقد احتار خلق كثير في كيفية هذه التركيبة. فقوله:

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ. إنّما هو قلم الله لا قلمنا نحن،

فذلك القلم يجب أن يتناسب و عظمة الله و جلاله، و تلك

هي روح محمد الطاهرة و نوره. فلما خلق الحق تعالى تلك

الروح و نظر إليها بالمحبة، غلبَ عليها الحياء، فانقسمت

الروح قسمين حياءً، فكان العقل شعبة من الروح»^١.

و قال أيضاً: «لقد قطعتُ نسبي من الدنيا و الآخرة و

الجنان الثمان في ذلك اليوم، و جعلته **أَنَا مِنَ اللَّهِ.** لا جرم

أن أيّ نسبٍ مُتعلّق بالحدوث منقطع، و أمّا نسبي فباقٍ، إذ

كُلُّ حَسَبٍ وَ نَسَبٍ يَنْقَطِعُ إِلَّا حَسَبِي وَ نَسَبِي، و قال

^١ «مرصاد العباد» ص ٣٧، طبعة بنگاه ترجمه و نشر كتاب.

^٢ «المصدر السابق» ص ٥١ و ٥٢.

للآخرين: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}،
فقد فُزْتُ بالأولوية و السباق في كل ميدان.

فإن كان هناك أول في الفطرة، فقد كنت أول برعم
طلع على شجرة الفطرة، إذ **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي**. وإن
كان الأمر يتعلق بساحة يوم القيامة، فأنا أول جوهرة تخرج
من لآليء الثري، **أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**.
و إن أردت البحث في مقام الشفاعة، **أَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَ**
مُشَفِّعٍ. و إن كنت تُريد الحديث عن الصراط و التقدم
عليه، **أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ الصِّرَاطَ**. و إن أردت معرفة
صاحب مقام الصدارة في مجلس الجنان،

فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ. و إذا رُمْتَ النظر

إلى سيّد العاشقين و مقتدى المشتاقين، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَتَجَلَّى

لَهُ الرَّبُّ. و أَوَّلُ عاشق حقيقيّ يفوز بوصال المعشوق.

و ما أطرف أن يكون كلُّ ذلك هو أنا، أمّا أنا فلا أكون

أنا، أمّا أنا فلا أقولُ أنا: شعر:

چو آمد روی مهر ویم، که باشم من که من باشم

*** که آنکه خوش بوم با او، که من بی خویشتن باشم

مرا گر مایه ای بینی، بدان کان مایه او باشد ***

برو گر سایه ای بینی، بدان کان سایه من باشم^۱

إن هذا الذي سَمِعْتَهُ من أن مُحَمَّدًا عليه السلام لا ظلّ

له، ناشئ من أن مُحَمَّدًا كان هو النور كله، إذ {يا أَيُّهَا

النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ}،^۲ و لذا، فلا ظلّ

^۱ «مرصاد العباد» ص ۱۳۳ و ۱۳۴.

يقول «إذا أقبل حببي بطلعة كالبدر، فمن الذي سأكونه يا ترى، لأكون أنا بذاتي؛

و ساسرُ به حينئذٍ إذ سأكون بلا «أنا».

و أن شاهدت من جوهرٍ فيّ، فاعلم أن ذلك جوهره هو، و أن شاهدت فيه من

ظلّ، فاعلم أن ذلك ظلّي أنا».

^۲ مقتبس من ذيل الآية ۱۵، من السورة ۵: الهائدة: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ

وَ كِتَابٌ مُبِينٌ}.

للنور كما تعلم. ولما كان عليه السلام قد تخلص من ظله،
فقد لاذ جميع الخلق و العالم كله بنوره، إذ إن: "آدَمُ وَ مَنْ
دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا فَخْرَ".

لقد غمر النور المحمدي العالم و الوجود و أحاط
بهما، إذ إن: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي، فختم الأبد بنوره إذ لَا
نَبِيَّ بَعْدِي.

و بعد شروق شمس الدولة المحمّديّة و طلوع
نورها، أفلت كواكب ولاية الأنبياء، فُنسِختَ بذلك آية
ليلة الأديان الأخرى، حيث حَلَّتْ آية {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}،
محلّها، إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ اسْتُغْنِيَ عَنِ المِصْبَاحِ.
فالمسكين هو ذلك الأعمى الذي حُرِمَ من كل ذلك
النور و الضياء. شعر:

خورشيد بر آمد ای نگارین دیرست *** بر بنده

اگر نتابد از إدبارست^۱

و أورد الشيخ نجم الدين الرازيّ كذلك: خلقت

الملائكة من نور.^۲

و قال أيضاً: هذه الطائفة هي أصحاب الميمنة، حيث

مَشَرَبِهِم من عالم الأعمال، و مَعَادُهُم درجات جنّات

^۱ «مرصاد العباد» ص ۱۳۴؛ و كذلك ص ۱۵۸ و ۱۵۹.

«أشرقت الشمس فالوقت متأخر أيها المعشوق، فإذا لم تسطع على فذلك بسبب الإِدبار».

^۲ رسالة «عشق و عقل» ص ۴۰، منشورات بنگاه ترجمه و نشر كتاب، الطبعة الثانية؛ و في تعليقة ص ۱۱۱ يقول: مقتبس من «صحيح مسلم» كتاب الزهد، و «مسند أحمد بن حنبل» ج ۶، ص ۱۵۸ و ۱۶۸، نقلاً عن «المعجم المفهرس».

النعيم. مع هذا فإنَّ طريقهم ليس طريقاً بحسب معرفة
الذات و الصفات الربّانيّة، إذ إنّهم ما زالوا أسرى آفة
حُجُب الصفات الروحانيّة و النورانيّة، إذ أن **لِلَّهِ [تَعَالَى]**
سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَ ظُلْمَةٍ.^١

١ ذُكرت هذه الرواية في «مرصاد العباد» ص ١٠١ و ٣١١. و ذكرها كذلك
الملا عبد الرزاق الكاشاني في شرح «منازل السائرين» ص ٧ و ٢٩٠،
منشورات بيدار، و ذكرها أيضاً المعلق على الكتاب في ص ٤١٥. و قال العلامة
محمد بن محمود الآملي في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢، ص ٥٩ و ٦٠، حيث
يقول: «الفصل الثامن: في بيان مشاهدات الأنوار و مراتبها»: قال الله تعالى: {مَا
كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى • أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى •} وَ لَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى •
اعلم أنّه بسبب انصقال مرآة القلب تدريجياً بمصقلة الذّكر، و الحياء أدرا
الطبيعة و ظلمة البشريّة عنها، يكون ظهور الأنوار الغيبيّة فيها أقوى. و تتوهج
تلك الأنوار على غرار توهج الشمعة و المصباح و المشعل و النيران، و ذلك
عند ما يكون الخيال لا يزال يشوب تلك الأنوار. و بعد ذلك تتراعي للعيان
الأنوار العلويّة، حيث تكون في البداية على صورة كواكب متناثرة، و بعد ذلك
على صورة قمر و من ثمّ تظهر بصورة شمس حتى تظهر الأنوار المجرّدة من
المحالّ. و عند ما تنسلخ الأنوار من الحُجُب تماماً و لا يكون للخيال مجالاً
للتصرّف فيها، تنعدم حينئذٍ الألوان و الأشكال، فيسود انعدام اللون و الشكل
و الكيفيّة و الصورة؛ ذلك أن تلوّث الصفات البشريّة هو الذي يجعل الروح
تُدرك شكل و لون النور من وراء حجاب الخيال، فعند ما تسود الروحانيّة
المحضّة و يتمّ الخروج من تلك حُجُب الخيال تتنفي الأشكال و الألوان. لكن
على الرغم من أن الله سبحانه و تعالى هو مظهر جميع الأنوار و ذلك حسب ما
تصرّح به الآية: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ} و أن كثرة هذه الأنوار و قلّتها

يكون بحسب صفاء القلب و صقالته من ظلمة البشريّة، إلا أن ظهورها يكون مختلفاً و متبايناً و ذلك بسبب اختلاف و تباين منشأ مشاهداتها و يقال لهذه الأنوار الأنوار الأرضيّة و ذلك عندما تكون على صورة امور سفليّة مثل البروق و اللوامع و اللوائح و المشاعل و القناديل و المصابيح. أمّا عندما تكون على صورة أجرام علويّة كالكواكب و الأقمار و الشمس فيقال لها الأنوار السماويّة. و على هذا فإنّها تظهر بصورة برق إذا كانت منشأ مشاهدتها الدّكر، أو بصورة مشكاة أو قنديل إذا كانت منشأ مشاهدتها المعرفة.

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

١. (...تتمّة الهامش من صفحة السابقة)

و من هنا يقول الحقّ تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ}، اي أنّه تبارك و تعالى مظهر الأنوار السماويّة و الأرضيّة، و أن نور عرفانه يظهر على السالك على صورة مشكاة، فإذا كانت الروحانيّة منشأ مشاهدتها و التي تنعكس على القلب السماويّ تبعاً لمقدار صقالته، يكون ظهورها على مثال الكواكب و الأقمار و الشمس. فعلى سبيل المثال، إذا كان صفاء القلب بمقدار الكوكب، يُرى نور الروح بمقدار ذلك الكوكب، و إذا كانت مرآة القلب صافية تماماً، يُرى القمر كاملاً، و إذا كانت هناك بقيّة من الكدورة، يُرى القمر ناقصاً، و عند ما يكتمل صفاء مرآة القلب و تقبلها لنور الروح، تصبح المشاهدة بمقدار الشمس؛ و كلّما كان الصفاء أكثر، كان سطوع الشمس أكبر. و إذا وقعت مشاهدة القمر و الشمس في آنٍ واحد، يكون القلب حينئذٍ القمر الذي يعكس النور فيُنير الروح به، و تكون الروح الشمس. و انعكاس إشعاعات الأنوار لصفات الحقّ عزّ و علا من وراء الحُجُب الروحانيّة على مرآة القلب هو بمقدار صفائها».

و قال في مكان آخر: **حِجَابُهُ النُّورُ؛ لَوْ كُشِفَتْ**

لَأُحْرِقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ^١.

لا جرم أن قيل لهذه الطائفة: احذروا من أن تخلطوا

بين العقل و العقال في ميدان التفكير في ذات الحق جل و

علا الذي لا حد له، **تَفَكَّرُوا فِي آيَةِ اللَّهِ وَ لَا تَتَفَكَّرُوا فِي**

ذَاتِ اللَّهِ!^٢

و ذكر في مناسبة أخرى: «و أمّا ما قاله من أننا متى ما

حصلنا على عقل أكبر، فإننا نجد الحبّ فيه أظرف و

أشرف و أثبت، كما أن سيّد الكائنات [صلوات الله عليه]

كان أعقل الموجودات و أعشقها على الإطلاق.

^١ جاء في تعليقة ص ١١٠: «مأخوذ عن حديث نبويّ، «صحيح مسلم» باب

الإيمان، ص ٢٩٣؛ مقدّمة كتاب ابن ماجه، ص ١٣؛ «مسند أحمد» ج ٤، ص

٤٠١ و ٤٠٥. و أصل الحديث هو: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأُحْرِقَتْ سُبُحَاتُ

وَجْهِهِ...».

أقول: ذكرها كذلك مؤلّف «مرصاد العباد» ص ٣١٠؛ كما ذكرها المعلّق على

كتاب «شرح المنازل» ص ٧.

^٢ رسالة «عشق و عقل» ص ٥٣ و ٥٤.

الإنسان الكامل هو من تجلّي فيه تمام شؤون آية النور

و اعلم حقاً بأنّ نور العقل في كمال و سموّ مرتبته، هو

بمثابة مشكاة الجسد و زجاجة القلب، و زيت المصباح

«الروح» بمثابة صفاء الزيت، إذ {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ}.

و مع أن الملائكة كانت تمتلك زيت الرُّوحانيّة و صفاءه

الذي هو

نور العقل، حيث خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، و كان ذلك الزيت مستعداً لاكتساب نارِيّة النور الإلهي {وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ}، إلا أنّهم لم يحصلوا لا على مشكاة الجسد، و لا زجاجة القلب، و لا مصباح السرّ، و لا فتيل الحفّي، حيث إنّهم لم يستحقّوا اكتساب نارِيّة النور الإلهي بدون هذه الأسباب.

و أمّا الحيوانات فعلى الرغم من حصولها على مشكاة الجسد و زجاجة القلب، إلا أن ذلك كان في غياب زيت الروحانيّة و صفاء النور [الذي هو العقل] فكانوا في مقام العجز كذلك إذ فإيّن أن يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا.

فاعطي الإنسان تمام الاستعداد و كمال التهيؤ لقبول تلك الأمانة، التي هي في الحقيقة نور الفيض دون واسطة، إذ {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}، فوهب جسداً مثله كمثل المشكاة، و قلباً على صفة الزجاجة، و زيت روح بصفاء العقل الذي أنار زجاجة قلبه بذلك النور الساطع، فأصبحت {الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}، و وضع زجاجة القلب و مصباح السرّ و فتيل

الْحَفِيِّ، فَتَجَلَّتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ وَ مِنْهَا آدَمُ بِنَارِ النُّورِ
الإلهيِّ إِذْ خُلِقَ آدَمُ فَتَجَلَّى فِيهِ مِصْبَاحٌ، فَأَصْبَحَ فِيمَنْ
يَسْتَحِقُّ [نار] النور الإلهيِّ حيث { وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ } .

فكلُّ مصباحٍ كان زيتُه أَصْفَى، وَ صَفَاؤُهُ فِي النُّورَانِيَّةِ
أَكْثَرُ، فَهُوَ فِي النُّورَانِيَّةِ { نُورٌ عَلَى نُورٍ } وَ اكْتَمَلَ وَ ظُرِفَ
بِمَجْرَدِ اتِّصَالِ نَارِ النُّورِ الإلهيِّ بِهِ. وَ لَمَّا لَمْ يُمْنَحْ أَيُّ مِصْبَاحٍ
مَوْهَبَةَ قَبُولِ النُّورَانِيَّةِ وَ كِمَالِ الاسْتِعْدَادِ لَذَلِكَ إِلَّا مِصْبَاحُ
سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ لَمَّا كَانَ زَيْتُ
مِصْبَاحِهِ أَتَمَّ وَ أَكْمَلَ وَ كَانَ صَفَاءَ زَيْتِهِ الَّذِي هُوَ الْعَقْلُ لَا
الطَّفَ وَ لَا أَظْرَفَ مِنْهُ، فَلَا جَرَمَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَصَلَ إِلَى
دَرَجَةِ الْكِمَالِ لِقَبُولِ نُورِ الْفَيْضِ دُونَ وَاسِطَةِ { الْيَوْمِ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } ،
فَكَانَ يُرَدِّدُ وَ يُكْثِرُ مِنْ قِرَاءَةِ هَذَا الدُّعَاءِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَ
هُوَ:

"اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَ فِي سَمْعِي نُورًا وَ فِي بَصَرِي نُورًا وَ فِي لِسَانِي نُورًا، وَ عَن يَمِينِي نُورًا وَ عَن يَسَارِي نُورًا [وَ مِنْ فَوْقِي نُورًا] وَ مِنْ تَحْتِي نُورًا [وَ أَمَامِي نُورًا وَ خَلْفِي نُورًا] وَ اجْعَلْنِي نُورًا وَ اعْظِمْ لِي نُورًا".

ولما كان كل وجوده هو ذلك النور، حينئذٍ دعاه الحق تعالى نوراً، حيث قال: {قَدْ} جاءكم من الله نورٌ و كتابٌ مبينٌ} ١.

و بالجملة فقد اطلقت كلمة النور في كثير من أدعيتنا على الحق المتعال، ففي دعاء الجوشن الكبير وردت الجمل التالية:

"يَا نُورَ النُّورِ، يَا مُنَوَّرَ النُّورِ، يَا خَالِقَ النُّورِ، يَا مُدَبَّرَ النُّورِ، يَا مُقَدَّرَ النُّورِ، يَا نُورَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُورًا قَبْلَ كُلِّ نُورٍ،

١ رسالة «عشق و عقل»، ص ٧٦ إلى ٧٨.

يَا نُورًا بَعْدَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُورًا فَوْقَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُورًا لَيْسَ
كَمِثْلِهِ نُورٌ" ^١.

و في المناجاة الشعبانية:

"إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ، وَ أَنْزِ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا
بُضِيَاءَ نَظَرِهَا إِلَيْكَ، حَتَّى تَخْرِقَ أَبْصَارَ الْقُلُوبِ حُجُبَ
النُّورِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ الْعِظْمَةِ، وَ تَصِيرَ أَرْوَاحَنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ
قُدْسِكَ" ^٢.

حتى قوله:

"إِلَهِي وَ الْحَقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الْأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عَارِفًا وَ
عَنْ سِوَاكَ

^١ «مفاتيح الجنان» ص ٩٣، طبعة الإسلامية، سنة ١٣٧٩ هـ، نقلًا عن «البلد
الأمين» و «المصباح» للكفعمي، و هو مروى عن الإمام سيّد الساجدين، عن
أبيه، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه و آله.

^٢ «مفاتيح الجنان» ص ١٥٨، نقلًا عن ابن خالويه، قال: «إنّها مناجاة أمير
المؤمنين و الأئمّة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان».

مُنْحَرَفًا وَ مِنْكَ خَائِفًا مُرَاقِبًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَ

الإِكْرَامِ".^١

^١ «مفاتيح الجنان» ص ١٥٩.

إن تشبيه آية النور المباركة لحالات نفس السالك إلى الله هي من أروع التشبيهات في هذا المقام. و ليس أجدر من أن ننقل هنا نصّ عبارات استاذ السلوك و العرفان آية الحقّ و الإيقان السيّد مهدي بحر العلوم في الرسالة المنسوبة إليه.

يقول السيّد بحر العلوم:

«و أمّا السالك فإنّه يرى آثار و فيوضات ذلك. و من جملة الآثار حصول الأنوار في القلب حيث يكون في البدء على شكل مصباح ثمّ على شكل شعلة ثمّ كوكب ثمّ قمر ثمّ بعد ذلك على شكل شمس، ثمّ تنخمد و تزول ألوانها. و الكثير منها يكون على شكل برق و أحياناً تكون بصورة مشكاة و قنديل، و هذان الاثنان يحصلان أكثر ما يحصلان بفعل المعرفة و السبق من الذكر. و قد أشار الإمام أبي جعفر عليه السلام إلى المرتبة الاولى كما روي ذلك ثقة الإسلام في «الكافي» أن الإمام عليه السلام قال في بيان أقسام القلوب: **وَ قَلْبٌ أَزْهَرُ أَجْرَدٌ. فَقُلْتُ: وَ مَا الْأَزْهَرُ؟ فَقَالَ: فِيهِ كَهَيْئَةِ السَّرَاجِ - إِلَى أَنْ قَالَ: وَ أَمَّا الْقَلْبُ الْأَزْهَرُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ.** و قد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض هذه المراتب قائلاً: **قَدْ أَحْيَا قَلْبَهُ وَ أَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَ لَطَفَ غَلِيظُهُ وَ بَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرٌ الْبَرَقِ.** إن إحدى المعاني الباطنية للآية الشريفة: **{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ}** هي شرح لهذه المراحل حيث يستحيل شخص الإنسان في هذه الأحوال إلى مشكاة فيها مصباح و الذي يمثّل القلب، و في تلك الزجاجة مصباح و المذكور بالنور، و يتحوّل القلب بعد نشر ذلك إلى ما يُشبه الكوكب الدرّيّ فيكون ساطعاً نيراً مثله كمثل نور الشجرة المباركة الكثير النفع و هو ما يمثّل النورانيّة و الروحانيّة لذكر الله حيث ليس بشرقيّ و لا غربيّ، بل نابع عن الطريق الباطن و الذي هو

و ورد أيضاً في دعاء ليلة عرفة ما يلي:

وَ بِاسْمِكَ السُّبُوحِ الْقُدُّوسِ الْبُرْهَانِ الَّذِي هُوَ نُورٌ
عَلَى كُلِّ نُورٍ، وَ نُورٌ مِنْ نُورٍ يَضِيءُ مِنْهُ كُلُّ نُورٍ؛ إِذَا بَلَغَ
الْأَرْضَ انشَقَّتْ، وَ إِذَا بَلَغَ السَّمَاوَاتِ فَتَحَتْ، وَ إِذَا بَلَغَ
الْعَرْشَ اهْتَزَّتْ.

و بعد الجمل السابقة، تأتي هذه الجمل:

أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ
فَجَعَلْتَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا^١.

كذلك ليس بشرقي و لا غربي. وَ لَوْ لَمْ تَمَسُّهُ نَارٌ أَي إِذَا لَمْ يَغْفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ
الَّذِي يُوَدِّي إِلَى مَقَارِنَةِ الشَّيْطَانِ الْمَخْلُوقِ مِنَ النَّارِ بِنَصِّ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ {وَ مَنْ
يَعُشُّ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيبُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}، وَ يَزِيدُ {نُورٌ عَلَى
نُورٍ} نُورًا عَلَى نُورِهِ حَتَّى يَغْدُو جَمِيعَ ذَلِكَ نُورًا. وَ هَذِهِ الزُّجَاغَةُ {فِي بُيُوتِ أَدْنَى
اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ}. وَ فِي بَيَانٍ مَثَلِ نُورِهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يُسَبِّحُ
لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِبُهُمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ.*
(«رسالة السير و السلوك المنسوبة إلى بحر العلوم» ص ١٩٤ إلى ١٩٧ مع
مقدمة و شرح للسيد محمد الحسين الحسيني الطهراني، منشورات حكمت).

* أَي فِي بَيَانٍ تَحَقَّقَ هَذَا النُّورُ وَ مُصَدِّقِيَّتُهُ فَإِنَّهُ يَقُولُ أَنَّ رِجَالًا يُسَبِّحُونَ اللَّهَ فِي
الصَّبَاحِ وَ الْمَسَاءِ فِي تِلْكَ الْبُيُوتِ.

^١ «مفاتيح الجنان» ص ٢٥٣، حيث ذُكِرَ أَنَّ فِي الرَّوَايَةِ أَنَّهُ يُدْعَى بِهِ فِي لَيْلَةِ عَرَفَةَ
وَ لِيَالِي الْجُمُعِ.

و جاء في آخر الدعاء المذكور (دعاء ليلة عرفة) ما

يلي:

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الْأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى

عَرَفُوكَ وَ وَحَّدُوكَ .

هذا وقد أفرد محمد بن يعقوب الكليني باباً خاصاً في

«اصول الكافي» و ذكر فيه أن الأئمة عليهم السلام هم نور

الله عزّ و جلّ، و قد أورد ستّ روايات بهذا الصدد نوراً

منها اثنتين هنا على سبيل المثال:

الاولى: روي بسنده المتّصل عن أبي خالد الكابلي أنّه

قال: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ و جلّ:

{فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ}

الَّذِي أَنْزَلْنَا} ١. فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ! النُّورُ وَ اللَّهُ نُورُ

الْأُمَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَ هُمْ وَ اللَّهُ نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ، وَ هُمْ وَ اللَّهُ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ. وَ اللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ! لِنُورِ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ.

وَ هُمْ وَ اللَّهُ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ يُحْجِبُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتَظْلِمُ قُلُوبُهُمْ. وَ اللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ! لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ وَ يَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَ لَا يُطَهِّرُ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ لَنَا وَ يَكُونَ سَلْمًا لَنَا، فَإِذَا كَانَ سَلْمًا لَنَا سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ الْحِسَابِ وَ آمَنَهُ مِنْ فِرَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَكْبَرِ ٢.

الثانية: روي بسند متصل آخر منه عن صالح بن سهل الهمداني أنه قال: قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام في قول الله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ

١ صدر الآية ٨، من السورة ٦٤: التغابن.

٢ «اصول الكافي» ج ١، ص ١٩٤، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ و جلّ، الحديث الأوّل.

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ: فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ {فِيهَا
مِصْبَاحٌ}. الْحَسَنُ {الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ}. الْحُسَيْنُ
{الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}. فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ
نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

«توقد من شجرة مباركة» إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
{زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} لَا يَهُودِيَّةٍ وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ.
{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ} يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا. {وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ} إِمَامٌ مِنْهَا بَعْدَ إِمَامٍ.
{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} يَهْدِي اللَّهُ لِلْأُمَّةِ مَنْ
يَشَاءُ؛ {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ}.

قُلْتُ: {أَوْ كَظُلْمَاتٍ}؟ قَالَ: الْأَوَّلُ وَ صَاحِبُهُ.

{يَغْشَاهُ مَوْجٌ} الثَّالِثُ. {مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ}

{ظُلْمَاتٌ} الثَّانِي. {بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ

فِتْنُ بَنِي أُمِّيَّةَ؛ {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ} الْمُؤْمِنُ فِي ظُلْمَةٍ فَتَتَّهِمُ

{لَمْ يَكْذِبْهَا}. {وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا} إِمَامًا

مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، {فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} إِمَامٍ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ.

وَ قَالَ فِي قَوْلِهِ: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ

بِأَيْمَانِهِمْ} ^١: أئمة المؤمنين يوم القيامة، تسعي بين يدي

المؤمنين و بأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنة. ^٢

و روي الكليني بهذا المضمون بسند آخر عن علي بن

جعفر عليه السلام، عن أخيه موسى عليه السلام. ^٣

^١ مقطع من الآية ١٢، من السورة ٥٧: الحديد.

^٢ «اصول الكافي» ج ١، ص ١٩٥، الحديث الخامس.

^٣ «المصدر السابق»، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ و

جلّ؛ و رواها البحرانيّ في تفسير «البرهان» ج ٢، ص ٧٣٥، الطبعة الحجرية،

عن طريق العامة عن ابن المغازليّ الشافعيّ في كتاب «المناقب» مرسلاً عن علي

بن جعفر.

و ذكر الكليني في باب خلق الأبدان و الأرواح و
القلوب للأئمة عليهم السلام أربع روايات، نكتفي هنا
بذكر واحدة منها فقط:

روي بسنده المتصل عن محمد بن مروان عن أبي عبد

الله (الصادق) عليه السلام قال سمعته يقول: **أن الله**

خَلَقْنَا مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ

مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ، فَكُنَّا

نَحْنُ خَلْقًا وَ بَشَرًا نُورَانِيَيْنَ لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي

خُلِقْنَا مِنْهُ نَصِيبًا. وَ خَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ طِينَتِنَا، وَ

أَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ أَسْفَلَ فِي ذَلِكَ الطِّينَةِ، وَ لَمْ

يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُ

نَصِيْبًا إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ. وَ لِدَلِكِ صِرْنَا نَحْنُ وَ هُمْ: النَّاسَ،
وَ صَارَ سَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لِلنَّارِ وَ إِلَى النَّارِ^١.

و أورد الكليني كذلك في باب ولادة النبي صلى الله عليه و آله و وفاته أربعين رواية نورد منها في هذا المقام
ثلاثة:

١- روي بسند متصل عن جابر بن يزيد قال: قال لي
أبو جعفر (الباقر) عليه السلام: يَا جَابِرُ! أَنْ اللَّهَ أَوَّلُ مَا
خَلَقَ، خَلَقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ عِثْرَتَهُ الْهُدَاةَ
الْمُهْتَدِينَ. فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ!

قُلْتُ: وَ مَا الْأَشْبَاحُ؟!

قَالَ: ظِلُّ النُّورِ، أَبْدَانٌ نُورَانِيَّةٌ بِلَا أَرْوَاحٍ. وَ كَانَ مُؤَيِّدًا
بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَ هِيَ رُوحُ الْقُدُسِ. فَبِهِ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهُ وَ
عِثْرَتَهُ.

^١ «اصول الكافي» ج ١، ص ٣٨٩، باب خلق أبدان الأئمة و أرواحهم و قلوبهم عليهم السلام، الحديث الثاني.

وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءً، عُلَمَاءً، بَرَّةً، أَصْفِيَاءً؛ يَعْْبُدُونَ
اللَّهَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَالسُّجُودِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ؛
وَيُصَلُّونَ الصَّلَوَاتِ، وَيُحْجُونَ، وَيَصُومُونَ.^١

٢- روي بسند متصل عن أحمد بن علي بن محمد بن

عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن
أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِذْ لَا كَانَ. فَخَلَقَ الْكَانَ وَالْمَكَانَ. وَخَلَقَ
نُورَ الْأَنْوَارِ الَّذِي نُورَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ. وَاجْرَى فِيهِ مِنْ نُورِهِ
الَّذِي نُورَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ.

^١ «المصدر السابق»، ص ٤٤٢، كتاب الحجّة، باب مولد النبي صلى الله عليه و
آله ووفاته، الحديث العاشر.

وَ هُوَ النُّورُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَ عَلِيًّا. فَلَمْ يَزَالَا
نُورَيْنِ أَوْلَيْنِ، إِذْ لَا شَيْءَ كُونَ قَبْلَهُمَا. فَلَمْ يَزَالَا يَجْرِيَانِ
طَاهِرَيْنِ مُطَهَّرَيْنِ فِي الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى افْتَرَقَا فِي
أَطْهَرِ طَاهِرَيْنِ: فِي عَبْدِ اللَّهِ وَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.^١
الزهراء عليها السلام من رجال آية النور وفي بيوتها

٣- و روي كذلك بسند متصل أيضاً عن مُرَازِمٍ عَنْ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (الصَّادِقِ) عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ
تَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي خَلَقْتُكَ وَ عَلِيًّا نُورًا، يَعْنِي رُوحًا بِلَا
بَدَنٍ، قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ سَمَاوَاتِي وَ أَرْضِي وَ عَرْشِي وَ بَحْرِي،
فَلَمْ تَزَلْ تُهَلِّلْنِي وَ تُمَجِّدُنِي.

ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا وَاحِدَةً، فَكَانَتْ تُمَجِّدُنِي
وَ تُقَدِّسُنِي وَ تُهَلِّلُنِي. ثُمَّ قَسَمْتُهَا ثِنْتَيْنِ وَ قَسَمْتُ الثَّنَيْنِ
ثِنْتَيْنِ فَصَارَتْ أَرْبَعَةً: مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ، وَ عَلِيٌّ وَاحِدٌ، وَ الْحَسَنُ
وَ الْحُسَيْنُ ثِنْتَانِ.

^١ «اصول الكافي» ج ١، ص ٤٤١ و ٤٤٢، الرواية التاسعة.

ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَهَا رُوحًا بِلاَ بَدَنِ. ثُمَّ

مَسَحَنَا بِيَمِينِهِ فَأَفْضَى^١ نُورَهُ فِينَا^٢.

أما و إننا لنقرا في زيارة الجامعة الكبيرة: خَلَقَكُمْ اللَّهُ

أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بَعْرَشِهِ مُحَدِّقِينَ حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ

فَجَعَلَكُمْ «فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ»^٣.

و روي في تفسير «نور الثقلين»^٤ بسند متصل منه عن

جابر، عن الإمام

أبي جعفر (الباقر) عليه السلام في قوله عزَّ و جلَّ: {فِي

بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}، أَنَّهُ قَالَ:

هِيَ بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَيْتُ عَلِيٍّ مِنْهَا.

^١ جاء في بعض النسخ فأضأء. (التعليقة).

^٢ «المصدر السابق»، ص ٤٤٠، الحديث الثالث.

^٣ «مفاتيح الجنان» ص ٥٤٧، عن الشيخ الصدوق في «الفتاوى» و «العيون»، عن

موسى بن عبد الله النخعي، عن الإمام عليّ النقي عليه السلام.

^٤ تأليف الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، ج ٣، ص ٦٠٧.

و روي في تفسير «البرهان»^١ عن الشيخ الحافظ رجب
البرسي قال: روي ابن عباس أنه قال: كنتُ في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وآله و قد قرأ القارئ:

**فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ
فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ.**

فقلتُ: يا رسول الله! ما البيوت؟!!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَ أَوْمِي بِيَدِهِ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا ابْنَتِهِ.**

نعم، لقد تبين من هذه الأبحاث بصورة لا تقبل
الشك معنى نور الله و أحقيّة الولاية و عظمتها التي هي
عين التوحيد، و كذلك طريق إفاضة النور من مقام وحدة
الربوبية عزّ و جلّ الذي هو عين النور و أصل الجود و
الوجود، و طلوعه في المصباح، و استمداد المصباح من
زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ، و تلالئه في الزجاج، و
انعكاسه في المشكاة،، و حفظ و صيانة المشكاة للنور، و

^١ تأليف السيّد هاشم البحراني، ج ٢، ص ٧٣٧، الطبعة الحجرية.

إفاضة النور و نشره في فضاء الغرفة، و انتفاع الناس
بوساطة ذلك في فضائه النير و المتألئ كل بحسب رتبته.
و عَلِمنا كذلك سرّ الولاية و الإمامة اللتين هما معدن
النور و منبعه. و كذا كيفة اتّحاد الأنوار الخمسة الطيبة و
وحدتها، و التي من جملتها المقام الأقدس للسيدة الكبرى
فاطمة الزهراء سلام الله عليها، و كيفة نشوء نورها

المقدس و إيجاده من نشء و مبدأ عالم الإيجاد و نشأة
الحياة في سلسلتي التكوين و التشريع. و مع عدم وجود
صفة الذكورة و الانوثة في عوالم التجرد، و أن الولاية
الحقّة هي ولاية الله، و هي واحدة، فإنّه و مع الأخذ بنظر
الاعتبار مسألة نشأة الكثرة فقد دُعيت بالرجال و وُضعت
في بيوت أنوار الوحي و الإلهام و ذكر الله تعالى.

و على آية حال فقد يكون سبب ذكر نور جلال تلك
السيدة الكبرى في الأخبار و الآثار بلحاظ صفة الانوثة في
عالم الكثرات، ممّا يجعل كلّ ناظر يغضّ النظر عن ذلك و
يُمنع من الاطلاع على جمالها الذي هو جمال الله. أن نور
ذلك الجمال الربّانيّ الأزليّ الأبديّ السرمديّ يبرُق و يتلأأ
بشكل يُعمي بصر كلّ عين عاجزة؛ و لهذا صار نور الجلال
حجاباً لنور الجمال. و سيملاً دويّ ملائكة القدس: **غُضُوا**
أَبْصَارَكُمْ، أسمع الخلق و أركان ساحة المحشر الكبرى
عند عبور سيّدة نساء العالمين، و تعبر تلك السيدة معدن
الولاية و منجم الإمامة يُغطيها حجاب تتدليّ منه آلاف

الحُجُزَات^١، و يربط كل واحد من شيعتها نفسه بواحدة من تلك الحُجُز و يتمسك بها. فتتقدّم صلوات الله عليها حتى تمثل بين يدي الله سبحانه في موقف عظيم و مشهد رهيب، و اضعه في كفها اليمنى رأس ولدها الحسين بينما وضعت في كفها اليسرى قميصه الملطخ بالدماء، فتقول: ربّاه! لقد ضحى ولدي الحسين بكل ما لديه في سبيلك، فهذا رأسه و هذا قميصه! فما جزاؤه عندك يا ربّ؟! فيتقدّم رضوان خازن الجنّة و مالك خازن جهنّم في الحال و يسلمانها مفتاحي الجنّة و النار، و يضعانه في كفيّ السيّدة الكبرى قائلين: أن الله

^١ الحُجُزَة ج حُجَز و حُجُزَات و حُجَزَات و حُجُزَات: مَعَقَد الإِزَار. [المنجد]. (م)

يقول: لقد أعطانا ولدك الحسين كل ما لديه، فسنعطيه

نحن كل ما لدينا؛ فخذني مفتاحي الجنة و النار و أدخلني

من شئت من أحبائك إلى الجنة، و ألقى بمن شئت من

أعدائك إلى النار، فهذا الموقف موقف العدل لديّ.

وَهَا جَلالٌ لَيْسَ فَوْقَ جَلالِها *** إِلَّا جَلالُ اللَّهِ

جَلَّ جَلالُهُ

وَهَا نَوالٌ لَيْسَ فَوْقَ نَوالِها *** إِلَّا نَوالُ اللَّهِ عَمَّ

نَوالُهُ

مِشكاةُ نورِ اللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ *** زَيْتونةُ عَمِّ الوَرِيِّ

بَرَكاتُها

هي قُطبُ دائِرَةِ الوُجودِ وَ نُقْطةُ *** لَمّا تَنَزَّلتْ

أَكثَرَتْ كَثَراتُها

هي أَحمدُ الثَّانِي وَ أَحمدُ عَصْرِها *** هي عُصْرُ

التَّوْحِيدِ في عَرَصاتِها

الْبَحْثَانُ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ: اسْتِطَاعَةُ رُؤْيَةِ اللَّهِ وَتَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ

{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
• أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
مُحِيطٌ }

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

آية: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

{ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ (أَي آيَاتِنَا) الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ شَهِيدٌ ● أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ } .

(الآيتان ٥٣ و ٥٤، من السورة ٤١: فصلت)

ضمير {أَنَّهَ الْحَقُّ} عائد إلى مُقَدَّرٍ منتزع من {سُئِرِهِمْ ءآيَاتِنَا}

لشرح الآيتين الشريفتين الآنفَتَي الذِّكْر، يتحتم علينا

البحث عن صاحب الضمير في الآية الشريفة {أَنَّهَ
الْحَقُّ}.

في اعتقاد الحقير أن هذا الضمير يعود إلى المُقَدَّر و

المستفاد من الفعل «نُري» وهو «مُرى» (أي الآية و المرأة

بلحاظ كونها آية و مرآة إلى الضمير «نا». فما هو المُرى¹

إذن؟ إنَّها في الحقيقة آيات الحقِّ المُبيِّنة

للحقِّ. إذ لا يمكن أن يكون غير ذلك بحسب البلاغة

القرآنيَّة، و كذا انسجام تتمَّة الآية المذكورة و الآية التي

تليها. فلا يمكن أن يكون عَوْدُهَا إلى {ءآيَاتِنَا}، ذلك أن

«آيات» هي جمع مؤنَّث مجازي، فلا يجوز أن يعود ضمير

المفرد المذكَّر الغائب إليها بحال من الأحوال. و أيضاً

¹ مُرى اسم مفعول من باب أرى يُرى من باب إفعال. لأنَّ اسم الفاعل منه مُرئي

و اسم المفعول منه هو مُرأى. و قد حُذِفَت الهمزة للتخفيف بعد نقل حركتها

إلى ما قبلها، مُرى و مُرى. و أمَّا مرئيٌّ فهو اسم مفعول من باب رأى يرى، و

اسم الفاعل منه راءٍ و اسم المفعول مرئيٌّ. و قد كان اسم المفعول من ذلك في

الأصل هو مرءوئى، فطراً عليه إعلال مرميٍّ فأصبح مرئيٌّ. فـ«رأى يرى» متعدِّ

إلى مفعول واحد و «أرى يُرى» متعدِّ إلى مفعولين.

لا يُعقل أن تكون مضافاً إليه بالنسبة إلى «نا»، إذ يجب أن يكون مرجع ضمير المذكر الغائب إلى اسم الجنس للمذكر الغائب، في حين أن الضمير «نا» هو ضمير جمع المتكلم مع الغير.

و كذلك لا يمكن أن يعود إلى القرآن كما قال به البعض، و أوردوا دليلاً على ذلك، و هو الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ
مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ.

و ذلك أن هذه الآية، و إن تلاءمت مع الآيات الآفاقية الأخرى و انسجمت معها، إلا أنه لا بد من تفسيرها و تأويلها فيما يتعلق بالآيات الأنفسية. و مضافاً إلى ما قيل، فإن هذه الآية لا تنسجم مع تنمة الآية المذكورة و الآية التي تليها و لا تتلاءم معها.

و كذلك الحال في مسألة عود الضمير إلى «رسول الله» إذ أن رسول الله ليس مذكوراً في سياق الكلام، اللهم إلا باعتبار التوجيه، حيث يمكن أن يقال: لأن إنكار القرآن

مُساوق مع إنكار نبوة رسول الله، فقد اشير إليه هنا
باعتباره «حق»، و هو مُساوقٌ مع ذكر القرآن، فلا يخلو
هكذا توجيهه حتماً من التكلُّف.

و لا ريب في أن الضمير المذكور لا يرجع لا إلى «الله»
و لا إلى «التوحيد»، باعتبار أن نتيجة ما حصل من إنكار
المشركين لرسول الله و للقرآن، هو إنكارهم وجود الله
أو وحدانيّته، لأنّ هذا النوع من العود يستلزم كذلك
الاستعانة بالتأويل، و لا شكّ في أن تأويلاً كهذا يُخرِجُ
القرآن من حياض سلاسته و عدوبة بيانه.

إن ما ذكرناه هنا من تأويل الضمير و عوده هو ما
ارتكز عليه و أيّده إلى حدّ ما صاحب تفسير «مجمع البيان»:
الشيخ الطبرسيّ و القاضي البيضاويّ و استاذنا الأكرم
العلامة الطباطبائيّ قدّس الله أسرارهم جميعاً. مع أن
العلامة أورد وجهاً آخر أيضاً في هذا الصدد، و باعتقاد
الحقير أنّه أقرب إلى الحقيقة، هذا في حين لفتت نظري
مطالب في كثير من التفاسير الأخرى تدعو إلى الدهشة و
الإعجاب.

فأمّا إرجاع الضمير إلى اللفظ المقدّر «مَرَى» فهو
أقرب لسببين اثنين:

أولهما: أن إرجاع الضمير في مثل هذه الحالات شائع
الاستعمال كثيراً عند العرب، و قد ورد مثله في القرآن
الكريم كذلك: {اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} ^١.

فهنا نلاحظ أن الضمير «هُوَ» ليس له مرجع لفظي في
الآية الشريفة، و لذا لزم إرجاعه حتماً إلى لفظٍ تقديريٍّ
مُستفاد من {اعْدِلُوا}، و هو فعل أمر للجمع المذكّر، و
هذا اللفظ التقديري هو الـ«عدل».

و هنا و جب إرجاع الضمير إلى كلمة «عَدْل» و ذلك
كما يتبيّن من جهة سياق و مفهوم الآية، لأننا حين نقول
{اعْدِلُوا} ثم نُتبعها بقولنا: {هُوَ أَقْرَبُ}

^١ الآية ٨، من السورة ٥: المائدة.

للتقوى}، ففي الحال يُفهم من سياق الكلام و يتبادر إلى الأذهان أن «العدل» المشتق من المصدر {اغدِلُوا} هو الأقرب للتقوى من غيره.

ثانيهما: في الآية الشريفة التي هي مدار بحثنا هنا {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} يتبادر إلى ذهننا مباشرة من أن الشيء «المُرى» هو الحق. وهو عبارة عن لفظة «مُرى»، اسم المفعول من الفعل «رُي»، بمعنى «آيَاتِنَا».

و يتوجّب علينا أن نعلم أن هاهنا تكمن مسألة عظيمة و شاهد أعظم على توحيد الله تعالى، و هي: أن الحق عبارة عن آيَاتِنَا (الآيات مضافة إلى الضمير «نا»)، و يُقصدُ بها الآيات و الدلائل التي أقرّها الله في الآفاق و النفوس للدلالة على توحيدة.

لا جرم أن جميع الموجودات، سوى الله سبحانه، هي آياته تعالى؛ سواء أ كانت تلك الآيات واقعة في العالم الخارج عن نفوس بني آدم، أم تلك الحادثة في داخلها. لذا، فليس هناك أي وجود مستقل لأي من المخلوقات، بل

هي في مجموعها آيات و مرايا و شواهد على سطوع جمال
الذات المقدسة للحقّ تعالى. و لأنّ هذه الآيات و المرايا
لا تمتلك صفة الظهور بنفسها، بل هي كلّها مظاهر لله
سبحانه، لذا صار بالإمكان رؤية الله تعالى في كلّ واحدة
من تلك الآيات. لأنّ الآية- بما هي آية- إنّما هي وسيلة
لإظهار صاحبها (أي صاحب الآية)، و لا تُبدي أو تُظهر
نفسها هي على الإطلاق. إنّها مرآة صافية خالية من أيّ
لون أو صدأ، و عارية عن كلّ أنواع التموج أو الخدوش.
مرآة تُري صورة الإنسان كما هي دون أيّة مغالطة أو
تحريف. فإنّ تغير فيها أيّ شيء أو تبدل، فذلك لأنّها غير
صافية و لا يمكنها أن تحاكي الواقع أو أن تكون ذات قيمة
تُذكر.

و على هذا فإنّ المرأة الصافية و الماء الرقاق الزلال

و الهواء النقيّ في

فضاء مُضَاء تبدو الآيَّة واضحة كلِّ الوضوح خلالها
لا يشوبها شيء، و كأنّه لا وجود لا للمرأة و لا للماء و لا
للهواء، بل أن كلِّ ما هو موجود إنّما هو موجودات ماثلة
أمام تلك المرأة و داخل ذلك الماء و مُشاهد في ما وراء
النور و الهواء.

كلِّ ما موجود هو الله و لا وجود لشيء غير الحقّ.
جميع الآفاق و كلِّ الأنفس إنّما هي آيات، و لا وجود لشيء
أو موجود غير «نا» و «الله» و «الحقّ» في ما وراءها مطلقاً.
لا وجود لغير «الله» في عالم الوجود. و كلِّ ما سواه
إنّما هو آية له لا أكثر. و هو وحده ذو الآية و صاحب
العلامة، هو كلُّ شيء و لا شيء سواه. و ذو الآية الذي هو
الحقّ في هذه العبارة، هو نفسه الآفاق و الأنفس. فالآفاق
و الأنفس هما حقّ إذن.

إن هذه الآية تُدَلِّل على أن حقيقة الآفاق و الأنفس
هي وجود الحقّ تعالى، و أنّها لا تملك شيئاً ما في حدّ ذاتها،
لأنّها إنّما وُصِفَتْ على أنّها آية و علامه، لا غير. و بالتالي
فإنّ الحقّ تعالى عبارة عن واقع الآفاق و الأنفس و

حقيقتها. أينما تُؤلَّ وجهك فثمَّ وجود الله، و إلى أيِّ شيء
أرجعت بصرك ترى فيه الله. فما أكثر الأشياء، لكنَّ الله
واحد فرد صمد. فلا موجود في عالم الوجود سوى الله.
فالتعيُّنات و الإنيَّات و معها الماهيَّات كلُّ تلك امور
عدميَّة و باطلة، و الوجود المقدَّس للحقِّ تعالى واحد،
حيث يتجلى في الآفاق و الأنفس و يظهر في كلِّ جنبه من
جنباتها.

إن كلمة {لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ} المباركة التي هي كلمة
التوحيد و معنى التوحُّد و الوحدة، إنَّها أصلها راجع إلى
كلمة لَا مَوْجُودَ سِوَى اللهِ التي تنفي كلَّ نوع من أنواع
التعيُّن عن ذات الحقِّ تعالى، و تُجرِّده منه.

و خير دليل و شاهد على هذا الكلام هو تتمَّة الآية

الشريفة:

{أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}.

أي أن الله سبحانه حاضر و ناظر و شاهد بوجوده في وجود جميع الموجودات الآفاقيّة و الأنفسيّة و كذلك في كلّ شيءٍ يمكن أن تُطلق عليه كلمة شيء، لا بكونه موجوداً آخرّاً أو في مكانٍ آخر، و أن مُجرّد علمه هو المحيط بالموجودات للتقدير فيها أو التحكّم بها.

الله تعالى ظاهر في آيات الآفاق و الأنفس، لكنّ الناس يشكّون في لقائه

و أعجب من هذه التتمة هي الآية التي تليها:

{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

مُحِيطٌ}.

فما السبب في كون هذه الآية أعجب و أغرب؟

السبب في ذلك هو أن الله سبحانه يقول: أن الناس ليشكّون في لقاء الله ربّهم في حين أنّه موجود في الآفاق و الأنفس، و أن واقع الآفاق و الأنفس هو الله الذي برز من خلال الآيات و العلامات، و تجلّى فيها بوضوح. فلمّا كان الله سبحانه موجوداً في الآفاق و الأنفس و مشهوداً في كلّ جزء منها، و لمّا كان الله أوّل شيء ينظر إليه الناس من

خلال رؤيتهم لأيّ شيء حولهم و لكلّ نفس من نفوسهم،
فلم، و الحال كذلك، يشكُّ الناس بوجود الله و يرتابون
في أمره و لقاءه، مع وضوح تلك الآيات و جلاء تلك
الصور و العلامات!؟

ثمّ يقول سبحانه { **إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيّطٌ** }، و هذا لا
يعني الإحاطة العلميّة الحضورية أو الحسوليّة، بل أن ما
يعنيه هو الإحاطة الوجوديّة و إحاطة المعية التي يتجلى
فيها **أوّلاً** عبر وجوده مع كلّ آية و آية علامه في الآفاق و
الأنفس و إحاطته بها، ثمّ تعيّن تلك الآية و تشخّصها **ثانياً**
و بالعرض و المجاز.

الله **أوّلاً** و من ثمّ باقي الموجودات. هو السابق و ما
دونه مسبق مغلوب. هو القائم و ما دونه إنّما هو يتقوّم
به. هو الظاهر و به تظهر الأشياء و تتجلّى.

الله نور و ما دونه فهو مُنَوَّرٌ بنوره. و لو كانت الأشياء
قادرة على إظهار الله، لاستبدلت مكانها بمكانه، و
لأصبحت هي الإله، و لأصبح الله هو المخلوق، و
لأصبحت الأشياء في سلسلة أعلى مراتب العلل، و لكان
الله هو المعلول. لا يمكن لله أن يتكل على غيره، لا في
أصل الخلق و لا في الظهور و الآيتية. لذا، فتعبير هو الحق
يعني أنه هو الموجود الأصيل عبر جميع مراتب الوجود،
من أصل الوجود و من الظهور خلال مراتب الوجود.

و حيث علمنا أن الله سبحانه هو أصل النور و مبدأ
الظهور و أصالة التحقق و الوجود في الآفاق و في
الأنفس، لذا و جب أن نعلم: كيف يتسنى للإنسان معرفة
هكذا رب؟! فلو أراد الوصول إليه عن طريق معرفة غيره،
لم يصح ذلك، لأن ما دون الله متعلق بظهوره بالله سبحانه،
إذ الله هو المانع لظهوره فظهر كما يظهر، فكيف يكون
بالإمكان إذن الوصول إلى الله، مع علمنا بأن الذي نروم
معرفة الله عن طريقه إنما هو ظاهر بظهور الله المُظهِر
لذلك الشيء؟!!

إن المصباح المضيء في مسجد، مضيء في نفسه و ذاته، و أمّا بقيّة الأشياء المضاءة في ذلك المسجد، فهي مضيئة بنور ذلك المصباح، لا بنورها هي بالذات. فنور المصباح ينتشر في ظلّمة المسجد، و الأشياء الموجودة في غياهب ذلك المكان تُضيء و تُنير بضياء المصباح و نوره. فَلِكَيْ نرى ذلك المصباح و نتعرّف عليه، يتوجّب علينا رؤيته هو بذاته و ليس نوره الساقط على الأشياء. لا يمكننا بحال من الأحوال رؤية المصباح نفسه من خلال نوره الساقط على الأرض و المنعكس عن هذا الشيء أو ذاك. يجب رؤية المصباح بنفسه، لا بالأشياء المظلمة المعتمة و المُنارة بنوره و المستضيئة بضياءه.

إن هذه المسألة شأنًا من الشؤون، إذ يجب معرفة الله عن طريق الله لا غير الله ممنّ أساس وجوده وخلقته و تسويته و حقيقته و ظهوره مأخوذ من الله و مبنيّ على وجوده.

و هنا تبرز مسألة أخرى إلى حيز الوجود، و هي أنّه كيف يمكن معرفة الله بواسطة الله نفسه سبحانه؟ و ما العمل بشأن كلّ تلك الأخبار الدالّة على استحالة معرفة الإنسان لله تعالى أو الوقوف على كنه ذاته المقدّسة؟

لا سبيل إلى معرفة الله إلّا عن طريق آثار الله الدالّة عليه. و مع ذلك فإنّ تلك المعرفة لا يمكن أن تكون تفصيليّة، بل إجماليّة. الحقّ أن الأرض و السماء و الخُضرة و الماء و الموجودات من الذرّة حتى المجرّة، مروراً بالبرغوث و البقّة حتى الفيل، أقول كلّ تلك المخلوقات هي مشاهد تدلّ على وجود الله سبحانه. هي آيات و علامات تدلّ كلّ واحدة منها على وجود الله، كلّ حسب سعته الوجوديّة. القرآن نفسه يدعونا إلى تتبّع تلك الآثار و الرجوع إليها كأصدق بيّنة على وجود الله.

و من هنا تتجلى مصداقية الحكمة القائلة **تَفَكَّرُوا فِي**

آلَاءِ اللَّهِ؛ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ^١.

و من جهة أخرى علمنا أنه لا يمكن معرفة الله

سبحانه عن طريق الموجودات، إذ كما قلنا لا يمكن

معرفة الله إلا عن طريق الله نفسه. و قد وردت روايات

كثيرة في هذا الباب في أن الإنسان باستطاعته معرفة الله

بذاته.

كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب يوماً فسأله

أحد الحاضرين قائلاً: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟!

فأجاب عليه السلام: **كَيْفَ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ؟!**

^١ يقول الشيخ نجم الدين الرازي في رسالة «عشق و عقل» ص ٥٣ و ٥٤، بعد

بحثه حول الصالحين المحبوبين عن نور الله: «هذه الطائفة هي أصحاب

الميمنة، و مشربهم يكون من عالم الأعمال، و يكون معادهم درجات جنات

النعيم؛ و مع ذلك فلا سبيل لهذه الطائفة إلى معرفة ذات الله و صفاته في الحقيقة،

لأنهم ما زالوا مقيدين بأفة حُجُب الصفات الروحانية و النورانية؛ إذ أن لِلَّهِ [

تَعَالَى] سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَ ظُلْمَةٍ. و قال في مكان آخر: حِجَابُهُ النُّورُ،

لَوْ كُشِفَتْ لِأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ. و لذا قيل

لهذه الطائفة: احذروا من خلط العقل بالعقل في مجال التفكر في ذات الحق جلّ

و علا، لأنه ليس له حدّ؛ تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ».

ثم أوضح عليه السلام ذلك بقوله:

لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ؛ وَ لَكِنْ تَرَاهُ الْقُلُوبُ

بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.

و لدينا من الآيات القرآنيّة الشريفة ما يناهز العشرين
آية أو أكثر و كلّها تدلّ على أن الناس سينالون شرف لقاء
الله في يوم ما، دون ريب.

و بين هذه المجموعة من الأخبار و تلك وقع العلماء
في أشدّ حيرة من أمرهم، قائلين: كيف يمكن حلّ مثل هذه
المعضلة؟!

فنهج البعض منهجاً يقول بأنّ الأخبار التي دلّت على
عدم إمكانيّة

رؤية الله عزّ وجلّ وإدراكه و معرفته كلّها صحيحة؛
فإنّه لا سبيل لبني آدم إلى معرفة الله بأيّ شكل من
الأشكال، سواء كانت تلك المعرفة إجمالية أم تفصيلية.
فأين الخالق من المخلوق؟ أين التُّرابُ وَ رَبُّ الأربابِ؟!
آيات الشبستريّ الرفيعة في عدم إمكان معرفة الله بغير الله عزّ وجلّ

سأل أمير حسين الهرويّ، عارف خراسان الكبير سنة
٧١٧ للهجرة العالم المعروف في شبستر آنئذٍ وهو الشيخ
محمود الشبستريّ، قائلاً:

كدامين فكر، ما را شرط راه است؟ *** چرا گه

طاعت و گاهی گناه است؟^١

فأجابه الشيخ قائلاً:

در آلا فكر كردن شرط راهست *** ولي در ذات

حقّ محض گناه است

بود در ذات حقّ اندیشه باطل *** محال محض دان

تحصيل حاصل

^١ - يقول:

«أي رأيي التزم أو منهج *** فأعصى مرّة ثم أتوب؟»

چو آیات است روشن گشته از ذات *** نگرده

ذات او روشن ز آیات

همه عالم ز نور اوست پیدا *** کجا او گردد از

عالم هویدا^۱

نگنجد نور ذات اندر مظاهر *** که سبحات

جلالش هست قاهر

رها کن عقل را با عشق می باش *** که تاب خور

ندارد چشم خفّاش

در آن موضع که نور حقّ دلیل است *** چه

جای گفتگوی جبرئیل است

فرشته گرچه دارد قرب درگاه *** نگنجد در

مقام لی مع الله

^۱ يقول: «أن التفكير في الآلاء شرط للوصول إليها، لكن التفكير في ذات الحقّ إثم محض.

إن التفكير في ذات الحقّ أمر باطل و هو أمر محال فاعلم ذلك.

إن الآيات ظاهرة و جلیّة بذاته و لیست ذاته جلیّة بالآیات.

فالعالم كلّ ظاهر بنوره، و لكن أنّی أن يظهر هو بواسطة هذا العالم.»

چو نور او ملك را پر بسوزد *** خرد را جمله پا و

سر بسوزد

بود نور خرد در ذات انور *** بسان چشم سر در

چشمه خور

چو مُبَصَّر با بصر نزيك گردد *** بصر از درك

او تاريك گردد

سياهي گر بيني نور ذات است *** به تاريكي

درون آب حيات است^۱

سيه جز قابض نور بصر نيست *** نظر بگذار

ك اين جاي نظر نيست

^۱ يقول: «لا يمكن أن تُحدَّ نور ذاته بالمظاهر، لأنَّ سُبُحات جلاله هي القاهرة. اهجر العقل و ذُب في العشق، فإنَّ عيون الخفَّاش لا طاقة لها برؤية نور الشمس. في ذلك الموضوع الذي يكون نور الحقِّ فيه هو الدليل لا مكان لحديث جبرئيل. فالملك لا يمكنه أن يكون في مقام «لي مع الله» وإن كان قريباً من ساحته عزَّ و جلَّ.

ذلك أن نوره يُحرق جناح الملك، و يُحرق العقل بتماه.

مثَل بصيص النور في ذاته النيِّرة كمثل العين الباصرة بالمقارنة مع المصبِّ.

فلو اقترب المُبَصَّر من البَصَر، لأظلمَ البَصَر و عجز عن دركه.

فإن تحسب نور ذاته سواداً، فهذا السواد و تلك الظلمة يحويان ماء الحياة».

چه نسبت خاک را با عالم پاک *** که ادراك است

عجز از درك ادراك

سياه روئی ز ممکن در دو عالم *** جدا هرگز نشد

و الله أعلم

سوادُ الوجه في الدارين درویش *** سواد اعظم

آمد بی کم و بیش

چه می گویم که هست این نکته باریک *** شب

روشن میان روز تاریک ***^۱

^۱ يقول: «ليس السواد سوى قابض و خاطف لنور البصر، فافهم أن هذا ليس مكاناً للنظر.

أين التراب من عالم الطهارة، فإن الإدراك هو العجز عن درك الإدراك. سواد الوجه ليس منفصلاً عن الممكن في كلا العالمين، والله اعلم. إن سواد الوجه في الدارين درویش، و قد جاء السواد الأعظم من غير زيادة أو نقصان.

فما ذا نقول في مسألة دقيقة كهذه، فهي كالليل المضيء في نهار مظلم». «گلشن راز» لنجم الدين محمود بن عبد الكريم الشبستري، ص ۱۱ إلى ۱۳، بخط عماد الأردبيلي، منشورات مكتبة الأحمدي، شیراز، ۱۳۳۳ هـ؛ و قد أورد آية الله العلامة الكبير الحاج الشيخ آقا بزرگ الطهراني قدس الله سره في «الذريعة» ج ۱۸، ص ۲۲۶ و ۲۲۷ ما يلي: «۱۳۰»: «گلشن راز»:

قصيدة بالفارسية للشيخ العارف سعد الدين محمود الشبستري صاحب «مرآة المحققين» والذي ذُكر في «كشف الظنون» أن هذا الكتاب هو من كتب الشيعة، وقد ذكر له أربع شروحات. وهذه القصيدة هي جواب على سبعة عشر سؤالاً على شكل أبيات شعريّة و الذي بعث بها إليه من خراسان السيّد أمير حسين الهروي: خليفة بهاء الدين زكريّا-

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

١ (...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

المَلتاني: خليفة شهاب الدين السهرورديّ. فأما السؤال الأوّل:

ز اهل دانش و ارباب معنی * سؤالی دارم اندر باب معنی**

يقول: «عندي سؤال لأهل العلم و أرباب المعنى في باب المعنى».

أوّل «گلشن راز»:

بنام آنکه جان را فکرت آموخت * چراغ دل به نور جان برافروخت**

يقول: «باسم من علّم الروح التفكير، و أنار سراج القلب بنور الروح».

و في ذلك قوله:

نشان ناشناسی ناسپاسی است * شناسائی حقّ در خودشناسی است**

يقول: «أن الجحود علامه اللامعرفة (الجهل) و معرفة الحقّ هي في معرفة

الذات».

و في النهاية يذكر وجه تسمية ذلك إذ يقول:

از آن گلشن گرفتیم شمه ای باز * نهادم نام او را «گلشن راز»**

يقول: «أخذتُ من الرياض قطعة و أسميتها «گلشن راز» (= رياض الأسرار)».

و ذكر تأريخه بقوله:

گذشته هیفده از هفتصد سال * ز هجرت ناگهان در ماه شوال**

يقول: «في شهر شوال، سبعمائة و سبع عشرة مضيّن من الهجرة».

و آخر بيت منه هو:

فلو قضى الإنسان سنيّ حياته بالجهد و الاجتهاد و التفكير و الاسترشاد، لما وصل إلى نتيجة ترضيه أو حلّ يُغنيه، و دليل ذلك الأخبار المرويّة هنا. و أمّا الأخبار القائلة بأنّ الإنسان يرى الله و تحصل لديه المعرفة به، فيجب حملها على المعنى المجازي. أيّ أن معنى رؤية الإنسان لله تعالى هو أن يرى نِعْمَهُ و مخلوقاته العينيّة و

بنام خویش کردم ختم پایان *** الهی عاقبت «محمود» گردان

يقول: «ختمت الكتاب باسمي، فاجعل اللهم عاقبتنا محمودة».

و قد طُبع مع شرحه في «مفاتيح الإعجاز». و له شروح أخرى كذلك تزيد على أحد عشر شرحاً؛ منها تعليقات الخواجة عبد الرحيم الخلوّقيّ. (علماء آذربايجان: ١٤٢) و قد ذكر الميرزا حسن شفيع زاده الشبستريّ تلك الشروح في كتابه الكبير الذي ألفه في ترجمة الشبستريّ.

و قد تُرجم «گلشن راز» إلى اللغة الألمانيّة سنة ١٢٥٤ هـ (الموافق لسنة ١٨٣٨ م). و كذلك تُرجم شعراً إلى اللغة التركيّة، و نُظّم بالفارسيّة على شكل تخميسات. و قد شرح محمّد ابن محمود الدهدار بيتاً واحداً سمّاه «مرآة الحقائق»، و له شروحات أخرى لأبياته منفردة. و جدير بالذكر أن نُسخ الكتاب الخطيّة متوفّرة في الأسواق؛ و أمّا أقدم تلك النسخ، حسب علمي، فتوجد عند مهدي البيانيّ في طهران و يرجع تأريخها إلى سنة ٧٥٤ هـ، و (أدبيّات: ١٠٩ د) بتأريخ النصف من رجب سنة ٨٣٠ هـ و (دانشگاه: ١٩٣٠) ربيع الأوّل ٨٣٥ هـ و (مجلس: ٩٦٦) و الذي كُتب في سنة ٨٥٨ هـ-».

ملائكته و رضوانه و منازل الجنة و الحور و القصور في
الجنة، ليس إلا.

في حين يعتقد البعض الآخر أن بالإمكان رؤية الله عزّ
و جلّ، و يؤوّلون الروايات القائلة بعدم القدرة على رؤية
الله سبحانه على أنّها تريد بذلك عدم إمكانية رؤيته تعالى
بالعين الإنسانية الموجودة في رأس الإنسان، و لم تقل
بعدم إمكانية ذلك بعين القلب؛ و تريد بذلك عدم إمكانية
رؤيته تعالى بالباصرة و لم تُصرّح أن ذلك غير ممكن
بالبصيرة، و على هذا فتلك الأخبار مفهومة القصد.

إن الإنسان يرى الله بحقائق الإيمان، و هذا ممّا تدلّ
عليه الآيات القرآنية، بل الحقّ أنّها تُصرّح بذلك دون لبس
و لا مجال للاعتقاد بكونها مجازية. و لم يتكلّم الله بالمجاز؟
هل اغلقت طرق الصراحة و الحقيقة أمامه حتى يذكر في
أكثر من عشرين مكاناً في القرآن الكريم لقاءه و التأكيد
على ذلك؟ و هل هدفه من كلّ تلك الآيات هو التقاء أنواع
مختلفة

من التفاح و الكُمثرى و العنب و الرُّطَب و الحُور

العين و الغلمان { جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }!؟

إذن، و الحال هذه، علينا أن نُؤوِّل الأخبار التي تُؤكِّد على عدم إمكانيَّة رؤية الله عزَّ و جلَّ على أنها نتيجة لدرجات المعرفة غير التامَّة، مقارنة بإمكانيَّة رؤيته تعالى، بل إمكانيَّة حدوث ذلك و تحقُّقه في الخارج. تلك المعرفة أو المعارف الجزئيَّة التي تحدث للناس كالمعرفة الحاصلة بالذات و الحقيقة عن طريق شبح أو صورة حسب تصوُّرهم، فيريدون بذلك التوصل إلى كفيَّة و كميَّة الله عزَّ و جلَّ و شكله و صفاته، حيث يجعلون كلَّ ذلك بمثابة آية لله ذي الآية.

إننا نجد أنفسنا مضطَّرين لبيان مقدِّمة هنا إذا شئنا الفصل بين هاتين المجموعتين، مستعينين بحول الله و قوَّته. و مع كون هذه المقدِّمة بمثابة قانون علميِّ و قاعدة حِكْمِيَّة و فلسفيَّة، إلا أنَّنا سنسعي جاهدين في بيانها بصورة مبسَّطة حتى يكون بالإمكان فهمها:

حتي يكون بإمكان أيّ موجود الحصول على معرفة كافية و علم شامل عن موجود آخر، يتوجب وجود شيء من ذلك الموجود (الثاني) في هذا الموجود (الأول). إننا نرى الكثير من الموجودات في العالم من حولنا، منها الإنسان، و الحيوان على مختلف صورته و أشكاله و آثاره و خواصّه، فالبقر و الغنم و الإبل و الطير و البطّ، كلّ هذه تختلف عن بعضها البعض.

و هناك الشجر و الحجر و الماء. و هي كلّها موجودات كثيرة مختلفة، و الكثرة تستلزم ذلك الاختلاف و التنوع الموجود فيما بينها.

فالشجرة كيان منفصل عن الحيوان، لأنّها تختلف و تتميز عنه، و إلّا لكان الاثنان شيئاً واحداً. و زيد غير عمرو، و الوالد ليس بالولد. فلو كانا

متشابهين تماماً في جميع الجهات لما كانا اثنين بل كانا واحداً. و هذه المقدمة مفهومة و لا تحتاج إلى نقاش.

و الآن، و بعد أن علمنا أن في هذا العالم و هذه الدنيا كل تلك الكثرات، كيف يمكن لشيء ما أن يتوصّل إلى معرفة شيء آخر و العلم به؟! فمثلاً، كيف يعلم الخروف بوجود بقرة هاهنا، و يتوصّل الجمل إلى العلم بأن الحصان حيوان لا عداوة له معه؟ و يفهم الثعلب أن الأسد عدوّ لدود له، و يدرك الخروف أيضاً أن الذئب عدوّه و قاتله، و هكذا الحال مع جميع أصناف الحيوانات؟

إن الإنسان يعرف الكثير من الموجودات، فهو يعرف الشجرة و الحيوان و الأفراد من أنواع جنسه، مع أن تلك الأشياء منفصلة عن الإنسان مختلفة عنه في كثير من النواحي، و هو أمر بديهيّ و معروف، إلا أن الإنسان يعلم بها و يتعرّف عليها بهذه البساطة. فكيف تسنّي له ذلك؟ لقد توصّل الحكماء الأفاضل إلى إنشاء قانون مفاده:

قاعدة: لا يعرف شيء شيئاً إلا بما هو فيه منه

لَا يَعْرِفُ شَيْءٌ شَيْئاً إِلَّا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْهُ.

فحين أعلم بوجود حيوان، كالحروف مثلاً، فما مقدار ما أستطيع الحصول عليه من المعرفة بهذا الحروف؟! بنفس الكم الموجود من الحروف في ذاتي شخصياً. فما الموجود من الحروف في ذاتي؟ هل هي الحيوانية، أم الإحساس؟ هل هي الحركة بالإرادة، أم الجسمية أم الجوهرية؟ أم هل هي الآثار والخواص ولوازمها (كالقوة المغذية أو النامية أو الدافعة أو المؤلدة و غير ذلك) و إدراك الجزئيات؟ ربّما كان ذلك الحس المشترك و معرفة الصديق و العدو (بما يتناسب و حصول المنفعة و اجتناب الضرر)؟ كلّ تلك الامور هي خواصّ و علائم مشتركة موزعة بين شخصي و بين الحروف بالسوية، و قد استفاد كلّ منا مشتركاً من تلك الخواصّ

و العلام.

و على الرغم من ذلك، فلا سبيل أمامي على الإطلاق
للعلم بالخروف من خلال الخصائص و المميّزات التي
تفصلني عنه و تميّزني منه. لأنّه، و على افتراض حصولي
على علم بالخروف، سواء كان ذلك العلم في « ما به
الاشتراك » معه أم في « ما به الامتياز الامتياز » عنه، فعلى
أساس تلك الفرضيّة، و جب أن أكون أنا الخروف عينه و
الخروف هو عيني، و هذا ما يدعي بالخلف.^١

إن العلم بأيّ موجود و الاطلاع عليه من قبل موجود
آخر و التعرّف عليه يتأتّى من طريق معرفة الخواصّ
المشتركة فيما بين هذين الموجودين و ليس من
الامتيازات بينهما، فطريق العلم و العرفان مفتوح فقط في
بيان المشتركات (أو الخواصّ المشتركة)، في حين أن
الطريق نفسه مسدود عند البحث في المتميّزات، و إلاّ كُنّا
جميعاً متشابهين، و لتشابهت كلّ الموجودات كذلك مع
بعضها البعض. اي لو كان المجال (مجال العلم و

^١ اي ما يُستدلّ فيه بامتناع أحد النقيضين على تحقّق الآخر. (م)

المعرفة) مفتوحاً للبحث في جميع الجزئيات و الكثرات،
لأصبحت كل الموجودات بالضرورة موجوداً واحداً. و
لكان الحصان و البقر و الجمل و الخروف و الطيور و
الزواحف و الحيوانات البحرية و الجوامد و النباتات و
قبائل الجنّ و الملائكة، موجوداً واحداً لا اختلاف يُذكر
بينها، فتزول بذلك الأسماء عن المسميات و تدعى كلها
باسم واحد.

و الآن، و جب أن نسأل أنفسنا نحن الذين نريد
التعرّف على الله عزّ و جلّ، مَنْ هو الله الذي نروم التعرّف
عليه؟! أين الله عزّ و جلّ و أين نحن؟ فنحن مخلوقون و
هو الخالق، و نحن مرزوقون و هو الرازق، و نحن
معلومون و هو العالم، و نحن مقدور علينا و هو القادر، و
نحن محكومون

و هو الحاكم، و نحن مملوكون و هو المالك، و هكذا

دواليك .

قابلية الإنسان في الحلقة لا متناهية

الله عزّ و جلّ هو خالقنا، و هو الذي وهب لنا الجسد

و الفكر و العقل، و منحنا الروح و النفس، و تلك كلّها

مجرد مظاهر من لدن الله. و الله ظاهر في ذاته عزّ و جلّ، و

هو الذي فرض لنا الظهور و وهبنا إيّاه، لكنّ هذا الظهور

إنّما هو ظهور مستند إلى ظهوره هو عزّ و جلّ .

ما مقدار القوّة و الاستطاعة التي نملكها حتى نعرف

الله بواسطتها؟! أن ذلك المقدار هو مقدار وجود الله

سبحانه في ذواتنا. و ما هو المقدار الموجود من ذات الله

عزّ و جلّ فينا؟! ما المقدار من ظهور الله؟! ما المقدار من

علم الله؟! ما المقدار من قدرة الله؟! و أخيراً، و ليس

آخرأ، ما المقدار من حياة الله؟!

لقد خلقنا الله عزّ و جلّ {أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ} ^١ و أودع
 فينا من جميع الأسماء الحسنى و الصفات العليا، و جعل
 أنفسنا من الهيولى (أي قابليّة محضة لأية فعلية متصوّرة في
 طريق التقدّم و الكمال و التخلّق بأسمائه و صفاته). و لم
 يجعل لنا حدّاً و لا حدوداً من جهة الاستعداد و القدرة
 على التقدّم و التكامل و الارتقاء في سلّم اليقين و الوصول
 إلى العرفان و التوحيد و الفناء في ذات الله المقدّسة و
 الرّسو عند صفاته الحسنى. فكما أنّه عزّ و جلّ غير متناهٍ
 ذاتاً و وجوداً و فعلية في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله،
 فقد جعلنا نحن كذلك لا متناهين قابليّة و إيجاداً و
 استعداداً.

و على هذا، فبإمكاننا التقدّم إلى قمّة درجات صفاته و
 أسمائه من جهة الإمكان و الاستعداد، و بإمكاننا أيضاً
 التخلّق بجميع ذلك كلّ. أمّا من حيث الفعلية و تحقّق

^١ مقتبس من الآية ٤، من السورة ٩٥: التين: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}.

تلك القابليّة وتمرکزها حول الحياة و الصفات و الأفعال،

فإنّ

ذلك منوط بالحركة و الجهاد مع النفس و سلوك
الطريق الواصل إلى الله سبحانه.

فإذا ابتعدنا في مسيرنا عن جلاله و نأينا بأنفسنا عن
مسلكه، و خُضنا في هوى النفس الأمّارة بالسوء، و
أَعْتَمَتِ الطبيعة و الكثرة أبصارنا، و أغشّت أذني العوالم
نواظرنا، و لم نُعِرْ أهْمِيَّةَ تُذَكِّرُ لنور الوجود و البساطة في
الإطلاق و التجرّد، و صار جُلُّ سعينا هو الإستمرار في
السّير في طريق الابتعاد و العزلة، ففي هذه الحالة علينا أن
نعترف أنّنا لم نعرف الله إلاّ النزر اليسير، و أنّنا هدرنا
قابليّاتنا و إمكانيّاتنا تحت شعار الجهل و الحماقة و الكسل،
لأنّنا، و مع الأسف، لم ننتفع من وجود الآصرة بيننا و بين
خالقنا على الوجه الصحيح.

و أمّا إذا صعد البشر سُلماً أفضل، و رقي فيه درجة
أعلى، و أبصر العالم ببصيرته من زاوية أوسع، و جهد في
إصلاح نفسه مُخْلِصاً إياها من الكثرات و الموجودات
المختلفة و المتفرّقة و المتشّتة و المتبدّلة، فيكون بذلك
قد عرف الله عزّ و جلّ بنفس ذلك المقدار، لأنّ الله العليّ

الأعلى مثله كمثل الشمس الساطعة في كبد السماء التي
تُضيء العوالم كلّها، و لو أطرقتنا برءوسنا إلى الأسفل و
أرخبنا عيوننا إلى الأرض، فإننا لن نرى إلا نور تلك
الشمس في هذا الرفّ أو ذاك، أو في هذا البستان أو ذاك.
و أمّا إذا رفعنا رؤوسنا قليلاً إلى الأعلى و تخلّلت أبصارنا
الغيوم و اخترقت ركام السحاب، فلا ريب في أنّا سنرى
قدراً أكبر من نور الشمس لم نكن لنراه و نحن مطرقي
الرءوس، و سنبصر الافق بقعة منيرة و مكاناً ساطعاً
بسبب ذلك النور. و لو عرجنا من هناك إلى مرتبة أعلى
فسيكون بإمكاننا مشاهدة قرص الشمس المتوهّج
المُشعّ بنوره على وجه الأرض. و لو حالقنا الحظّ و قدرنا
على الصعود أكثر فأكثر فإننا سنرى بعض الكريّات التي
تُدعى

بالكواكب و السيّارات في منظومتنا الشمسيّة. و إنّ
استمرّينا في العلوّ حتى اقتربنا من قرص الشمس فإنّنا
سنطلّع على خصوصيّات أكثر لها كلّما سنحتّ لنا الفرصة
من الاقتراب نحوها أكثر.

كذلك الحال مع الإنسان، فلأنّه موجود يعكس كلّ
الصفات الجماليّة و الجلاليّة الربانيّة، و هو أيضاً يمثّل
الظهور التامّ و المظهر الأتمّ لله عزّ و جلّ، فهو يمتلك
قابليّة المرونة و المسير معاً. لكن، ما هي قابليّة مرونته و
ما هو مسيره؟ هي تجاوزه للموجودات الباعثة على التفرّق
و الفرقة، للهواجس النفسانيّة الباطلة التي تحيط بعقيدته،
للخيالات و الأحلام المموّهة و الأفكار المشوّهة التي
تذهب به بعيداً عن عالم القرب، فليست قابليّة المرونة إلّا
مجموع ذلك، و لا شيء غيرها.

يتحتّم على الإنسان أن يترفّع بمنزلته و ينأى بها عن ما
يقتاته الحيوان في زريبتة، و يأنف عن الناسوت و الهادّة و
يتنزّه عن أصالة الطبيعة. عليه أن لا يعير كلّ ذلك اهتماماً
استقلاليّاً أو أهميّة كبيرة، و أن يتوجّه نحو عالم الملكوت

و يوجّه فطرته إلى الوجهة الربّانية و ملكوتها، و أن يذوب
و ينصهر فيها، و أن يصرخ بأعلى صوته:

{وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ • قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي
وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لَا شَرِيكَ لَهُ وَ
بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} ١.

فحينئذٍ، و كلما كانت وجهة القلب تزداد ميلاناً إلى
هذا النحو، سيقرب أكثر من عالم القدس الذي هو عالم
الطهارة و التجرد و النقاء و القدس، و سيزداد اتّصافاً
بالصفات الإلهية، حتى يوفّق بعد ذلك إلى لقاء حقيقيّ برّبّه

١ هذه الفقرة من الدعاء هي من ضمن الأدعية السبعة في التكبيرات الافتتاحية
في الصلاة و التي ذكرها آية الله السيّد محمّد كاظم اليزديّ أعلى الله مقامه في
كتاب «العروة الوثقى» في باب الصلاة، فصل (تكبيرة الإحرام)، و هو دعاء
مأثور عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، مقتبس من آيتين من اي القرآن
الكريم، الاولى: الآية ٧٩، من السورة ٦: الأنعام، و هي قوله تعالى حكاية عن
قول إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. و الثانية الآيتين ١٦٢ و
١٦٣، من نفس السورة، هي قوله تعالى خطاباً للنبيّ الأكرم يأمره أن يقول
للمشركين: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لَا
شَرِيكَ لَهُ وَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

فيصبح حقاً و واقعاً من العارفين بالله عزّ و جلّ . و هو لن يُوفَّق للقاء بخالقه و حسب، بل و كذلك سيتخلّق بأخلاق الحقّ تعالى بكلّ وجوده من قمّة رأسه حتى أخمص قدَمَيْهِ .

إمكان معرفة الله التامة و لقائه الحقيقي من قبل المقرّبين إلى ساحته

أن الذين يقولون: «لا يمكن للإنسان الوصول إلى معرفة الله سبحانه و لقاءه، و هو عاجز عن الوصول إلى ذلك المقام المنيع و تلك الذروة الرفيعة و لا حتى إيجاد السبيل إلى ذلك، فإنّ هذه المقولة ستصحّ ما دام بقي من وجوده و كيانه شيء يذكر، فهذا الوجود هو مخلوق، و المخلوق هو ما امتلك حالة التعيّن، فلا يمكنه، و الحال هذه، إيجاد سبيل ليصل به إلى الخالق الذي يفتقد التعيّن و اللامتناهي. ليس بمقدور الإنسان معرفة الله بوساطة الفكر و التفكير و لا حتى بطريق الإدراك، ذلك أن الفكر و التفكير محدودان بينما الله سبحانه لا حدّ له. فكلّما حاول الإنسان جهده الإحاطة بالله بالتفكّر و القدرة العقليّة كان ذلك له محالاً، ذلك لأنّ صورة تفكيره، و هو ذهنه، هي

صورة تخيَّليَّة من صُنْعِه و صنيعته هو، فأين ذلك من الله
عزَّ و جلَّ؟

لذا، فإنّ الأخبار الدالّة على أن الإنسان عاجز عن معرفة الله تستند كلّها بالأساس إلى هذا المعني. و أمّا الأخبار القائلة بإمكانية تشرف الإنسان بلقاء ربّه و حصوله على معرفة تامّة به، فهي لا تستدلّ بإمكانية هذا الوصول و ذلك اللقاء عن طريق الفكر و التفكير، بل عن طريق الوجدان و الإحساس في القلب. أيّ كأثم يقولون: اجتز حاجز الفكر و تخطّ حدود العقل، ثمّ اخلع عنك النّفس و ترفع عن القلب كذلك، ثمّ صلّ إلى مرحلة لا ترى فيها وجوداً لذرة من كيانك و لا تجد فيها ما كان منك فيما سبق، و حينئذٍ، تلاش!

فلا وجود هناك لفكر أو عقلٍ أو نفس أو روح أو وجود بالمرّة. فليس هناك مجال لالتئام الفكرة أو تجسّد الشعور أو الإدراك. ليس هناك من موجود يُذكر. هناك، حيث يوجد الله و حسب! و الله يعرف نفسه و يعلم ما فيها. في تلك اللحظة فقط يستطيع الإنسان أن يعرف الله، تلك اللحظة التي لم يعد فيها ذلك الإنسان إنساناً، لم يعد يدرك معني لوجوده مقابل ذات الله عزّ و جلّ. فمتى

برزت ذرة من الوجود لم يعد لنور الله وجود في مقابل ذلك.

فهذا العالم هو عالم المقرّبين الذي تجردوا من كلّ شيء، ولا مقام لأيّ شيء آخر بينهم، اي أنّه لا وجود لهم. فهم لا يملكون وجوداً، لكنهم أحياء بحياة الله، و في الوقت نفسه فهم موتي من حياتهم. وهم لا يملكون شيئاً يتباهون فيه أمام وجود الله. هناك يوجد الله، و الله فحسب. هؤلاء قد اجتازوا مراتب الكثرات، و عبروا حدود التعيّنات، و خلعوا عن أنفسهم الحُجُب و أزالوا عنها الستار، و هم بالتالي قد جاوزوا حُجُب الظلمات و حُجُب النور.

لقاء النبيّ الله تعالى ليلة المعراج، وإيحاء الله إليه

و لقد اجتاز الرسول الأعظم كلّاً من كثرات عالم

الطبع و عالم البرزخ

و عالم العقل - كلاً حسب ما يناسبه-، هذا من جهة،
و من جهة أخرى فقد اجتاز منزلة نفس الملك- التي
تمتلك التعيين و الحدّ كذلك- حتى وصل إلى مقام «قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» حيث لا يوجد شيء سوى الله وحده!

{... وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى • ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى • فَكَانَ
قَابَ قَوْسَيْنِ (ذراعين) أَوْ أَدْنَى • فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا
أَوْحَى • مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى • أَ فَتُمارُونَهُ عَلَى مَا
يَرَى • وَ لَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَى • عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى •
عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى • إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى • مَا
زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى • لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى
• أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى • وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى
(التي هي نماذج مؤنثة من الملائكة السماويين و واسطة
لنزول فيض الله تعالى إلى الأرض)، {أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَ لَهُ
الْأُنْثَى • تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى} (أن يكون لله قوى
انفعاليّة و يكون لكم قوى فعلية)، {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ
سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ
مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } (القرآن و الرسالة).^١

لقد كان المراد من {شَدِيدُ الْقُوَى} هو الله صاحب
المقام الأقدس، كما في قوله تعالى: أن {اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو
الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.^٢

و أمّا القول بأنّ المراد من ذلك هو جبرائيل فمستفاد
من الآية المباركة: {ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}^٣،
و على هذا الأساس فالمقصود

ب {شَدِيدُ الْقُوَى} هو جبرائيل، و أن الضمائر
المذكورة في الآيات: {ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} ● وَ هُوَ بِالْأَفُقِ
الْأَعْلَى ● ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ● فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}،
كلّها تعود إليه أيضاً. و كذا الحال مع ضمير المفعول في

^١ الآيات ٧ إلى ٢٣، من السورة ٥٣: النجم. و قبلها: {وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى} (أي هوي للغروب)، {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ} (أي رسولنا) {وَ مَا عَوَى} ● وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ● أَنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ● عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ● ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى}.

^٢ الآية ٥٨، من السورة ٥١: الذاريات.

^٣ الآية ٢٠، من السورة ٨١: التكوير.

الآية الشريفة { وَ لَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى } حيث يعود إلى الملاك جبرئيل.

و أمّا الضمير في { فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } فيعود بالتأكيد إلى الله عزّ و جلّ، و المراد بـ { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } فهو رؤية فؤاد رسول الله حقيقة الوحي مشافهة و رؤية و لقاء الله سبحانه كذلك.

و أياً كان القول فإنّ ممّا لا شكّ فيه أن هذه الآيات تدلّ كلّها على أنّها اوحيت من قبل البارئ عزّ و جلّ إلى رسوله الكريم، و أن صيغتها بهذا الشكل إنّما هي دليل على أنّها اوحيت بطريق المشافهة الذي يتطلّب الحضور و الالتقاء حتماً.

كلّ ما في الأمر، أن الألقاب و الصفات الخاصة بجبرئيل المذكورة في الحالة الاولى قد زُحِرَتْ و وُضِعَتْ جانباً في الحالة التالية، ليأتي دور تلقين الوحي و التدلّي و الدنو من مقام العزّة و الحقّ تعالى، و رؤية ذلك الجلال الإلهي، فإنّ الدنو و الاقتراب و الرؤية في الحالة الجديدة كلّها تعود إلى الله عزّ و جلّ حيث عاين رسول

الله كلّ ذلك ليلة عُرج به إلى العُلى، ورأى الله وزاره بقلبه
و بصيرته في تلك الليلة المباركة.

و لقد وردت أبحاث مفصّلة في التفاسير المختلفة
حول لقاء و زيارة ليلة المعراج.

فساحة استاذنا الأكرم العلامة آية الله الطباطبائيّ
قدّس الله تربته المنيفة يقول: «و ما أوردناه من الآيات
هي الفصل الأوّل من فصول السورة الثلاثة وهي الآيات
اللاتي تصدق الوحي إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و
تصفه، لكن هناك روايات مستفيضة عن أئمّة أهل البيت
عليهم السلام

ناصّة على أن المراد بالآيات ليس بيان صفة كلّ
وحي، بل بيان وحي المشافهة الذي أوحاه الله سبحانه
إلى نبيّه صلى الله عليه وآله ليلة المعراج.

فالأيات متضمّنة لقصّة المعراج و ظاهر الآيات لا
يخلو من تأييد لهذه الروايات و هو المستفاد أيضاً من
أقوال بعض الصحابة كابن عبّاس و أنس و سعيد الخدريّ
و غيرهم على ما روي عنهم و على ذلك جري كلام
المفسّرين و إن اشتدّ الخلاف بينهم في تفسير مفرداتها و
جملها»^١.

و على هامش الآية الشريفة { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا
رَأَى } - يقول العلامة قدّس الله روحه:

«و ليس في الآية ما يدلّ على أن متعلّق الرؤية هو الله
سبحانه و أنّه لمرئي له صلى الله عليه وآله، بل المرئيّ هو
الافق الأعلى و الدنوّ و التديّي و أنّه اوحى إليه، فهذه هي
المذكورة في الآيات السابقة و هي آيات له تعالى، و يؤيّد
ذلك ما ذكره تعالى في النزلة الأخرى من قوله:

^١ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٩، ص ٢٦.

{ ما زاعَ البَصْرُ وَ ما طَغى ۝ لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ

الْكُبْرى } .

آيات سورة النجم دالة على رؤية النبي لله تعالى في المعراج

على أنها لو دلت على تعلق الرؤية به تعالى لم يكن به

بأس فإنها رؤية القلب و رؤية القلب غير رؤية البصر

الحسية التي تتعلق بالأجسام و يستحيل تعلقها به تعالى و

قد قدمنا كلاماً في رؤية القلب في تفسير سورة الأعراف،

الآية ١٤٣ .^١

^١ «المصدر السابق»، ص ٢٩ .

يقول المؤلف الفقير: ورد في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢٧، ص ٦٨ و ٦٩:

«الفصل الحادي عشر، في بيان الوصول:

اعلم أن الوصول إلى حضرة الباري عزّ و جلّ ليس من قبيل وصول الجسم إلى الجسم، أو وصول العرض إلى الجسم، أو العلم إلى المعلوم، أو العقل إلى المعقول؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

و كذلك ليست مسألة الوصول إلى حضرته هي بفعل العبد، بل هي لطف دون علة و تصرف الجذبات الالوهية. ألم تر إلى موسى و قد قال، و هو يسعى إلى رؤية الرؤية: { رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ }، فقال: { لَنْ تَرَانِي }! لكن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، و بحكم { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا } ازكب البُرّاق و عُرج به (إلى السماء) مجتازاً قاب قوسين حتى وصل مقام أو أدنى، و البس كل لباس محمديّ بحكم ما كان محمداً أبا أحدٍ من رجالكم و بُعث رحمةً و تشرف بالخطاب القائل و ما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين. فكل من لم يستطع أن

و قال رحمة الله عليه في تعليقه على الآية الشريفة {و

لَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى}:

«و قد قالوا: أن ضمير الفاعل المستكن في قوله رَأَهُ

للنبيّ صلى الله عليه و آله، و ضمير المفعول لجبرئيل، و

على هذا فالنزلة نزول جبرئيل ليعرج به إلى السماوات، و

قوله:

{عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} ظرف للرؤية لا للنزلة، و

المراد برؤيته رؤيته و هو في صورته الأصليّة.

و المعني: أنّه نزل عليه صلى الله عليه و آله نزلة

أخرى و عُرج به إلى السماوات و تراءى له صلى الله عليه

و آله عند سدرة المنتهى و هو في صورته الأصليّة.

و قد ظهر ممّا تقدّم صحّة إرجاع ضمير المفعول إليه

تعالى و المراد بالرؤية رؤية القلب و المراد بـ: {نَزْلَةً

يخلق ببراق القدرة من حضيض البشريّة إلى سدرة منتهي الروحانيّة فليعرج على

حضرته و يقدّم له الولاء و الطاعة، لأنّ من وصل إليه فقد وصل إلينا؛ {من

يُطِيعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} إلى آخر البيان الذي أورده في هذا الفصل.

أُخْرَى} نزلة النبيّ عند سدرة المنتهى في عروجه إلى
السموات، فالمفاد أنّه نزل نزلة أُخرى أثناء معراجه عند

سدرة المنتهى فرآه بقلبه كما رآه في النزلة الاولى»^١.
و تعليقاً على الآية { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى } قال
قدّس الله سرّه:

«الزَّيْغُ الميل عن الاستقامة، و الطغيان تجاوز الحدّ في
العمل، و زَيْغُ الْبَصَرِ إدراكه المبصر على غير ما هو عليه،
و طغيانه إدراكه ما لا حقيقة له، و المراد بالبصر بصر
النبيّ.

و المعني: أنّه صلى الله عليه و آله لم يبصر ما أبصره
على غير صفته الحقيقيّة و لا أبصر ما لا حقيقة له، بل أبصر
غير خاطئ في إبصاره.

و المراد بالإبصار رؤيته صلى الله عليه و آله بقلبه لا
بجراحة العين، فإنّ المراد بهذا الإبصار ما يعنيه بقوله: وَ
لَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى} المشير إلى مماثلة هذه الرؤية لرؤية
النزلة الاولى التي يشير إليها بقوله: { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا
رَأَى } أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى}. فافهم و لا تغفل».

^١ «الميزان» ج ١٩، ص ٣١.

و علّق رحمة الله عليه على الآية الشريفة {لَقَدْ رَأَى

مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} بقوله:

مِنْ للتبعيض، و المعني: أقسم لقد شاهد بعض

الآيات الكبرى لربه، و بذلك تمّ مشاهدة ربه بقلبه، فإنّ

مشاهدته تعالى بالقلب إنّما هي بمشاهدة آياته بما هي آياته،

فإنّ الآية بما هي آية لا تحكي إلّا ذا الآية و لا تحكي عن

نفسه شيئاً و إلّا لم تكن من تلك الجهة آية.

و أمّا مشاهدة ذاته المتعالية من غير توسط آية و تخلّل

حجاب فمن المستحيل ذلك، قال تعالى:

{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}. (الآية ١١٠، من السورة

٢٠: طه).^١

الروايات الواردة في رؤية النبيّ لله عزّ وجلّ في المعراج

و قد أورد العلامة في بحث روائيّ: و في «تفسير

القمّيّ» بإسناده إلى ابن سنان في حديث قال أبو عبد الله

عليه السلام:

^١ «المصدر السابق»، ص ٣٢.

وَ ذَلِكَ أَنَّهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - أَقْرَبُ

الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَ كَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جَبْرَائِيلُ

لَمَّا اسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ: تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّدُ! فَقَدَّ وَ طَأَّتْ مَوْطِنًا

لَمْ يَطَّاهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. وَ لَوْ لَا أَنَّ رُوحَهُ وَ

نَفْسُهُ كَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ.

وَ كَانَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: {قَابَ

قَوَسَيْنِ (أَي ذِرَاعَيْنِ) أَوْ أَدْنَى}؛ أَي: بَلْ أَدْنَى.

وَ فِي «الْمَجْمَعِ» وَ رَوَى مَرْفُوعًا عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي قَوْلِهِ: {فَكَانَ قَابَ

قَوَسَيْنِ}، قَالَ: قَدَرَ ذِرَاعَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ ذِرَاعَيْنِ.

وَ فِي «التَّوْحِيدِ» بِإِسْنَادِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ قَالَ:

سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَلْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ؟!!

فَقَالَ: نَعَمْ! بِقَلْبِهِ رَأَاهُ؛ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

يَقُولُ: { مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى }؟ لَمْ يَرَهُ بِالْبَصَرِ وَ لَكِنْ

رَأَاهُ بِالْفُؤَادِ.^١

و في «الدرّ المشثور» أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر

و ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي، عن بعض

أصحاب النبي صلى الله عليه [و آله] و سلم قال:

^١ روي في «اصول الكافي» ج ١، ص ٩٨، في باب إبطال الرؤية، الحديث ٨، عن محمد بن يحيى و غيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَمَّا اسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، بَلَغَ بِي جِبْرَائِيلُ مَكَانًا لَمْ يَطَّأهُ قَطُّ جِبْرَائِيلُ. فَكُشِفَ لَهُ؛ فَأَرَاهُ اللَّهَ مِنْ نُورٍ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي؛ وَرَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ تَلَا: {ثُمَّ

دَنَا فَتَدَلَّى}.

قال العلامة قدس سره:

«أقول: وروي هذا المعنى النسائي عن أبي ذرّ - على

ما في «الدرّ المثور» - و لفظه رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَ سَلَّمَ رَبَّهُ بِقَلْبِهِ، وَ لَمْ يَرَهُ بِبَصَرِهِ.

و عن «صحيح مسلم» و الترمذيّ و ابن مردويه، عن

أبي ذرّ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَ

سَلَّمَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟! فَقَالَ: نُورَانِي أَرَاهُ^١.

^١ روي في «اصول الكافي» ج ١، ص ٩٨، باب إبطال الرؤية، الحديث ٧، عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

ذَكَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يَرُؤُونَ مِنَ الرَّؤْيِيَةِ؛ فَقَالَ: الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءً مِنْ نُورِ الْكَرْسِيِّ، وَ الْكَرْسِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءً مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَ الْعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءً مِنْ نُورِ الْحِجَابِ، وَ الْحِجَابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءً مِنْ نُورِ السُّتْرِ؛ فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَمْلُؤُوا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ!

أقول: «نُورَانِيٌّ» منسوب إلى النور على خلاف القياس،

كجسماني في النسبة إلى جسم. و قرئ «نُورٌ إِيَّيَّ أَرَاهُ» بتنوين

الراء و كسر الهمزة و تشديد النون ثم ياء المتكلم، و

الظاهر أنه تصحيف و إن أيّد برواية أخرى عن مسلم في

صحيحه، و ابن مردويه عن أبي ذرّ أنه سأل رسول الله

صلى الله عليه [و آله] و سلّم: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟!

فقال: رَأَيْتُ نُورًا!

و كيف كان فالمراد بالرؤية رؤية القلب، فلا الرؤية

رؤية حسّية

و لا النور نور حسيّ.

و في «الكافي» بإسناده عن صفوان بن يحيى قال:

سألني أبو قرّة المحدث أن ادخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام. فاستأذنته في ذلك، فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال و الحرام و الأحكام. إلى قوله: أبو قرّة، فإنه يقول: {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى}.

فقال أبو الحسن عليه السلام: **أَنْ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ**

عَلَى مَا رَأَى؛ حَيْثُ قَالَ: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}.

يَقُولُ: مَا كَذَبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى فَقَالَ: {لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ

الْكُبْرَى}؛ و آيات الله غير الله.

أقول: الظاهر أن كلامه عليه السلام مسوق لإلزام أبي

قرّة، حيث كان يريد إثبات رؤيته تعالى بالعين الحسيّة

فألزمه بأنّ الرؤية إنّما تعلّقت بالآيات، و آيات الله غير

الله، و لا ينافي ذلك كون رؤية الآيات بما هي آياته تمثّل

رؤيته تعالى و إنّ كانت آياته غيره، و هذه الرؤية إنّما كانت

بالقلب كما مرّت عدّة من الروايات في هذا المعنى.

و جاء في «تفسير القمّي» بإسناده إلى إسماعيل الجعفي

عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام في حديث

طويل:

فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، تَخَلَّفَ عَنْهُ جَبْرَائِيلُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فِي هَذَا الْمَوْضِعِ

تُحَذِّلُنِي؟!

فَقَالَ: تَقَدَّمَ أَمَامَكَ! فَوَ اللَّهُ لَقَدْ بَلَغْتَ مَبْلَغًا لَمْ يَبْلُغْهُ

أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ قَبْلَكَ! فَرَأَيْتُ مِنْ نُورِ رَبِّي، وَحَالَ بَيْنِي

وَ بَيْنَهُ السُّبْحَةُ.

قُلْتُ: وَ مَا السُّبْحَةُ جُعِلْتُ فِدَاكَ؟! فَأَوْمَى بِوَجْهِهِ إِلَى

الْأَرْضِ وَ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَ هُوَ يَقُولُ: جَلالُ رَبِّي!

جَلالُ رَبِّي! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

أقول: السُّبْحَةُ الجلال كما فسّر في الرواية، و السبحة

ما يدلّ على تنزّهه تعالى من خَلْقِهِ و مرجعه إلى المعنى

الأوّل، و محصّل ذيل الرواية أنّه صلى الله عليه و آله رأى

ربه برؤية آياته». ^١

^١ «الميزان» ج ١٩، ص ٣٤ إلى ٣٦.

و أما القاضي البيضاوي فقد قال في تفسير الآية

الشريفة { ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } :

« ما رأى ببصره من صورة جبرائيل عليه السلام أو

الله تعالى، اي ما كذب بصره بما حكاه له، فإن الامور

القدسيّة تُدرَك أوّلاً بالقلب ثمّ تنتقل منه إلى البصر.

أو ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك؛ و لو قال ذلك كان

كاذباً، لأنّه عرفه بقلبه كما رآه ببصره، أو ما رآه بقلبه، و

المعنى أنّه لم يكن تخيلاً كاذباً. و يدلّ على ذلك «أنّه عليه

الصلاة و السلام سئل: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟! فقال: رَأَيْتُهُ

بِفُؤَادِي!».^١

و قال في تفسيره { عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى } : «التي ينتهي

إليها أعمال الخلائق و علمهم، أو ما ينزل من فوقها و

يصعد من تحتها، و لعلّها شُبّهت بالسدره و هي «شجرة

النَّبَق» لأنّهم يجتمعون في ظلّها، و روي مرفوعاً أنّها في

السّماء السابعة». ^٢

^١ «تفسير البيضاوي» ج ٢، ص ٤٧٢ و ٤٧٣، طبعة دار الطبع العامرة.

^٢ «المصدر السابق»، ص ٤٧٣ و ٤٧٤.

و قال في تفسير {أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى}: «إنكار

لقولهم الملائكة بنات الله، و هذه الأصنام استوطنها

جنّيات هنّ بناته، أو هياكل الملائكة و هو المفعول الثاني

لقوله: {أَفَرَأَيْتُمْ} .^١

كلام جبرئيل: لَوَدَّعَتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ

و قد شاهدنا في تفسير «علي بن إبراهيم» عن الإمام

محمد الباقر عليه السلام قوله: فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ

الْمُنْتَهَى، تَخَلَّفَ عَنْهُ جَبْرَائِيلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَآلِهِ: فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَخَذُلْنِي؟!

فقال: تقدّم أمامك! فو الله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه

أحد من خلق الله قبلك!

و قد ورد في كثير من كتب العرفان أن جبرائيل قال:

لَوَدَّعَتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ.

و ذكر الشيخ نجم الدين الرازيّ هذا الحديث في

«مرصاد العباد» في أربعة أماكن^٢، و في رسالة «عشق و

^١ «تفسير البيضاوي» ج ٢، ص ٤٧٣ و ٤٧٤.

^٢ «مرصاد العباد» ١٢٠ و ١٢١، ١٨٤، ٣٧٨، ٣٨١، رقم ٣٨٩، طبعة بنگاه

ترجمه و نشر كتاب.

عقل (= الحبّ و العقل) في ثلاثة أماكن^١. و قال المعلق
على هذه الرسالة: «لقد جاء ذكر هذا الحديث متواصلاً في
«مرصاد العباد» و «احاديث مثنوي (= أحاديث المثنويّ).
و لم نجده في «مجمع البحرين» و «المعجم المفهرس» في
حاشية موادّ: دَنَا و دَنَوْتُ و أَنْمَلَة، و حَرَقَ^٢. و هذا
المضمون ينسب إلى جبرئيل عليه السلام و أنّه قاله
للرسول صلى الله عليه و آله ليلة المعراج. و ورد ذكر هذا
الكلام و معناه في أشعار الكثير من العرفاء خاصّة، و من
جملتهم (سعدي) في

ديوانه «بوستان» حيث يقول:

اگر ذره‌ای موی برتر پرم * فروغ تجلی بسوزد**

پرم^٣

^١ رسالة «عشق و عقل» ص ١١٨، رقم ٢٥٨، طبعة بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
^٢ وردت هذه الرواية في «بحار الأنوار»، ج ١٨، ص ٣٨٢، نقلاً عن «المناقب».
^٣ يقول: «لو اقتربتُ قيد أنملة - يا صاح - لأحرق نور الله جسمي و الجناح».
جاء في «كليات سعدي»، محمّد على فروغی، «بوستان» ص ٤ إلى ٦، في مدح
النبيّ صلى الله عليه و آله الأبيات التالية:

كريم السجایا جميل الشيم * نبي البرايا شفيع الامم**

امام رسل پیشوای سبیل * امین خدا مهبط جبرئیل**

شفیع الوری خواجة بعث و نشر *** إمام الهدی صدر دیوان حشر
 کلیمی که چرخ فلک طور اوست *** همه نورها پرتو نور اوست
 شفیعؑ مطاعؑ نبی کریم *** قسیمؑ جسیمؑ نسیمؑ وسیم
 یتیمی که ناکرده قرآن درست *** کتبخانه چند ملت بشست
 چو عزمش بر آهیخت شمشیر بیم *** به معجز میان قمر زد دو نیم
 چو صیتش در افواه دنیا فتاد *** تزلزل در ایوان کسری فتاد
 به لا قامت لات بشکست خُرد *** به إعزاز دین آب عَزَى برد
 نه از لات و عَزَى برآورد گرد *** که تورات و انجیل منسوخ کرد
 شبی بر نشست از فلک بر گذشت *** به تمکین و جاه از ملک در گذشت
 چنان گرم در تیه قربت براند *** که بر سدره جبریل ازو باز ماند
 بدو گفت سالار بیت الحرام *** که ای حامل وحی برتر خرام
 چو در دوستی مخلصم یافتی *** عنانم ز صحبت چرا تافتی؟
 بگفتا فراتر مجالم نماند *** بیاندم که نیروی بالم نماند
 اگر یک سر موی برتر پرم *** فروغ تجلی بسوزد پرم

يقول: « کریم السجایا جمیل الشیم، نبی البرایا شفیع الامم.

إمام الرسل و سیّد السبیل، أمين الله و مهبط جبرئیل.

شفیع الوری و البعث و النشر، إمام الهدی صدر دیوان الحشر.

کلیم تدور حوله الأفلاك، کلّ النور منك تبارك علاک.

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

^۱ (...تمة الهامش من صفحة السابقة)

شفیع مطاع، نبی کریم، قسیم جسیم، نسیم وسیم.

یتیم (امی) لم یؤلف القرآن (من تلقاء نفسه)، فاقت علومه کلّ ما فی مکتبات

العالم.

فلما عزم شق القمر نصفین بسیفه.

و لما ذاع صيته في الدنيا انشقَّ من ذلك إيوان كسرى .
 و كُسرت اللات قطعاً صغيرة و عزّ دينه و ذهب ماء وجه العزّي .
 فلم يبق من اللات و العزّي أثراً و قد نسخ من قبل التوراة و الإنجيل .
 فأمسك بالجاه و المُلْك بين ليلةٍ و ضحاها .
 و قد عرَج في فضاء القُرب بمضاء فوصل إلى السدرة التي مُنع عنها جبرئيل
 فقال له حامي البيت الحرام: يا حامل الوحي، قد كنتُ مخلصاً في صداقتي معك
 فلمَ تركت العنان و أبيتَ صُحبتِي؟
 قال: لا أستطيع الدنو أكثر من هذا لأنّ جناحي لا يقوى على التحليق لأبعد من
 ذلك .

فلو اقتربتُ قيد أنملة لأحرق نور تجلّيه تعالى جناحي» .
 إلى أن قال:

خدايا به حقّ بنی فاطمه *** که بر قولم ایان کنم خاتمه
 اگر دعوتم ردّ کنی ور قبول *** من و دست و دامان آل رسول
 چه کم گردد ای صدر فرخنده پی *** ز قدر رفیعت بدرگاه حیّ
 که باشند مشتی گدایان خیل *** به مهمان دار السّلامت طفیل
 خدایت ثنا گفت و تبجیل کرد *** زمین بوس قدر تو جبریل کرد
 بلند آسمان پیش قدرت خجل *** تو مخلوق و آدم هنوز آب و گل
 تو اصل وجود آمدی از نخست *** دگر هر چه موجود شد فرع تست
 ندانم کدامین سخن گویمت *** که والاتری ز آنچه من گویمت
 ترا عزّ لولاک تمکین بس است *** ثنای تو طه و یس بس است
 چه وصفت کند سعدی ناتمام *** عليك السّلام ای نبی السّلام

يقول: «إلهي بحقّ بنی فاطمة اجعل إيماني بهم هو الخاتمة

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

١ (...تمة الهامش من صفحة السابقة)

و قال الشيخ نجم الدين الرازي: «كان جبرئيل و ميكائيل بازين صيادين في مُتصيّد ملكوت الله عزّ و جلّ يصطادان طيور التقديس و التنزيه { وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ } . فلمّا استحالت التوبة إلى صفات الجمال و طمحا ببصرهما إلى مواطن الصمديّة و الجلال استحالا مقصوصي الجناح و تركا الصيد في تلك البقاع البراح، فقالا: لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ.

فسواءً قَبِلَتْ دعوتي أم رفضتها فإنّي ممسك بجلايب الرسول و آل بيته. لن يقلل من عظمة منزلتك و مكانتك الرفيعة عند الحيّ تعالى. إذا دَعَوْتُ جمع الفقراء إلى ضيافة دار السلامة. لقد أننى عليك ربّك و بجلك و قبل جبريل تراب مقدمك. لقد طأطأت السماوات العلي لقدرك و منزلتك و قد خُلِقْتَ و لما يزل آدم طيناً و ماءً.

أنت أصل الوجود كنت الأوّل، و ما وُجِدَ بعدك كان فرعاً منك. لا أعرف بأيّ كلام أحاطبك، فإنّك أرفع شأنًا من كلّ ما أقول. يكفيك (عزّ لولاك) من عزّ و رفعة. يكفيك ثناءً (طه) و (يس). فمهما وصفك سعدي لن يكون كافياً عليك السلام يا نبيّ السلام».

مرغ کآنجا پرید پر بنهاد *** دیو کآنجا رسید سر

بنهاد^۱

و قيل لهم: لقد اصطدنا صياداً في مُتَصَيِّدِ الأزل بشباك

«يُحِبُّهُمْ» و سنأتي به إلى هذا المُتَصَيِّد: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ

خَلِيفَةً، حتى يُريكم كيف يَتَصَيِّد. شعر:

در بحر عمیق غوطه خواهم خوردن *** یا غرقه

شدن یا گهری آوردن

کار تو مخاطره است خواهم کردن *** یا سرخ کنم

روی ز تو یا گردن^۲

فقالوا بأجمعهم: لا جَرَمَ إذا سبقنا هذا الصياد، في

ميدان السباق بصولجان المعنى، و عمل ما لا نستطيع

نحن عمله، و صاد ما لم نتمكن جميعاً اصطیاده، فإننا

^۱ يقول: «لما طار الطائر إلى هناك طوى جناحيه، و حيث وصل العفريت هناك أحنى رأسه».

يقول: «سأغوص في البحر العميق، فإما أن أغرق أو أفوز بجوهرة».

^۲ يقول: «أن ما أفعله إزاءك هو مخاطرة، فإما أن يحمرّ وجهي (سروراً) أو تحمرّ رقبتني (بالقتل)».

سنقوم مقامَ خَدَمِهِ، و سنسرُّ للِسجود بقلوبنا و أرواحنا
أمامه...»^١ - إلى آخر عباراته اللطيفة من ذلك المقال.

نعم، فهذا كله يشير بالبنان إلى المقام الأوحد و
المنزلة الجامعة لرسول الله صلى الله عليه و آله و أصحابه
الحقيقيين، حيث لم يتمكن جبرئيل من أن ينال ذلك المقام
أو أن يجرز تلك المنزلة و يظفر بمراده، فأخذ يقول: لَوْ
دَنَوْتُ أُنْمَلَةً لَا حَتَرْتُ. و قد روي عن نبيِّ الله أنه قال:

"لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ

مُرْسَلٌ"^٢.

^١ «مرصاد العباد» ص ٣٨١ و ٣٨٢.

^٢ و تدلُّ الفقرات التالية من زيارة الجامعة الكبيرة على هذا المقام:

**"فَبَلَّغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ وَ أَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَ أَرْفَعَ دَرَجَاتِ
الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَ لَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَ لَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَ لَا يَطْمَعُ
فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ، حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَ لَا صِدِّيقٌ وَ لَا
شَهِيدٌ وَ لَا عَالِمٌ وَ لَا جَاهِلٌ وَ لَا دَنِيٌّ وَ لَا فَاضِلٌ وَ لَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَ لَا فَاجِرٌ
طَالِحٌ وَ لَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَ لَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَ لَا خَلَقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَفَهُمْ
جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَ عِظَمَ خَطَرِكُمْ وَ كِبَرَ شَأْنِكُمْ وَ تَمَامَ نُورِكُمْ وَ صِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَ
ثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَ شَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَ مَنَزَلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَ كَرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ وَ خَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ
وَ قُرْبَ مَنَزَلَتِكُمْ مِنْهُ".**

تعتبر هذه الزيارة من الزيارات المهمّة، التي وردت في «مفاتيح الجنان» ص ٥٤٤ إلى ٥٥٠، الطبعة الإسلاميّة، ١٣٧٩ هجرية، و قد رُويت عن الشيخ الصدوق في «الفقيه»

(...تابع الهامش في الصفحة التالية)

١ (...تتمّة الهامش من صفحة السابقة)

و «العيون» عن موسى بن عبد الله النخعيّ.

أشعار حكيم نظامي الكنجويّ في معراج الرسول الأعظم جاء ذكر معراج الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و عدم استطاعة الملائكة التقدّم معه و مرافقته إلى العلى و ذلك في مواضع عدّة من كتاب «كليات ديوان حكيم نظامي گنجوى» طبعة أمير كبير، من جملة ذلك ما ذُكر في «مخزن الأسرار» الذي يبدأ بالبيت التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم * هست كليلد در گنج حكيم**

يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم؛ ذلك مفتاح كنز الحكيم».

و يقول في ص ١٨:

همسفرانش سپر انداختند * بال شكستند و پر انداختند**

او به تحيّر چو غريبان راه * حلقه زنان بر در آن بارگاه**

پرده نشينان كه درس داشتند * هودج او يك تنه بگذاشتند**

رفت بدان راه كه همره نبود * اين قدمش ز آن قدم آگه نبود**

هر كه جز او بر در آن راز ماند * او هم از آميزش خود باز ماند**

يقول: «توقف مرافقوه عن مرافقته و كُسرَت أجنحتهم و أصبح ريشهم منفوشاً.

فارتسمت عليه حيرة الغرباء و أحاطت به من كلّ جانب.

فحطّوا هودجه و تركوه وحيداً.

فتابع الطريق دون صاحب أو رفيق، يُقدّم قدماً و يؤخّر أخرى.

و تحيّر كلّ من سواه في هذا السرّ و حيل بينه و بينهم».

و جاء «في خسرو و شیرین» ص ۱۰۴:

چو بیرون رفت از آن میدان خضرا *** رکاب افشانند از صحرا به صحرا
بدان پرندگی طاووس اخضر *** فکند از سرعتش هم بال و هم پر
چو جبریل از رکابش باز پس گشت *** عنان بر زد ز میکائیل بگذشت
سرافیل آمد و بر پر نشانندش *** به هودج خانه رفر رسانی
ز رفر بر رف طوبی علم زد *** وز آنجا بر سر سدره قدم زد
جریده بر جریده نقش می خواند *** بیابان در بیابان رخس میراند
(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

^۱ (...تتمة الهامش من صفحة التالية)

چو بنوشت آسمان را فرش بر فرش *** به استقبالش آمد تارك عرش
فرس بیرون جهانند از کلّ کونین *** علم زد بر سریر قابّ قوسین
قدم برقع ز روی خویش برداشت *** حجاب کائنات از پیش برداشت
جهت را جعد بر جهت شکستند *** مکان را نیز برقع باز بستند
محمد در مکان بی مکاني *** پدید آمد نشان بی نشانی
کلام سرمدی بی نقل بشنید *** خداوند جهان را بی جهت دید

يقول: «فخرج من ذلك المكان قاطعاً الصحاري.

حتى تناثر جناح الطاوس الأخضر و ريشه من سرعة انطلاقه.

ولما تخلف جبريل عن مرافقته و اصل هو مسيره تاركاً و راءه حتى ميكائيل.

ثمّ أجلسه إسرائيل على بساطٍ من ريش و أوصله إلى هودج الديباج.

فارتقى من الهودج إلى مشارف طوبى و من هناك خطا نحو السدرة.

و طالع كلّ صُحفٍ (أسرار الخليفة) بعد أن طوى البراري بجواده الخيفق

السريع.

و زينت السماء بالفرش و السجاد و لاحت له كُنف البيت.

قد انطلق بفرسه قاطعاً الكونين و أناخ برحله عند قاب قوسين.
 رفع عن محياه البرقع و أزال حجاب الكائنات من أمامه.
 ازيلت من أمامه كل الموانع و أسدل الستار خلفه.
 فدخل محمد صلى الله عليه و آله إلى مكان ليس كأبي مكان و محلّ ليس له عنوان.
 و سمع كلاماً سرمدياً و رأى رب العالمين دون واسطة».
 و يقول في كتاب «ليلي و مجنون» ص ۴۳۴:

بر طره هفت بام عالم *** نه طاس گذاشتی نه پرچم
 هم پرچم چرخ را گسستی *** هم طاسك ماه را شكستی
 طاووس پران چرخ اخضر *** هم بال فكنده با تو هم پر
 جبريل ز همريت مانده *** الله معك ز دور خوانده
 ميكائيلت نشانده بر سر *** و آورده به خواجه تاج ديگر
 (تابع الهامش في الصفحة التالية...)
 ۱ (...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

اسرافيلت فتاده در پای *** هم نیم رهن بیانده بر جای
 ررف که شده رفیق راحت *** برده به سریر سدره گاهت
 چون از سر سدره بر گذشتی *** اوراق حدوث در نوشتی
 رفتی ز بساط هفت فرشی *** تا طارم تنگبار عرشی
 سبوح زنان عرش پایه *** از نور تو عرش کرده سایه
 از حجة عرش بر پریدی *** هفتاد حجاب را دریدی
 تنها شدی از گرانی رخت *** هم تاج گذاشتی و هم تخت
 بازار جهت به هم شکستی *** از زحمت تحت و فوق رستی
 خرگاه برون زدی ز کونین *** در خيمة خاص قاب قوسین
 هم حضرت ذوالجلال دیدی *** هم سر کلام حق شنیدی
 از غایت وهم و غور ادراك *** هم دیدن و هم شنودن پاک

در خواستی آنچه بود کامت *** در خواسته خاص شد به نامت

يقول: «لم تترك عزاً و لا بيقاً في العوالم السبعة.
لقد أزلت علمَ الفلك و شققتَ قرص القمر.
و تناثر ريش و أجنحة طواويس الأفلak.
و تخلف جبريل عن مرافقته مودعاً إياه على البعد قائلاً: الله معك.
فأجلسه ميكائيل على رأسه و ألبسه تاجاً آخر.
و توقّف إسرائيل كذلك و لم يستطع من مرافقته.
فكان الديقاج رفيقه في رحلته و الذي أوصل إلى سدره المنتهى.
و لما اجتزت سدره المنتهى كتبت الأقدار على الأوراق.
و اجتزت البساط السباعي الفُرش حتى وصلت مشارف العرش.
فسبّح المسبّحون عند قوائم العرش و قد أصبح للعرش ظلاً من نورك.
و طرت من عند العرش مجتازاً سبعين حجاباً.
و كنت الوحيد الذي لا يُضاهي لها لبيست من حُلل و تُوجت و وُضعت على العرش.

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

١ (...تتمة الهامش من صفحة التالية)

و سُدت كل شيء و ارتحت من العناء و الكلل.
و خيّم خارج الكونين في خيمة قاب قوسين.
و رأيت ذات ذي الجلال و سمعت سرّ كلام الحقّ.
و تطهّر بصرك و سمعت من كلّ وهم أو إدراك.
و نلت كلّ ما اشتهيت، فحُتمَ باسمك ما قد تمّنت.
و جاء في ديوان «هفت پيكر» ص ٦٠٦ و ٦٠٧. يقول فيه:

هم رفيقش ز تركتاز افتاد *** هم براقش ز پويه باز افتاد

منزل آنجا رساند كز دوری *** دید در جبرئیل دستوری

سر برون زد ز مهد میکائیل *** به رصد گاه صور اِسرافیل
گشت از آن تخت نیز رخت گرای *** رُرف و سدره هر دو مانده به جای
همرهان را به نیمه ره بگذاشت *** راه دریای بیخودی (بیرهی) برداشت
قطره بر قطره ز آن محیط گذشت *** قُطر بر قُطر هر چه بود نوشت
چون در آمد به ساق عرش فراز *** نردبان ساخت از کمند نیاز
سر برون زد ز عرش نورانی *** در خطر گاه سرّ سبحانی
حیرتش چون خطر پذیری کرد *** رحمت آمد لگام گیری کرد
قاب قوسین او در آن اثنا *** از دنا رفت سوی او ادنی
چون حجاب هزار نور درید *** دیده در نور بی حجاب رسید
گامی از بود خود فراتر شد *** تا خدا دیدنش میسر شد
دید معبود خویش را به درست *** دیده از هر چه دیده (غیر) بشست

يقول: «و لقد عجز صاحبه عن اللحاق به و كبا بَراقة أيضاً.

و وَصل إلى منزل تخلف عنه فيه جبريل.

ثمّ أوصله ميكائيل إلى مقرّ اِسرافيل.

و البس كذلك حُلّة من ذلك العرش و بقي الهودج و السدرة على حالهما.

و ترك أصحابه في منتصف الطريق، و راح يقطع الطريق بدون دليل.

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

^۱ (...تتمّة الهامش من صفحة السابقة)

قاطعاً المحيطات مدوّناً ما كان في كلّ إقليم و ناحية.

صانعاً له من جبل الدعاء سلماً إليه (العرش).

و ظهر من نواحي العرش النورانيّ في حرم السرّ سبحانيّ.

فلما بدت عليه الحيرة تداركته الرحمة و أمسكت بلبجام براقه.

فتحوّل حاله عند قاب قوسين، من منزلة (دنا) إلى منزلة (أو ادنى).

فلما زال حجاب الألف نور أصبح و دخل مرحلة النور بدون حجاب.

و في هذا المَقَام يقول الشيخ نجم الدين أيضاً:

«... و أمّا آدم، فهو بيضة عنقاء جبل العِزّة. و تلك العنقاء هي لي خليفة و لكم سلطان، ف{اسْجُدُوا لِأَدَمَ} عند قدميه و لا تقولوا {أَتَجَعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا} ناظرين بعين الحِقَارَة إليه، {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} فيه. فاغتنموا الفرصة ما دام في البيضة و اسجدوا له، فإنّه لو خرج من البيضة فسيكون تحليقه إلى حيث عالم لي مَعَ اللّهِ وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ [و لَا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ]، فلن تبقى لكم إلّا الحسرة، و ستأخذكم العبرة و الحيرة و تكثرون من قول لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ، و يكون كلامكم في كلّ وقت:

آن مرغك من كه بود زرّين بالش *** آيا كه كجا

پريد و چون شد حالش

ارتقى منزلة راقية تيسر له فيها رؤية الله.

فراى معبوده عياناً، بحيث لم ترى عينه غيره»

از دست زمانه خاک بر سر باشم *** پرواز چرا

نکردم از دنبالش (خ ل) ۱

...

ما سوى الله تعالى حجاب؛ و المعرفة التامة مشروطة باتقاء

۲
...

۱ ۲ يقول: «أين طائر السعد الذي خلى و طار، أين ذاك الطائر إلام صار؟

يا ويلتاه سأظلّ العمر كلّه نادماً لعدم لحاقي به».

(تابع الهامش في الفحة التالية...)

۲ (...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

خاک قدم تو اهل عالم *** زیر علم تو نسل آدم

طاووس ملائکه بریدت *** سرخیل مقربان مریدت

چون نیست بضاعتی ز طاعت *** از ما گنه و ز تو شفاعت

يقول: «مائدتك هي أبيت عند ربّي، و نومك هو و لا ينام قلبي.

يا من داس بقدميه الكونين و اجتاز حدود قاب قوسين.

إن العالمين جميعاً هم تراب قدمك، و كلّ بني آدم منضوين تحت لوائك.

يا من كان طاووس الملائكة بريده، و كانت خيول المقربين أتباعك و أوليائك.

ولما كانت كلّ طاعاتنا ليست إلا بضاعة مُزجاة، فإن بدر منّا ذنب أو خطيئة فلا

رجاء لنا غير شفاعتك»

و يقول في ص ٤٨١: «و أمّا العلم الباطن فهو معرفة تلك المعاني التي كان

تُزرق بها روح الخواجة عليه الصلاة (و السلام) دون وساطة جبرئيل من غيب

الغيب، في مقام أو أدنى، في حالة لي مع الله وقت؛ حيث { فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا

أَوْحَى } *** و كانت تُراق على سنّة الكرام من فيوضات كؤوس ولاية النبوة،

و على القلوب الحرقى لعالم الطلب».

و خلاصة الكلام في هذا المقام أنه: ما لم تُزل كل ذرة
من الأنانية من الإنسان، فلن يُسمح له بالعروج إلى منسك
العدم و الفناء المطلقين المتزامنين مع الوجود المطلق.
فذلك مقام خاص بذات الله عزّ و جلّ و وجوده. و الله
سبحانه غيور، و من شروط الغيرة مَهْر كَلّ من استقرت في
قراره ذرة من بقايا شخصيته و أنانيته.

تا بوديك ذره باقى از وجود * كى شود صاف**

از كدر، جام شهود^۱

فالمسألة جدُّ مُحيرة، إذ يتحتم هجر كل ما سوى الله

تعالى للوصول

*** صدر الآية ٨٠، من السورة ٤: النساء.

*** الآية ١٠، من السورة ٥٣: النجم

^١ يقول: «لن يصفوا لأحد كأس الشهود، ما دام هناك فيه ذرة من الوجود».

إليه، فكلّ ما سوى الله حجاب و سراب، و ما دام ذلك الحجاب باقياً، فلا سبيل إلى الحصول على المعرفة التامة. و ما اكتسب من المعرفة إن هي إلا معرفة جزئية و ناقصة. أن المعرفة الحاصلة من مشاهدة خلق الله تعالى من جبال و أحجار، و صحارٍ و قفار، و التعرّف على حيوانات البرّ و البحار، و ما إلى ذلك، إنّما هي معارف جزئية و ليست كليّة، و المهمّ في هذه المسألة هو المعرفة الكليّة، و لا سبيل للوصول إليها إلاّ باجتياز سبيل خطير و عظيم!

إن العالم في الرياضيات الذي يكتشف بواسطة قوانينه الرياضية أن القرآن معجزة، و ذلك بسبب الاسلوب القويم لآياته، و السياق المتوازن لسوره، و يتوصّل إلى أن الآيات الخاصّة بالجهد هي بالشكل الفلانيّ، و الآيات الخاصّة بالصلاة و الصوم بالشكل العلانيّ، ثمّ يتوصّل طبقاً لحساباته الحاسوبية (الكومبيوترية) إلى إثبات أن هكذا جمل و هكذا ألفاظ لا يمكن للبشر أن يصوغ مثيلاتها، أو حتى صبّها في قالبٍ يشبه إلى حدّ ما تلك

الآيات الشريفة، و أنه بدون تدخل لقوة غيبية أو أمر من ما وراء الطبيعة سيكون ذلك مستحيلًا، و لن يكون بإمكان أحد على الإطلاق إيجاد مثل تلك الظاهرة العجيبة. فإن هذا، في الواقع، هو نوعٌ من أنواع المعرفة بالقرآن الكريم، و مع هذا فإنَّ البُعدَ بين هذه المعرفة، و بين المعرفة الحقيقية للقرآن كُبعد الثريا عن الشري! و بينهما ألفا حجاب! فأين هذه المعرفة و أين الدخول في أعماق و حقائق القرآن و بواطنه و معرفة تفسيره و تأويله و طريقة تطبيق آياته على مصاديقه؟

{أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}.^١

فهذه المعرفة لا يمكن لها أن تكون معرفة مقنعة؛

انظروا إلى كل آية

^١ ذيل الآية ٤٤، من السورة ٤١: فصلت.

من آيات هذا الكتاب السماويّ و ستجدون كلّ
واحدة من تلك الآيات مرآة تعكس وجه الله عزّ و جلّ،
إلا أن الفرق بين رؤية مَنْ كانت عيونهم مفتوحة و مَنْ
كانت على أبصارهم غشاوة جدّ شاسع و بعيد. فهذا الأمر
يستدعي التحقُّق من صحّة الباصرة و فحصها بدقّة.

فلو كانت عينا أحدهم عمياء، فليس معنى ذلك أن
سُبل كلّ العلوم مغلقة في وجهه، بل معناه أن بإمكانه أن
يحصل على كثير من العلوم عن طريق سائر حواسّه
الأخرى كحاسة السمع و حاسة الشمّ و حاسة اللمس و
حاسة الذوق؛ لكنّ الفرق بينه و بين مَنْ كانت حاسة
بصره سليمة من أيّة عاهة و تتمتع ببصر و بصيرة سالميتين
كالفرق بين السماء و الأرض.

فلا يتمّ اجتماع الله مع سواه ما دامت هناك في ذهن
الإنسان أمانيّ باطلة، و نوايا تشطُّط، و أهداف نفسانيّة
شيطانيّة، و أغراض ماديّة من حبّ المال و البنين و الجاه و
المقام و غير ذلك.

أنشد قيس بن الملوّح العامريّ أبياتاً من الشعر في حبّ ابنة عمّه و معشوقته ليلي العامريّة، تحتوي على أروع ما انشد من الشعر في مقام الحكمة و الدقائق العقلانيّة و تُعتبر بحقّ كتاباً للعرفان و الأسرار و الرموز الشهوديّة، مُبيناً سبيل الوصول إلى المحبوب. و حتى لو كانت تلك الأبيات في ظاهرها تحكي قصّة حبّ عُذريّ مجازي، إلا أنّها تحوي الكثير من الامور الراقية المفاهيم و العالیه المعنى بوجه عامّ، تصدّق مبانيها على كلّ عاشقٍ حقيقيّ و صادق في حبه. و تتضمّن مفهوماً يتعلّق بحبّ الله عزّ و جلّ، و تكشف بطريقة مذهشة أسرار السلوك إلى الله و الوصول إليه و الفناء في ذاته المقدّسة، و تُثبّط الستار عن أعظم حجاب معنويّ، و تصف أسلم الطرق و أأمّنها للوصول إلى المقام الأقدس لذات الله سبحانه.

يقول قيس بن الملوّح و المعروف عند العامّة

بمجنون ليلي:

تَمَنَيْتُ مِنْ لَيْلِي عَلَى الْبُعْدِ نَظْرَةً *** لِيُطْفَى جَوَى

بَيْنَ الْحِشَاءِ وَالْأَضَالِيعِ

فَقَالَتْ نِسَاءُ الْحَيِّ تَطْمَعُ أَنْ تَرَى *** بِعَيْنِكَ لَيْلِي

مُتَّ بِدَاءِ الْمَطَامِيعِ

وَ كَيْفَ تَرَى لَيْلِي بِعَيْنٍ تَرَى بِهَا *** سِوَاهَا وَ مَا

طَهَّرْتَهَا بِالْمَدَامِيعِ

وَ تَلْتَدُّ مِنْهَا بِالْحَدِيثِ وَ قَدْ جَرَى *** حَدِيثُ

سِوَاهَا فِي خُرُوقِ الْمَسَامِيعِ^١

و ليس بإمكان من صحب غير الله و خاطب أعداءه

و احتوى على مقاصد غير إلهية، و نوايا غير سبحانية، و

^١ «ديوان قيس بن الملوّح العامريّ» المشهور بمجنون ليلي العامريّة، ص ١٠٩، طبعة بومبي؛ و قد روي آية الله الملاً أحمد النراقيّ أعلى الله درجته و هو (خالي لأمي)، هذه الأبيات الأربعة في كتاب «الخرائن» ص ١٣٠، إلا أنّ ذكر البيتين الأوّلين كالتالي:

وَ إِذْ رُمْتُ مِنْ لَيْلِي عَنِ الْبُعْدِ نَظْرَةً *** لِأُطْفَى بِهَا نَارَ الْحِشَاءِ وَالْأَضَالِيعِ

تَقُولُ نِسَاءُ الْحَيِّ تَطْمَعُ أَنْ تَرَى *** مَحَاسِنَ لَيْلِي مُتَّ بِدَاءِ الْمَطَامِيعِ

و ذكر الأبيات كذلك الشيخ بهاء الدين العامليّ في «الكشكول» ص ٦١٠،

العمود الأيمن، الطبعة الحجرية، و في طبعة مصر بتحقيق طاهر أحمد الزاويّ،

دار إحياء الكتب العربيّة: ج ٢، ص ٢٣٠، و قال: «يُنسَبُ إِلَى الْمَجْنُونِ».

آمالِ دَنِيَّةٍ دَنِيوِيَّةٍ، أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَ يَتَشَرَّفَ بِرُؤْيَيْتِهِ. وَ
بِحَكْمِ امْتِنَاعِ اجْتِمَاعِ الضُّدِّينَ أَوْ النَّقِيضَيْنِ، فَلَا سَبِيلَ
لِدُخُولِهِ ذَلِكَ الْمِيدَانَ مَا لَمْ تَزُلْ النِّقَائِضُ وَ تَنْمَحَ تِلْكَ
الْأَعْرَاضُ.

منظر دل نیست جای صحبت اغیار *** ديو چو

بيرون رود فرشته در آيد. ^۱

۲
...

^۱ جاء في «ديوان حافظ» ص ۸۴، الغزليّة رقم ۱۸۷، طبعة پژمان، مطبعة بروخيم، سنة ۱۳۱۸، ما يلي:

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

^۲ (...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

بر سر آنم که گرز دست بر آيد *** دست بکاری زخم که غصه سر آيد
منظر دل نیست جای صحبت اضداد *** ديو چو بيرون رود فرشته در آيد
صحبت حکام، ظلمت شب يلداست *** نور ز خورشيد خواه بو که
بر آيد

بر در ارباب بی مروّت دنیا *** چند نشینی که خواجه کی بدر آيد
ترك گدائی مکن که گنج بیابی *** از نظر رهروی که بر گذر آيد
صالح و طالح متاع خویش نمودند *** تا که قبول افتد و چه در نظر آيد
بلبل عاشق تو عمر خواه که آخر *** باغ شود سبز و سرخ گل به بر آيد

غفلت حافظ درین سراچه عجب نیست *** هر که به میخانه رفت بی خبر
آيد

يقول: «إني عازم على بذل كل ما في وسعي لأضع حداً للأحزان.

بيت القلب ليس مكاناً لاجتماع الغرباء و الأصدقاء، فإذا طردت الشيطان من قلبك (و هو رمز الأوهام الساذجة و الشهوات الباطلة) فستدخل ملائكة السكون و الخير إليه لتنيره بنور الحق.

إن صحبة حكام الجور هي بحلقة ليلة يلدا (و هي أول و أطول ليلة من ليالي الشتاء) و برودتها، فالتمس شمس الحقيقة حتى تشرق هذه الشمس على كل العالم.

إلى متى تظلّ مُلازماً عتبة باب بيت اللثام، في حين أنك تهجر بيت الله و هو القادر على أن يُحسن إليك و يَمُنَّ عليك.

لا تنسَ التوجّه إلى أصحاب الضمائر الحيّة، عسى أن تحظى بكنز السعادة بمعونة أحد العرفاء.

الصالح و الطالح كلاهما يقدمان على البارئ عزّ و جلّ بما عندهما من عمل و سنرى لأي منهما يمنح الله تعالى رضاه و يشمله برعايته.

اطلب العمر من بلبلك العاشق فسيخضّر البستان آخر الأمر و يورق الزهر الأحمر.

لا عجب من غفلة حافظ من عاقبة الأمر في هذه الدنيا، فكلّ من يدخل خمارتها (الدنيا) و يشرب من خمر الهوى و الشهوة سيسكرُ لا محالة و يغفل».

*** جاء في التعليقة: (خلوت دل نيست) بدلاً من (صحبت اغيار).

*** البيتان التاليان المعروفان هما في نهاية الغزلية:

بگذرد این روزگار تلخ تر از زهر * بار دگر روزگار چون شکر آید**

صبر و ظفر هر دو دوستان قدیمند * بر اثر صبر نوبت ظفر آید**

يقول: «سينقضي هذا الدهر الأمر من السمّ (القاتل)، و سيعود ثانية الزمن (الحلو) كالسكر.

إن الصبر و الظفر صديقان قديمان، إذ أن الظفر دوماً يعقب الصبر».

لكن لا يوجد هذان البيتان في النسخ القديمة. (التعليقة)

لقد خصَّص ابن سينا، «النمط التاسع» من كتابه «الإشارات» لمقام العارفين، ويقول في نهاية ذلك النمط:
«إشارة: جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ عَنِ أَنْ يَكُونَ شَرِيعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ، أَوْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ إِلَّا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ. وَ لَذَلِكَ فَإِنَّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْفَنُّ ضُحْكَةً لِلْمُغْفَلِ عِبْرَةً لِلْمُحَصِّلِ؛ فَمَنْ سَمِعَهُ فَاشْمَأَزَّ عَنْهُ فَلْيَتَّهِمْ نَفْسَهُ، لَعَلَّهَا لَا تُنَاسِبُهُ؛ وَ كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ.»^١

و حكي الشيخ بهاء الدين العاملي أنه ورد في رواية أن إبراهيم بن أدهم كان يطوف بالكعبة فرأى شاباً أمرد جميل الوجه وسيم الطلعة. فنظر إليه برهة ثم تنحى عنه و تواری بین الْمُطَوِّفِينَ

^١ «شرح الإشارات» للخواجة نصير الدين الطوسي، الطبعة الحجرية، لسبع صفحات بقين منه، و عبارة «كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» هي من حديث نبوي يستشهد به العرفاء في كتبهم، منهم عزيز الدين النسفي في كتاب «الإنسان الكامل» ص ٢١٤.

فلما اختلى بنفسه سأله بعضهم عن سبب تلك النظرة

قائلين: لم نشهد لك مثل تلك النظرة إلى شابٍّ جميل فيما

سبق!

فقال: هو ابني، و قد كنتُ تركته في خراسان. فلما

شبَّ ترك مدينته

و طفق يبحت عني، فخفت أن يشغلني عن ذكر الله،

و خشيت إن هو عرفني أن آنس به. ثم أنشد هذه الأبيات:

هَجَرْتُ الخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَا *** وَ أَيْتَمْتُ العِيَالَ

لِكِي أَرَاكَا

فَلَوْ قَطَّعْتَنِي فِي الحُبِّ إِرْباً *** لَمَا حَنَّ الفُؤَادُ إِلَى

سِوَاكَا^١

^١ ورد في كتاب «نفائس الفنون في عرائس العيون» ج ٢، ص ٢٨، طبعة الإسلامية، ذكر هذه القصة بالشكل التالي:

«و علامه أخرى من علامات المحبة هي الحذر من أن يكون الابن أحد الموانع التي تقف في طريق الوصول؛ حيث ذكروا: أن إبراهيم أدهم رحمه الله عقد مع رفيقه، و هو في الطريق لأداء فريضة الحج، اتفاق موافقة و مصاحبة، تعهد فيها الجانبان عدم ستر المنكر عند ما يصدر من أحدهما. فلما وصلا إلى مكة، شاهدا إحدى العمارات المزيّنة و قد جلس فيها فتى و سيم. فتطلع إبراهيم إليه، و كرّر النظر. فأخذه رفيقه على هذا العمل. فاغرورقت عينا إبراهيم بالدموع و قال: ذاك ولدي فارقتُه و هو صغير، فالآن لِمَا رأيته عرفته. فقال رفيقه: اخبره عنك؟! فأجاب إبراهيم: لا! فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ تَرَكْنَاهُ لِلَّهِ فَلَا نَعُودُ فِيهِ! و أنشد هذين البيتين:

هَجَرْتُ الخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَا *** وَ أَيْتَمْتُ العِيَالَ لِكِي أَرَاكَا

وَ لَوْ قَطَّعْتَ إِرْباً ثُمَّ إِرْباً *** لَمَا حَنَّ الفُؤَادُ إِلَى سِوَاكَا

أَحِبُّ التُّقَى وَ النَّفْسُ تَطْلُبُ غَيْرَهُ *** وَ إِنِّي وَ إِيَّاهَا

لَمُضْطَرِّعَانِ

فَيَوْمٌ لَهَا مِنِّي وَ يَوْمٌ أَدَّهَا *** كِلَانَا عَلَى الْآيَامِ

مُعْتَرِكَانِ^١

بيان حال سيّد الشهداء عليه السلام في الخلوة بالحبيب

و بناءً على ما قيل، فإنّ الأبيات التي مطلعها:

*** هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَ ***

مروية عن إبراهيم بن أدهم، و أمّا نسبتها إلى سيّد

الشهداء الحسين

^١ «الكشكول» ج ٥، ص ٤٩٦، العمود الأيمن، الطبعة الحجرية؛ و كذا في «طرائق الحقائق»، ج ٢، ص ١١٩، الطبعة الحروفية، نقلاً عن الشيخ البهائي.

عليه السلام و ذلك على المنابر الحسينية فإن هذا
لسان حاله لا لسان مقاله.

لقد كان ذلك الإمام المعصوم رُوحِي و أرواح
العالمين فداه اسوة حسنة و مثالا يُحتذى به في الفناء في
ذات الحقّ تعالى، إذ لا تنتهي المسألة بيوم عاشوراء و لا
تُطوي بانطواء أحداثها في ذلك اليوم، بل أن نفسه الزكية
و رُوحه الطاهرة كانت مجبولة على هذه الحال في سبيل الله
عزّ و جلّ. أن يوم عاشوراء كان ساحة للتجلّي و الظهور،
كان يوم مكاشفة الخلائق و العوالم بما خفي عنهم و إبداء
ما لم يُبد لهم.

و ما أروع ما أنشد ناصر الدين شاه القاجاريّ في هذا
المقام، يقول:

عشقبازی کار هر شیاد نیست * این شکارِ دام**

هر صیاد نیست

عشق از معشوقه اول سرزند * تا به عاشق**

جلوه‌ی دیگر کند

تا به حدی بگذرد هستی ازو *** سرزند صد

شورش و مستی ازو

طالب این مدعی خواهی اگر *** بر حسین و

کربلایش کن نظر^۱

روز عاشورا شه دنیای عشق *** کرد رو به

جانب سلطان عشق

بارها این سرم این پیکرم *** این علمدار رشید

این اکبرم

این سکینه این رقیه این رباب *** این تن عریان

میان آفتاب

این من و این ذکر یا رب یا ربم *** این من و این

نالهای زینبم

^۱ يقول: «ليس كل مختل يخبر فنّ الغراميات، ولا كل صياد بقادر على إيقاع هذه الفريسة في شباكه.

إنّ العشق يبدأ أولاً من المعشوقة فيشير في العاشق عواطفه. و يبلغ هذا العشق درجةً يغيب فيها عن الوجود (أي العاشق)، و تتفجّر في داخله انتفاضات و هيجانات.

و إذا كنت تبحث عن مصداق هذا الكلام تجده في الحسين و مصيبتة في كربلاء».

پس خطاب آمد ز حقّ کای شاه عشق *** ای

حسین ای یگّه تاز راه عشق

گر تو بر ما عاشقی ای محترم *** پرده بر چین من

ز تو عاشق‌ترم

هر چه از دست داده‌ای در راه ما *** مرحبا صد

مرحبا خود هم بیا

خود بیا که می‌کشم من ناز تو *** عرش و فرشم

جمله پا انداز تو^۱

خود بیا که من خریدار توام *** مشتری بر جنس

بازار توام

^۱ يقول: «آه من یوم عاشوراء حیث توجه العشق کلّه إلى ملك العشق. قائلاً له: اللهم هذا رأسي و جسدي و حامل البيرق المغوار و على الأكبر. و سكينه و رقيّة و رباب و الجسد العريان تحت لهيب الشمس. و تراني و تسمع مني نداء يا ربّ يا ربّ و تسمع نواح زينب. فجاء النداء من الحقّ تعالى: يا سلطان العشق يا حسين يا وحيد درب العشق. إذا كنت لي عاشقاً أيها العزيز ارفع الستار و انظر فعشقي لك أكبر. مرحباً بكلّ تضحياتك التي قدّمتها في سبيلي فأقدم على أنت أيضاً. هلمّ إلى و تدلّل على، فعرشي و بساطي تحت أمرک».

ليك خود تنها مي در بزم يار *** خود بيا و

اصغرت را هم بيار

خوش بود در بزم ياران بلبلي *** خاصه در منقار

او باشد گلي

خود تو بلبل، گل علي اصغرت *** زودتر بشتاب

سوي داورت^۱

يقول المؤرّخ و العالم المعاصر حجّة الإسلام الحاجّ

الشيخ محمّد شريف الرازيّ أمدّ الله في عمره الشريف، و

الذي تشرف الحقيّر بمعرفة سماحته مدّة خمسين سنة، حول

تشرفه مرّة بزيارة المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه

السلام: أن القصائد الشعريّة التي يردّها أهل المنابر

الحسينيّة هي من تأليفه هو و قد أنشدها ارتجالاً أثناء

دخوله إلى الحائر الشريف:

^۱ يقول: «تعال إلى فيّ راغب إليك، و قد تقبّلتُ قرابينك.

لكن لا تأتِ بمفردك إلى مهرجان الأحبة، بل هاتِ معك على الأصغر.

و هنيئاً لبلبلٍ يذهب إلى حفلة الأحبة حاملاً بمنقاره زهرة.

أنت البلبل و على الأصغر الزهرة، فأسرع بالمجيء إلى ربّك».

گر دعوت دوست می شنیدم آن روز *** من

گوی مراد می ربودم آن روز

آن روز بود که روز هَل من ناصر *** یکاش که

ناصر تو بودم آن روز^۱

ثم شهِق شهِقة و اغشيَ عليه. فلما عاد إلى وعيه بدأ

ینشد الأبيات التالية و هو يبكي:

تو کیستی که گرفتی به هر دلی وطنی *** که نه در

انجمنی فی برون ز انجمنی

محمدی نه، علی نه، حسن نه پس تو که ای *** که

جلوه‌ها بنمودی چو گل به هر چمنی

به خلق مثل محمد به خوی مثل علی *** به روی

از همهی خلق، خلقت حسنی

همان حسین غریبی که روز عاشورا *** جهان

مصالحه کردی به کهنه پیرهنی^۲

^۱ يقول: «لو أنّي كنتُ قد سمعتُ دعوة الحبيب في ذلك اليوم.

لفزتُ بهدي العظیم المنشود في ذلك اليوم، ذلك اليوم الذي انطلقتُ فيه صرخة هل من ناصر، فيا ليتني كنتُ أنا الناصر الذي بحثتُ عنه في ذلك اليوم».

^۲ يقول: «يا من تربعتَ في كلِّ قلب، فلا أنت في الجمع ولا خارجه.

فلا أنت محمد و لا أنت علي و لا الحسن، فمن أنت إذًا، يا من تجلّيت كزهرة في كلّ بستان.

أنت كمحمد في الخلق و كعليّ في الخلق، و أن خلقتك حسنيّة من دون جميع الخلق.

إنّك أنت الحسين الغريب الذي بعثَ الدنيا كلّها بثوب بالٍ».

«اختران فروزان ري و طهران» أو «تذكرة المقابر في أحوال المفخر» ص ١٢٩؛ و قال كذلك:

لقد تشرّف مراراً بزيارة العتبات المقدّسة. و أنشد من أعماق فؤاده البيتين التاليين و ذلك عند تشرّفه بزيارة الحرم الشريف لأمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام:

إسكندر و من، اي شه معبود صفات * بر گرد جهان صرف نموديم**

اوقات

بر همت من كجارسد همت او * من خاك در تو جستم او آب حيات**

يقول: «أنا و الإسكندر جُلنا العالم و قضينا أوقاتاً طويلة، أيها السلطان، يا معبود الصفات أين همّته و عزمه من همّتي و عزمي فهو كان يبحث عن ماء الحياة في حين كنتُ أنا أبحث عن ترابك».

و ذكر في ص ١٣٠: «و حين تشرّفه بزيارة حرم الملك الحارس المرضيّ علي بن موسى عليه آلاف التحيّة و الثناء أنشد هذين البيتين بإخلاص تامّ و أهدها إلى ذلك الحرم الجليل:

در طوس، حريم كبريا مى بينم * بى پرده تجلّى خدا مى بينم**

در كفش كن حريم پور موسى * موسى كليم با عصا مى بينم**

يقول: «إنّي أرى حرم الكبرياء في طوس، و أرى تجلّي الله دون حجاب.

و أرى موسى الكليم مع عصاه في منزع الأحذية في حريم موسى».

و قال في ص ١٣١: «كان ذلك المرحوم يمتلك معلومات علميّة و ثقافيّة و أدبيّة و كان يمتلك ذوقاً و قريحة شعريّة، فكانت أشعاره الغزليّة بحقّ أشعار

إلى آخر القصيدة.

عظمة الأوج العرفانيّ لسيد الشهداء عليه السلام

لقد ابتغى هؤلاء الشعراء تبيان تلك الحالة التي
اعترت سيد الشهداء عليه السلام مصوراً مقولة «لي مع
الله»، تلك الحالة التي تمثلت فيها السعادة و الأوقات
العصيبة، و التي لم يكن لأيّ ملكٍ مُقَرَّبٍ أو نبيٍّ مُرْسَلٍ
قدرة الوصول إلى ذلك المقام الرفيع، أو تحمّل تلك
الرموز العرفانيّة السامية على الإطلاق.

فلننظر معاً إلى التعابير الجزلة و الإشارات البديعة و
اللطائف المليحة لحجّة الإسلام الشيخ محمد تقي نير
التبريزي، و هو يصف جانباً من حالات ذلك الإمام الهمام
و الصمصام البتار، و القائد الذي تنصّل عن كينونته و
طلب الالتحاق بالمحبوب، عزيزه.

الملوك و ملوك الأشعار، على غرار ما يُقال في المثل الدارج: كلام الملوك و
ملوك الكلام. و له ديوان شعريّ مطبوع بخطّ فارسيّ جميل و جذاب موشحاً
بالذهب و المينا و محفوظ في مكتبة الملك النفيسة و هي فرع من مكتبة الحرم
الرضويّ الشريف في طهران برقم ٦٠٠٤».

شرح الشيخ التبريزيّ حالة ذلك المقدم في ميدان

الحبّ السرمديّ

و ابتغائه الوصول إلى المحبوب الأزليّ و مقصوده و

مراده الأبدیّ قائلاً:

تا خبر دارم از او، بی خبر از خویشتم *** با

وجودش ز من آواز نیاید که منم

پیرهن گو همه پُر باش ز پیکان بلا *** که وجودم

همه او گشت من این پیرهنم

باش یکدم که کنم پیرهن شوق قبا *** ای کمان

کِش که زنی ناوُکِ پیکان به تنم

عشق را روزِ بهار است کجا شد رضوان *** تا

بَرَد لاله بدامن سوی خُلد از چمنم

روز عهد است بکِش اسپرم ای عقل ز پیش ***

تا تصوّر نکند خصم که پیمان شکنم

می نیاید به کفن راست تنِ کشتی عشق *** خصمِ

دون بیهده گو باز ندوزد کفنم^۱

^۱ یقول:

«طالما کان ذکره موجوداً فلا ذکر لی، و طالما کان وجوده موجوداً فلا صرخة

تُسمَع لی.

ثوبٌ ملائمةٌ سهام الوری، فأصبح ذلك الثوب وجودی کلّه.

هاتفم می دهد از غیب ندا شمر کجاست *** گو

شتابی که به یاد آمده عهد کهنم

سخت دلتنگ شدم، همتی ای شهپر تیر ***

بشکن این دام بکش باز به سوی وطنم

دایه‌ی عشق ز بس داده مرا خون جگر *** میدمد

آبله زخم کنون از بدنم

گوی مطلع چه عجب گر برم از فارس فارس

*** تا به مدح تو شها نیر شیرین سخنم^۱

سأجعل من ذلك الثوب جُبةَ الشوق، يا من تُصوّب سهامك نحو جسدي.
لقد أصبح الربيع يوم عشقي فأين رضوان ليأتي و يأخذ من بستاني الزهرة
المدثرة بالرداء إلى جنّات الخلد.

إنّه يوم العهد فخذ درعي أيها العقل حتى لا يتوهم العدو أنّي نقضتُ العهد.
و ليس يليق بقتيل العشق أن يُلبَسَ الكفن، أيها العدو اللئيم لا تقلّ عبثاً إنّني
بحاجة إلى كفن».

^۱ يقول:

«يناديني هاتفٌ من الغيب: أين الشمر، فقل له أن ما تفعلونه هو مصداق
لعهدي القديم.

لقد ضاق صدري فعجلوا يا خيرة الرماة، حطّموا لي هذا القيد و عجلوا برحيلي
إلى الموطن.

لقد ملأ العشق قلبي قيحاً حتى فارت دمامل الجرح من بدني.

ما أجمل أن أبدأ كلامي أنا نير ذرب اللسان و أمدحك أيها الملك».

"بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي وَ نَفْسِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؛ أَشْهَدُ لَقَدْ
اقْشَعَرْتُ لِدِمَائِكُمْ أَظْلَةَ الْعَرْشِ مَعَ أَظْلَةَ الْخَلَائِقِ، وَ
بَكْتِكُمْ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ سُكَّانُ الْجَنَانِ وَ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ" ^١.

يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة الشريفة أن أشباح
العرش و أشباح الخلائق لم يتحمّلوا أو يطيقوا مشهد تلك
الواقعة، فاقشعرت أبدانهم و ارتعدت فرائصهم و
مفاصلهم من شدّة وَقَعَتِ تلك الحادثة، و كذا السماوات و
الأرضون و سكّانها، و أهل الجنّة و الصحاري و البحار،
بكوا لذلك المصاب الجلل. فعليك سيّدي و مولاي
السلام بعدد الخلائق التي لا يعلم عددها إلاّ الله و حده،

ديوان «آتشكده» لحجّة الإسلام نيّر طاب ثراه، ص ٢٣، الطبعة الرابعة: و هو
لسان حال الإمام أبي عبد الله عليه السلام حين استشهاده.

^١ «مفاتيح الجنان» ص ٤٣٩، الطبعة الإسلامية، ١٣٧٩ هـ؛ وهي جزء من جملة
زيارة سيّد الشهداء عليه السلام التي تُقرأ في الأوقات الستّة: في أيّام و ليالي
الأوّل من رجب، و النصف من رجب و النصف من شعبان (حسب ما روي
عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في كتب الشيخ المفيد و السيّد ابن
طاووس و الشهيد).

يا مَنْ أظهر الجميع عجزهم الكامل أمام عظمتك و
صبرك و جلدك، و تحيّرُوا إزاء شخصك و منزلتك.

آسمان بار امانت نتوانست كشيد *** قرعه‌ی فال

به نام من دیوانه زدند^۱

^۱ يقول: «أزفت السماء عن حمل الأمانة، فجاءت القرعة باسمي أنا المجنون».

الْبَحْثُ الْخَامِسُ إِلَى الثَّامِنِ: اللَّهُ عَاشِقٌ مَا سِوَاهُ، وَمَا سِوَى
اللَّهِ عَاشِقُهُ وَتَفْسِيرُ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ
كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذْحًا فَمُلَاقِيهِ }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْوَدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
أَعْدَانِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

تفسير آية: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ }

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا

فَمُلَاقِيهِ } . (الآية ٦، من السورة ٨٤: الانشقاق)

قال استاذنا الأعظم آية الحقّ و العرفان العلامة

الطباطبائيّ أعلى الله مقامه في تفسير هذه الآية الكريمة:

«قال الراغب: الكَدْحُ السعي و العناء- انتهى. ففيه

معنى السير، و قيل: الكدح جهد النفس في العمل حتى

يؤثر فيها انتهى - و على هذا فهو مُضْمَن معنى السير،
بدليل تعدّيه بإلى، ففي الكدح معنى السير على أيّ حال.
و قوله: فَمُلَاقِيهِ عَطْفٌ عَلَى كَادِحٍ، و قد بيّن به أن غاية
هذا السير و السعي و العناء هو الله سبحانه بما أن له
الربوبيّة، اي أن الإنسان بما أنّه عبد مربوب و مملوك مُدَبَّر،
ساعٍ إلى الله سبحانه بما أنّه ربّه و مالكه المُدَبَّر لأمره، فإنّ
العبد لا يملك لنفسه إرادة و لا عملاً، فعليه أن لا يريد و
لا يعمل إلّا ما أَرَادَهُ رَبُّهُ و مَوْلَاهُ و أمره به، فهو مسؤول
عن إرادته و عمله.

و من هنا يظهر **أولاً** أن قوله: **{إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ}**

يتضمّن حجة على المعاد، لما عرفت أن الربوبية لا تتم إلا مع عبودية، و لا تتم العبودية إلا مع مسؤولية، و لا تتم مسؤولية إلا برجوع و حساب على الأعمال، و لا يتم حساب إلا بجزاء.

و **ثانياً**: أن المراد بملاقاته انتهاؤه إلى حيث لا حكم إلا حكمه، من غير أن يحجبه عن ربه حاجب.

و **ثالثاً**: أن المخاطب في الآية هو الإنسان بما أنه إنسان، فالمراد به الجنس، و ذلك أن الربوبية عامّة لكل إنسان^١.

قد أثبت أعظم حكماء الإسلام أن بين ربّ العزة و بين مخلوقاته نوعاً من الجذب و الانجذاب يُعبر عنه بالعشق.

و لا جرّم أن حبّ الله لمخلوقاته هو الذي أوجدها، و ألبس كلّ واحد منها (كلّ حسب إمكانيّته و استعداده و ماهيته المتفاوتة) لباس الوجود و البقاء، و وصف كلّ

^١ «الميزان في تفسير القرآن» ج ٢٠، ص ٣٦٠.

منها بصفاته حسب ما يتناسب معه. أن هذا الحب هو الذي أعطى العالم كيانه و بقاءه و ديمومته، بدءاً بالأفلاك و مروراً بالأرض و الذرة إلى الدرة، و جعلها كلها موجودات تتحرك نحوه و تشقُّ طريقها إليه.

و كذا حال حياتنا و معيشتنا في حركتنا نحو الله، فهي تمضي قدماً إلى لقائه بواسطة ذلك الحب و العشق الذي أوجده الله عزّ و جلّ في الخلقة و الفطرة. و على هذا فإنّ كلّ موجود من الموجودات الإمكانية يجد طريقه إلى الاستمرار في حياته و بقاءه على أساس و أصل ذلك الحب للمحبوب، و هكذا يستمدّ قانون التجاذب (الجذب و الانجذاب) استمراريته بين جميع المخلوقات السفلية (الدنيا) و العوالم العلوية.

إن هذا التجاذب المستقرّ في كلّ موجود و بشكل
معين، هو السبب في تكوين و إنشاء تلك الحركة المُتَّجِهَة
نحو المبدأ الأعلى عبر مدارج و معارج متباينة، و هو
السبب في ذلك الحبّ الذي يدفع بجميع العاشقين إلى
التحرُّك باتجاه ذلك المحبوب و السير نحوه بوساطة ذلك
الحبّ، من دون حجاب أو من وراء حجاب على السواء.
و كلّ ما في الأمر أن الموجودات الضعيفة و الماهيات
السفليّة تتعرّض خلال سيرها لتأثير شديد من قِبَل قوى
أشدّ منها نظراً لصفة المحدوديّة الموجودة في وجودها،
و هو ما يتسبّب في فنائها هناك. و طبقاً للقاعدة القائلة:
(الأقرب فالأقرب)، فإنّ أيّ موجود عالٍ هو غاية السير
عند الموجود و المعلول الأدنى منه، حتى يصل إلى ذات
الحقّ و المُصدّر المطلق، و الذي هو الموجود الأوّل
العظيم اللامتناهي في عالم العوالم، حيث يفني فيه و تتحقّق
عند ذاك عمليّة التحابب و التعاشق بين الحقّ سبحانه و
تعالى و بين ذلك الموجود.

و قد عُبرَ في هذه الآية الشريفة الكريمة عن تحرك
الإنسان نحو هذا المحبوب ذي الجمال و المعشوق
صاحب الجلال، و هو الهدف النهائي و المقصد الرئيسي،
بالكدح.

و معنى ذلك أنه يتوجب على الإنسان - و هو أشرف
المخلوقات استعداداً - أن يوصل ذاته و نفسه إلى الفناء
التام بالفعل.

فناك مَنْ حالفهم الحظّ و وصلوا، و هنالك من
أضاعوا استعدادهم و ضيّعوا عدّتهم، و فشلوا في أن يجدوا
مأمناً و أمناً في حرم أمنه، و عجزوا عن الاستقرار في ظلّه،
و لم يفلحوا في اجتياز موانع الصراط و الدخول إلى حضرة
جلاله، و سيلتقي كلّ منهم به و يتلاقى معه و سيصلون
إلى محبوبهم الحقيقيّ من وراء ألف حجاب، و عندها
سيوقنون بأنّه هو وحده غاية مرادهم و حبيب قلوبهم، و
كلّ ما في الأمر، أنّهم في دنيا الشهوات الدنيّة

التي أعشت عيونهم، لم يروا جلاله، وها هم، يصلون
بعد الحُجب لملاقاة ربهم عزّ وجلّ.

«رسالة العشق» لابن سينا: الله تعالى وجميع الموجودات الإمكانية عشاق

ذَكَرَ الشَّيْخُ بهاء الدين العامليّ في كشكوله:

«للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا رسالة في ذكر

العشق¹ تحت عنوان «رسالة العشق»، و فيها يتوسّع في

مقالته و يقول بأنّ العشق لا يختصّ بالإنسان وحده، بل

بجميع الكائنات، من الفلكيّات و العناصر، و المواليد

الثلاثة (المعادن و النباتات و الحيوانات) مجبولة عليه

¹ العشق، بمعنى الإفراط في الحبّ، و اللفظة مأخوذة من كلمة عَشَقَة، نباتٌ يلتوي على شجرة العنب و يلزمها فيمتصّ عصارتها و تدبل نتيجة ذلك. و هذا النبات الذي يدعى كذلك اللَّبَّابِ أو السَّرِيشَلَة لا يمتلك حَبًّا حتى ينبت على الأرض، بل ينمو لوحده تلقائيًّا في مزارع العنب، و يلتصق جذره و ساقه بشجرة العنب. و لو فصل من هذا النبات جزء و تمكّن من الوصول إلى شجرة عنب أخرى التصق بها على الفور و نما سريعاً و يعمل على إتلاف الشجرة فتدبل و تبيس. و قيل إنّه يكفي زرع حَبّة واحدة من هذا النبات في مزرعة عنب لإتلافها جميعاً، فهو ينمو بسرعة و يعمل على تبيس الشجرة. فحقّ إذاً للمزارعين أن يخافوا نموّ هذا النبات و يسارعوا إلى استئصاله فور اكتشافهم له في مزارع العنب، ثمّ يعمدون إلى حرقه لمنع تواجد أيّ أثر له على الأرض تماماً.

بالفطرة، وهي منقوشة في ذاتها و ماهيتها^١. انتهى كلام
الشيخ البهائي رحمة الله عليه.

و تبدأ الرسالة بالعبارة التالية:

بِسْمِكَ اللَّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ، سَأَلْتُ أَسْعَدَكَ اللَّهُ يَا عَبْدَ
اللَّهِ الْفَقِيهَ الْمُعْصِرِيَّ! أَنْ أَجْمَعَ لَكَ رِسَالَةً تَتَّضَمَّنُ إِضَاحَ
الْقَوْلِ فِي الْعِشْقِ عَلَى سَبِيلِ الْإِيْجَازِ فَأَجِبْتُكَ - إِلَى آخِرِهَا.

^١ قال العرفاء عن الماهية بأنها العين الثابتة، و كذلك سمّوها بالتعين؛ و ورد
ذكرها في الروايات باسم الطينة.

و قد نظّم هذه الرسالة في سبعة فصول و هي:

الأوّل: في ذكر أن العشق يسري في كلّ ذات.

الثاني: في ذكر العشق في الجواهر البسيطة غير الحيّة،

على سبيل المثال، الهيولى، و الظواهر، و المعادن، و كلّ جماد.

الثالث: في ذكر العشق في الموجودات و الأشياء التي

تمتلك القوّة المغدّية.

الرابع: في ذكر العشق في الموجودات الحيوانيّة،

لسبب أنّها تمتلك قوّة حيوانيّة.

الخامس: في ذكر العشق في الظرفاء و الفتيان في قبال

حسان الوجوه.

السادس: في ذكر العشق في النفوس المتألّهة.

السابع: و هو فصل يختتم به الكتاب بالمراجعة و

الاستنتاج.

و هذه الرسالة استدلاليّة، و مطالعتها من قبل ذوي

الرأي لا تخلو من فائدة.

و قد تحدّث مفصّلاً في الفصل الخامس، و هو بعنوان

«عِشْقُ الظُّرْفَاءِ وَ الْفِتْيَانِ ١ لِلاَّوْجِهِ الْحِسَانِ»، و استدلّ

بالحديث الشريف للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم:

"اطْلُبُوا الْحَوَائِجَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ" ٢، و عدّد أوجه

الحلال

و الحرام، عقلاً و شرعاً، موضّحاً بأنّ الشريعة

الإسلامية الغراء قد أوصت باب العشق المذموم، و

ذلك بالاستدلال العقليّ، و بالمقابل، قد فتحت باب

العشق الممدوح على مصراعيه ٣.

١ ظُرْفَاءُ جَمْعُ ظَرِيفٍ. ظَرْفٌ - ظَرْفًا وَ ظَرَفَةٌ: كَانَ كَيْسًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ، كَانَ ذَكِيًّا بَارِعًا، فَهُوَ ظَرِيفٌ؛ ج: ظُرْفَاءٌ وَ ظِرَافٌ وَ ظَرْفٌ وَ ظُرُوفٌ وَ ظَرِيفُونَ.

وَ فِتْيَانٌ جَمْعُ فَتَى، وَ هُوَ الشَّابُّ الْحَدَثُ، السَّخِيُّ الْكَرِيمُ؛ ج: فِتْيَانٌ وَ فِتْيَةٌ وَ فِتْوَةٌ وَ فُتُوٌّ وَ فُتْيٌ وَ فِتْيِيٌّ.

٢ جاء في «مكاتب الرسول» ج ٢، ص ٦١٤، نقلًا عن «كنز العمال»: كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِلَى عَمَّالِهِ: إِذَا أَبْرَدْتُمْ إِلَى بَرِيدًا فَأَبْرِدُوهُ فَأَبْعَثُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ

حَسَنَ الْأَسْمِ.

٣ يقول المَلّا الروميّ («المثنوي» ج ١، ص ٧، طبعة ميرخاني) عن الحبّ المذموم ما معناه:

عشقهای کز پی رنگی بود * عشق نبود عاقبت ننگی بود**

يقول: «إن يكن حبًّا كثير التلون؛ فذاك الحبّ شؤماً ليس حبًّا».

و يستطرد في بحثه عشق النفوس المتألّهة، حتى يصل إلى المقطع الذي يقول فيه:

«الآن، أصبح واضحاً، بأنّ العلة الأولى، هي مصدر كلّ الخيرات، و لا مسبّب لهذه العلة؛ و عليه، فهذه العلة (الله) هي الخير المطلق، استناداً لمحض ذاته المقدّسة، و كذلك، بالقياس إلى جميع الموجودات، و ذلك، لأنّه هو حبل بقاء المخلوقات و دوامها.

و هذه المخلوقات، هائمة و مشتاقة إلى كمال العلة الأولى، و بهذا، يكون هو الخير المطلق، بكلّ الاعتبار و على جميع الأوجه.

و حول الحبّ الممدوح قال:

عشق آن زنده گزين كو باقى است *** وز شراب جان فزايت ساقى است

عشق آن بگزين كه جمله انبياء *** يافتند از عشق وى كار و كيا

تو مگو ما را بدان شه بار نيست *** با كريمان كارها دشوار نيست

يقول: «ابحث عن عشق ذلك الحيّ الذي هو باقٍ على الدوام، و هو الذي يسقيك شراب الروح.

اطلب عشق ذلك الذي نال به جميع الأنبياء مرادهم و مطلبهم.

و لا تقل: أين نحن من ذلك السلطان؟ فليس التعامل مع الكرماء صعباً أو مستحيلاً».

و قد قلنا من قبل أن من أدرك خيراً هام فيه بلا إرادة
منه، و لهذا، فالعلة الأولى، هي المعشوق بالنسبة إلى
النفوس المتأهّة، و لأنّ كمال هذه النفوس، الإنسيّ منها و
الملائكي، هو تصوّر تلك النفوس للمعقولات كلّ
حسب قدرته (من باب التشبّه بذات الخير المطلقة) حتى
تصدر عنها أفعال عادلة من قبيل الفضائل البشريّة، و على
مثال تحريك النفوس الملائكيّة للجواهر العلويّة السائلة.
أن بقاء الموجودات في عالم الكون و الفساد (هو من باب
التشبّه بذات الخير المطلقة) و التقرب له و الاستفادة من
كماله و فضيلته و الانتفاع بها. و على هذا فقد بات واضحاً
أن الخير المطلق هو معشوق هذه النفوس، و لذا سُميت
تلك النفوس بـ «التأهّة» لسبب نسبتها و تشبّهها به و
حبّها له؛ و هذا العشق و ذلك الحبّ ثابتٌ و متأصلٌ في
تلك النفوس المتصفة بالتأهّ، غير زائل عنها».

حتّى يصل إلى قوله:

«أصبح واضحاً بأنّ وجود الحقّ، و هو الخير المطلق،

هو المعشوق الحقيقيّ للنفوس الإنسيّة و الملائكيّة».

و يقول في الفصل الختاميّ:

«نريد في هذا الفصل، الخروج بعدّة استنتاجات:

أولاً: كما ذكرنا سابقاً، أن جميع الموجودات في هذا

الكون، هي في الحقيقة، عاشقة و تواقّة إلى الخير المطلق،

بفعل العشق^١ الغريزيّ، و هذا

الخير المطلق متجلّ لعشّاقه، و لكنّ هذا التجلّي

مختلف بحسب درجات هذه الموجودات، حيث إنّهم كلّما

^١ ذكر معلق و مترجم الرسالة في هذا الخصوص: «يصنّف الادباء و أهل الذوق

المحبّة إلى مراتب هي:

المرتبة الاولى مرتبة الهوى؛ الثانية مرتبة العلاقة؛ ثم مرتبة الكلف؛ ثم مرتبة

العشق؛ ثم مرتبة الشّعف (بالعين المهملة)؛ ثم مرتبة الشّعف (بالعين

المعجمة)؛ ثم مرتبة الجوى؛ ثم مرتبة التيم؛ ثم مرتبة التبل (بفتح التاء و سكون

الباء)؛ ثم مرتبة التدلّية؛ ثم مرتبة الهيوم، و هي آخر المراتب التي يمكن للعاشق

الفاني في معشوقه أن يصل إليها، و في هذه المرتبة ينشد الشاعر قائلاً:

در هر چه نظر کردم * سیای تو می بینم**

يقول: «فما نظرت إلى شيء من حولي؛ إلا و في ذلك الشيء رسمك».

أو كما قال بايزيد: ليس في جبتّي إلا الله.

و قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: **مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ أَوْ**

مَعَهُ.

ازدادوا تقرباً من الخير المطلق، عظم تجلّيه لهم، و العكس بالعكس.

ثانياً: أن الخير المطلق و العلة الاولى، يميل انسجاماً مع كرمه و رحمته الذاتيتين إلى أن يشمل بلطفه جميع الكائنات.

ثالثاً: وجود كلّ الموجودات هو انعكاس لهذا اللطف من لدن الخير المطلق.

أما و قد تمّ توضيح هذه المسألة بشكل إجماليّ، الآن نقول: بأنّ في تركيب آحاد هذه الموجودات عشق غريزيّ لأجل استحصال كمالها الذاتيّ، و كمالها هو نفسه الخير الذي أشرنا إليه.

إذاً، فسبب وقوع كلّ الخيرات، هو ذلك المعشوق الحقيقيّ لكلّ الموجودات، و الذي عبّرنا عنه بالعلة الاولى، فهي معشوق كلّ الموجودات، و إذا كان هناك من حُرِم معرفته، و جهل وجوده، فهذا الجهل لا ينفي العشق الغريزيّ في الموجودات، لأنّ كلّاً وراء كماله الذاتيّ، و حقيقة الكمال - الذي هو الخير المطلق - تلك العلة

الاولى، و التي تتجلّى لكلّ الموجودات، بحسب ذاتها، إلا
أن يكون محبوباً بذاته عن التجليّ،

فيلزم أن يستتر، فلا ينعم أيّ من الموجودات من
فيض وجوده.

إذا كان تجلّي الخير الأوّل هو بتأثير الغير، فيجب إذاً أن
تكون الذات المتعالية، والمنزّهة عن كل النقائص، واقعة
تحت تأثير الغير أيضاً، وهذا محال، بل الخير الأوّل يتجلّى
بحسب الذات، و حجب تجلّيه عن بعض الذوات، هو
لقصور و ضعف في هذه الذوات ليس إلّا.

و بعبارة أخرى: كلّ نقص و عيب، يكون من جانب
القابل، و ليس من جانب الفاعل، و إلاّ فذاته المقدّسة
متجلّية بحسب الذوات».

و يستطرد في قوله حتى يصل إلى:

«الثاني: أن الموجود المتهيّ لأن ينعم باللطف

الإلهيّ، هو موجود ذو نفس إهيّة، على الرغم من أنّه في

البدء، و مصداقاً للآية الكريمة {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}

وجد بتأثير الفعل الفعّال، و من موقع القوّة، و أمّدته من

موقع التصرّوات و رتبة التعقّلات، و لكن، ما أن يصل إلى

حدود الفعلية، و ينعم بنعمة القرب من الحقّ تعالى، حتى

يعلو ويسمو إلى مراتب أعلى من ذلك. حيث يقول الملك
المقرب من الله في هذا المقام: **"لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً
لَا حَرَقْتُ"**.

و يتابع قائلاً:

«لذا، فقد أصبح واضحاً بأن اللطف الإلهي و الخير
المطلق، هو سبب نشئ كل الموجودات، و علة وجودها،
فلو لا هذا اللطف الإلهي، ما لبس مخلوق لباس الوجود،
و أن الحق تعالى بوجوده، عاشق لوجود جميع المعلولات،
لأن جميع المعلولات كما أسلفنا، انعكاس لنور لطفه، و
لأن عشق العلة الاولى، هو أظهر العشق، فيكون من فاز
بلطفه هو المعشوق الحقيقي، و هذا اللطف، هو مراد
النفوس المتألهة، و هي نفسها، معشوقات العلة الاولى، و
نستشف من كلمات الأئمة المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين ما يلي:

قال الله تعالى: أَيًّا مِنْ عِبَادِي كَانَتْ لَهُ الْأَوْصَافُ

الفلانيّة، و عشقني، عشقته أنا أيضاً، لأنّ الحكمة الإلهيّة

تقتضي أن لا يهمل أو يعطل شيء يحوي جملة فضائل، و

هذه الفضائل، متأصلة في ذاته، و إن لم يصل بفضيلته إلى

حدّها الأقصى، و عليه، فالخير المطلق، بمقتضى حكمته

الذاتيّة، هو عاشق؛ عاشق لمن لبس الكمال، و إن لم يكن

أقصى الكمال... وَ إِذَا بَلَّغْنَا هَذَا الْمَبْلَغَ فَلْنَخْتِمِ الرَّسَالَهَ، وَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^١.

إثبات صدر المتألهين سريران العشق في جميع الموجودات

و قد بسط المرحوم صدر المتألهين قدس الله نفسه

الزكيّة الكلام في بحث العشق على نحو أعمق و أجمل ممّا

^١ قامت منشورات بيدار بطبع «رسالة عشق» (= رسالة العشق) مع اثنتين و

عشرين رسالة أخرى في بلدة قم الطيبة تحت عنوان «رسائل الشيخ الرئيس أبي

على الحسين بن عبد الله بن سينا» (ج ١)، و قد احتلّت «رسالة عشق» الصفحات

٣٧٣ إلى ٣٩٧. و قام الخطيب الشهير السيّد ضياء الدين الدرّيّ بترجمتها مع

ثلاث رسائل أخرى للشيخ باسم «الفوائد الدرّيّة»، و تولّت المكتبة المركزيّة

طبعها سنة ١٣٥٨ هـ، و بلغ مجموع الصفحات التي استوعبتها «رسالة عشق»

من هذه الطبعة الثلاثين.

فعل الشيخ الرئيس، حيث برهن تحت عنوان: «الفصل
١٥: في إثبات أن جميع الموجودات عاشقة لله سبحانه
مُشْتاقَةٌ إلى لِقَائِهِ وَ الوُصُولِ إلى دَارِ كَرَامَتِهِ»، على أن الله
سبحانه و تعالى، قدّر لكلّ موجود من الموجودات:
العقلية و النفسية و الحسّية و الطبعية، بصيصاً من الكمال،
و لأجل بلوغ هذا الكمال و التحرك نحو إتمامه، ركّز فيهم
العشق و الشوق. أمّا العشق بلا شوق، فهو من اختصاص
المفارقات العقلية، التي تمتلك الفعلية في جميع جهاتها، و
أمّا في غير المفارقات العقلية من الموجودات التي تفتقر
إلى الكمال و لكنّها

تمتلك القوّة و الاستعداد، فقد أودع فيها العشق و
الشوق الإراديين بمقدار، و هكذا العشق و الشوق
الطبيعيين بمقدار، بحسب تفاوت درجاتها في كلّ من
هذين الصنفين».

و يتابع الحديث، إلى أن يصل في كلامه إلى:
«و أنت تعلم أن إثبات العشق في شيء بدون الحياة و
الشعور فيه كان مجرد التسمية، و نحن قد بينا- في السفر
الأوّل في مباحث العلة و المعلول- عشق الهوى إلى
الصورة بوجه قياسي حكمي لا مزيد عليه.

و قد مرّ أيضاً إثبات الحياة و الشعور في جميع
الموجودات و هو العمدة في هذا الباب و لم يتيسر للشيخ
الرئيس تحقيقه، و لا لأحد ممّن تأخّر عنه إلى يومنا هذا إلاّ
لأهل الكشف من الصوفيّة، فإنّه لاح لهم- بضرب من
الوجدان و تتبّع أنوار الكتاب و السنّة- أن كلّ شيء حيّ
وَ نَاطِقٌ وَ ذَاكِرٌ لِلَّهِ، مُسَبِّحٌ سَاجِدٌ لَهُ كما نطق به القرآن في
قوله:

{وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} ١.

و قوله: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ

الْأَرْضِ} ٢.

ردّ صدر المتألهين على الشيخ الرئيس في عشق البسائط غير الحيّة

و نحن بحمد الله عرفنا ذلك بالبرهان و الإيذان

جميعاً، و هذا أمر قد اختصّ بنا بفضل الله و حسن توفيقه.

فإنّ الذي بلغ إليه نظر «الشيخ» و هو من أعظم

الفلاسفة في هذه الدورة الإسلاميّة في إثبات العشق في

البسائط غير الحيّة ما ذكره في تلك الرسالة بقوله: «أنّ

البسائط غير الحيّة ثلاثة: أحدها الهيولى الحقيقيّة، و الثاني

١ مقطع من الآية ٤٤، من السورة ١٧: الإسراء.

٢ صدر الآية ١٥، من السورة ١٣: الرعد.

الصورة التي لا يمكن لها القوام بانفراد ذاتها، الثالث

الأعراض»^١.

و هنا يذكر صدر المتألمين نصّ عبارة الشيخ، و هي تقع في صفحة و نصف الصفحة تقريباً، مستتجاً بأنّ الشيخ قد عبّر عن تلازم الهيولى و الصورة بالعشق، ثمّ يقول: «أن كلّ واحد من البسائط غير الحيّة قرين عشق غريزيّ، فإذا الذي ذكره الشيخ ليس بشيء».

و نحن نثبت وجود العشق في الموجودات غير الحيّة، عن طريق إثبات وجود الحياة و الشعور لديها، و ما ذكره الشيخ، هو في غاية الضعف، حيث إنّّه لا يخفي على أيّ ذكيّ بأنّ قوله في إثبات معنى العشق في هذه الموجودات لم يتحقّق إلاّ اللهمّ بطريق التشبيه»^٢.

و يتابع صاحب «الأسفار الأربعة» الكلام حتى يصل

إلى هذا المقطع:

^١ «الأسفار الأربعة» ج ٧، ص ١٥٢ إلى ١٥٤.

^٢ «المصدر السابق»، ص ١٤٨ إلى ١٥٥.

الفصل ١٦ : في بيان طريق آخر في سرّيان معنى

العشق في كلّ الأشياء^١.

و بعد إتمام هذا البحث، يصل إلى:

الفصل ١٧ : في بيان أن المعشوق الحقيقي لجميع

الموجودات و أن كان شيئاً واحداً في المال و هو نيل

الخير المطلق و الجمال الأكمل، إلا أن لكل واحد من

أصناف الموجودات معشوقاً خاصاً قريباً يتوسل بعشقه

إلى ذلك المعشوق العام^٢.

في هذا البحث أيضاً، يقوم صدر المتألهين ببسط

القول و تقديم بيان

^١ «المصدر السابق»، ص ١٥٨ و ١٦٠.

^٢ «المصدر السابق»، ص ١٦٠.

شافٍ و مفصّل، و بعد بيان الفصل (١٨)، يصل

بالموضوع إلى:

الفصل ١٩: في ذكرِ عَشِقِ الظُّرْفَاءِ وَ الْفِتْيَانِ لِلأَوْجِه

الحِسانِ، حيث مبتغانا في بيان العشق العامّ في الموجودات للذات القدسيّة للحقّ تعالى، هذه الفقرة من هذا العشق للذات القدسيّة للبارئ جلّ و علا سبحانه و تعالى شأنه.

و بعد سرد تعريفات مختلفة للعشق، يقوم صدر

المتأهّين بالبرهنة على أن العشق ليس عشقاً للجسم أو

الصورة أو للشكل أو الشمائل، بل هو عشق للنفس

وحدها، و لا يمكن أن يكون مراد العشق مادّة أو أمراً

مادّيّاً محسوساً. بل المراد، هو أمر معنويّ و حسب، و لهذا

فإنّ العاشق حتى و إن أدرك جسم المعشوق، أو وجهه،

أو كلّ أعضائه، فإنّ عشقه لن يسكن و لن يهدأ إلّا بعد أن

تتصل روحه بروح المعشوق، و تذوب و تتلاشى فيها.

قال: «و منهم من قال أن العشق هو إفراط الشوق إلى

الاتّحاد، و هذا القول و إن كان حسناً إلّا أنّه كلام مجمل

يحتاج إلى تفصيل، لأنّ هذا الاتّحاد من أيّ ضروب الاتّحاد،

فإنّ الاتحاد قد يكون بين الجسمين، و ذلك بالامتزاج و الاختلاط، و ليس ذلك يتصوّر في حقّ النفوس، ثمّ لو فرض وقوع الاتّصال بين بدنيّ العاشق و المعشوق في حالة الغفلة و الذهول^١ أو النوم فعلم يقيناً أنّ بذلك لم يحصل المقصود، لأنّ العشق كما مرّ من صفات النفوس لا من صفات الأجرام السماويّة، بل الذي يتصوّر و يصحّ من معنى الاتحاد هو الذي بيناه- في مباحث العقل و المعقول- من اتّحاد النفس العاقلة بصورة العقل بالفعل و اتّحاد النفس الحسّاسة بصورة

المحسوس بالفعل.

فعلى هذا المعنى يصحّ صيرورة النفس العاشقة لشخص متّحدة بصورة معشوقها و ذلك بعد تكرّر المشاهدات^٢ و توارد الأنظار و شدّة الفكر و الذّكر في أشكاله و شمائله حتى يصير متمثلاً صورته حاضرة

^١ قال الحكيم السبزواريّ، إنّما قيّد به إذ في حالة انفكّك الاتّصال الجسمانيّ عن الاتّصال الروحانيّ ينكشف جليّة الحال من أنّه أيّهما المقصود.

^٢ قال الحكيم السبزواريّ: يعني أنّ الاتحاد، و إنّ حصل بمشاهدة مرّة، إلّا أنّه يستدعي ملكة الاتحاد، لأنّه أثر هذه الصور على جميع مدركاته.

متدرّعة في ذات العاشق. و هذا ممّا أوضحنّا سبيله و حقّقنا
طريقه بحيث لم يبق لأحد من الأزكياء مجال الإنكار فيه.
و قد وقع في حكايات العشّاق ما يدلّ على ذلك، كما
روي أن مجنون العامريّ كان في بعض الأحيان مستغرقاً
في العشق بحيث جاءت حبيبته و نادته: يا مجنون! أنا ليلي.
فما التفت إليها، و قال:

لي عنك غني بعشيقك!

فإنّ العشق بالحقيقة هو الصورة الحاصلة، و هي
المعشوقة بالذات لا الأمر الخارجيّ و هو ذو الصورة إلّا
بالعرض، كما أن المعلوم بالذات هو نفس الصورة
العلميّة لا ما خرج عن التصرّور.

و إذا تبين و صحّ اتّحاد العاقل بصورة المعقول و اتّحاد
الجوهر الحاسّ بصورة المحسوس - كلّ ذلك عند
الاستحضار الشديد و المشاهدة القويّة كما سبق - فقد
صحّ اتّحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفتقر

¹ قال سماحة الحاجّ السيّد هاشم الحدّاد روعي فداه: أن مجنون ليلي كان يقول
لليلي: دعي نفسك عني! فإنّ فيك غني عنك!

بعد ذلك إلى حضور جسمه و الاستفادة من شخصه، كما

قال الشاعر:

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَ مَنْ أَهْوَى أَنَا *** نَحْنُ رُوحَانِ

حَلَلْنَا بَدَنًا

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ *** وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا^١

استحالة الاتصال الحقيقي بين جسمين، ووجود العشق بين جسمين

ثم لا يخفى أن الاتحاد بين الشيئين لا يتصور إلا كما
حققنا، و ذلك من خاصية الامور الروحانية و الأحوال
الإنسانية. و أمّا الأجسام و الجسمانيات فلا يمكن فيها
الاتحاد بوجه، بل المجاورة و الممازجة و المماسّة لا غير،

^١ قال الحكيم السبزواري قدّس الله نفسه في تعليقه على هذا البيت ما معناه:
«قد يتوهم البعض من أنّه كان من الأفضل أن يقال نحن روح واحد حلّ بدنين،
و الجواب هو أن الشاعر أراد: أننا في الحقيقة شخصان من حيث إنّنا متّحدان،
فلو تحقّق وجود أحد البدنين تحقّق وجود الثاني كذلك، فلا تتوهموا و تقولوا أن
روحي فقط هي التي حلّت في بدني، بل أن روحه أيضاً حلّت فيه، ذلك أن
روحي هي روحه. و كذا الحال مع بدنه و روحه هو»- انتهى كلام الحكيم
السبزواري).

و جاء في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢، ص ٢٦ و ٢٧، طبعة الدار الإسلامية:
«قال الجنيد: المحبّة دخول صفات المحبّ على البدن من المحبّ. و يتبيّن سرّ
«فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَ بَصَرًا» من حقيقة البيتين المذكورين:

أنا من أهوى و من أهوى أنا *** نحن روحان حللنا بدنا

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ *** وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

إلا أنّه ليس للمحبّة ثمة سبب واضح

إنّ المحبّة أمرها عجب *** تُلقَى عليك و ما لها سببٌ

بل التحقيق أن لا يوجد وصال في هذا العالم و لا تصل
ذات إلى ذات في هذه النشأة أبداً و ذلك من جهتين:

الجهة الاولى: أن الجسم الواحد المتصل إذا حقق

أمره عُلِمَ أنه مشوب بالغيبة و الفقد، لأنَّ كلَّ جزء منه

مفقود عن صاحبه مفارق عنه، فهذا الاتّصال بين أجزائه

عين الانفصال، إلاَّ أنه لما لم يدخل بين تلك الأجزاء جسم

مبائن و لا فضاء خال و لا حدث سطح في خلالها، قيل

إنَّها متّصلة واحدة و ليس وحدتها وحدة خالصة عن

الكثرة، فإذا كان حال

الجسم في حد ذاته كذلك من عدم الحضور و الوحدة،
فكيف يتحد له شيء آخر أو يقع الوصال بينه و بين شيء.
الجهة الثانية: أنه مع قطع النظر - كما ذكرنا - لا يمكن
الوصلة بين الجسمين إلا بنحو تلاقي السطحين منها، و
السطح خارج عن حقيقة الجسم و ذاته، فإذا لا يمكن
وصول شيء من المحب إلى ذات الجسم الذي للمعشوق،
لأن ذلك الشيء إما نفسه أو جسمه أو عرض من عوارض
نفسه أو بدنه، و **الثالث** محال لاستحالة انتقال العرض، و
كذا **الثاني** لاستحالة التداخل بين الجسمين. و التلاقي
بالأطراف و النهايات لا يشفي عليل طالب الوصال، و لا
يروى غليله.

و **أما الأول** فهو أيضاً محال، لأن نفساً من النفوس لو
فرض اتّصالها في ذاتها ببدن لكانت نفساً لها، فيلزم حينئذٍ
أن يصير بدن واحد ذا نفسين و هو ممتنع.

و لأجل ذلك أن العاشق إذا اتّفق له ما كانت غاية
متمناه، و هو الدنو من معشوقه و الحضور في مجلس
صحبته معه، فإذا حصل له هذا المتمني يدعي فوق ذلك،

و هو تمنّي الخلوة و المجالسة معه من غير حضور أحد،
فإذا سهل ذلك و خلى المجلس عن الأغيار تمنّي المعانقة
و التقبيل، فإن تيسّر ذلك تمنّي الدخول في لحاف واحد و
الالتزام بجميع الجوارح أكثر ما ينبغي. و مع ذلك كله
الشوق بحاله، و حرقة النفس كما كانت، بل ازداد الشوق
و الاضطراب كما قال قائلهم:

اعانقها و النفس بعد مشوقة *** إليها و هل بعد

العناق تداني

و ألتئم فاهها كي تزول حرارتي *** فيزداد ما ألقى

من الهيجان

كان فؤادي ليس يشفي غليله *** سوى أن يرى

الروحان يتحدان

و السبب اللميّ في ذلك أن المحبوب في الحقيقة ليس

هو العظم

و لا اللحم و لا شيء من البدن، بل و لا يوجد في عالم
الأجسام ما تشتاقه النفس و تهواه، بل صورة روحانيّة
موجودة في غير هذا العالم»^١.

نعم، هذه المسائل ذكرت، لتبيّن عظمة الروح و
النفس الإنسانيّة، و أن كلّ ما هو موجود فهو منه، و إليه
ينتهي كلّ مقام و رتبة. فالبدن جسد مسخر لتنفيذ أوامر
و نواهي النفس ليس إلّا.

ليس في عالم الأجسام شيء تشاق إليه النفس

إن العشق يولّد روحاً، و العاشق يتحوّل إلى روح
للمعشوق الحقيقيّ، و المصدر الأوّل، المجرّد المنزه، و
الصرف الخالص. و للروح قوّة هيوليّة، و قابليّة بسيطة
غير متناهية، ليحظى بشرف لقاء الله و نعمة التكلّم إليه،
فيصبح عندها كليم الله.

إن على الإنسان أن يعرف قدر نفسه، و أن لا يحكم
على هذه الجوهرة النفيسة أن تكون أسيرة البدن و رغباته
و شهواته الماديّة، و لا يجبس القوّة الناطقة في حدود القوّة

^١ «الأسفار الأربعة» ج ٧، ص ١٧١ إلى ١٧٩.

الحيوانية و البهيمة، و لا يبدل عشقه للأوجه الحسان في
عالم التجرد، بعشقه للأشقياء و العاصين في عالم الطبيعة،
فتكون عاقبته الخسران العظيم.

يقول صدر المتألهين، في بحث العظمة و التجرد و

النورانية:

«اعلم أن هذه المسألة دقيقة المسلك بعيدة الغور و

لذلك وقع الاختلاف بين الفلاسفة السابقين في بابها، و

وجه ذلك أن النفس الإنسانية ليس لها مقام معلوم في

الهوية، و لا لها درجة معينة في الوجود كسائر الموجودات

الطبيعية و النفسية و العقلية التي كلُّ لها مقام معلوم، بل

النفس الإنسانية ذات مقامات و درجات متفاوتة، و لها

نشآت سابقة و لاحقة، و لها في كلِّ مقام و عالم صورة

أخرى، كما قيل في البيت الشعريّ التالي:

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ *** فَمَرَعِي

لِغَزْلَانٍ وَدَيْرٍ أَلِرُّهْبَانِ^١

تجرّد النفس يستدعي بقاءها وفناءها في ذات الله تعالى

و ما هذا شأنه صعب إدراك حقيقته و عسر فهم

هويّته، و الذي أدركه القوم من حقيقة النفس ليس إلّا ما

^١ قال الحكيم السبزواريّ في تعليقه على هذا البيت ما يلي:

«يعني بسبب اللطافة و البساطة في ألوانه صار قابلاً للتحوّل إلى كلّ صورة؛ سواء كانت من جنس تلك الصور المترتبة و الطوليّة الحاصلة له بواسطة الحركة الجوهرية و العرضيّة، أم من الصور الذهنيّة غير المترتبة بالترتيب الطبيعيّ المعهود لها.

و بناءً على هذا فإنّ مرعى لِغَزْلَانٍ هو باعتبار النشأة الحيوانيّة السابقة، وَ دَيْرًا لِرُّهْبَانٍ باعتبار النشأة العقليّة اللاحقة. أو أن خياله كان في السابق مصروفاً إلى أمتعة الدنيا من أنعام و زرع و غيرها، ثمّ كان قد تذكّر الله تعالى بعد ذلك و الملائكة المقرّبين و الأطهار المنتجبين لساحته تعالى.

و أمّا التعبير بالغزال و ذلك من جهة توحّشه، فهو إشارة إلى أن شهواته تشبه الحيوانات الوحشيّة غير المعلّمة طالما أنّها لم تكبح، إلّا أنّه يمكن لقلب الإنسان أن يكون مرعى للحيوانات الإنسيّة بكونها مسخّرة و مقهورة تحت إشارة العقل و إيماؤه للتوجّه إلى الله تعالى، بل و يمكن أن يكمن خلاصه و نجاته بذبح حيوانيّته بتقديم الهدى و القربان في سبيل الله: {أَنْ اللّٰهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ}. و لعلّ كذلك المراد بهذا هو أن قلب الإنسان قد يتحوّل إلى مرعى للمحبوبة التي تمتلك عيوناً تشبه عيون الغزلان الجميلة الطلعة».

لزم وجودها من جهة البدن و عوارضه الإدراكيّة و
التحريكية، و لم يتفطنوا من أحوالها إلا من جهة ما يلحقها
من الإدراك و التحريك، و هذان الأمران ممّا اشترك فيهما
جميع الحيوانات.

و أمّا ما أدرك منها أزيد من ذلك و هو تجرّدها و
بقاؤها بعد انقطاع تصرّفها عن هذا البدن فإنّها عرّف ذلك
من كونها محلّ العلوم، و أن العلم لا ينقسم و محلّ غير
المنقسم غير منقسم، فالنفس بسيطة الذات، و كلّ بسيطة
الذات غير قابل للفناء و إلا لزم تركّبه من قوّة الوجود و
العدم و فعلية

الوجود و العدم هذا خلف.

هذا غاية عرفانهم بالنفس أو ما يقرب من هذا. و من

ظنّ أنّه بهذا القدر عرف حقيقة النفس فقد استسمن ذا

ورم»^١.

و هنا يجهد صاحب «الأسفار» بطرق مختلفة في

تعريف النفس و بيانها، و بما أنّنا لسنا بصدد إثبات تجرّد

النفس، فسنعزف عن ذكره هنا.

و على العموم، يجب تطهير العين من النظر لغير ليلي،

و غسل الاذن من الاستماع، إلّا لصوتها، حتى تأذن بالنظر

إلى طلعتها، و الإنصات لحديثها.

إلهي، ما العمل؟ و ما الحيلة؟ و إجمالاً، هل من بارقة

أمل، أم علينا أن نلقي بأنفسنا في أحضان اليأس؟

لقد قالت نساء الحيّ من قبيلة ليلي: اذهب و طهر

عينيك و أذنك. تطهير العين هو بالبكاء على فراق

المحبيب الأزليّ في الليالي الحالكة؛ و تطهير الاذن بغلقها

عن سماع حديث السوء الذي يغضب المعشوق؛ تطهير

^١ «الأسفار الأربعة» ج ٨، ص ٣٤٣ و ٣٤٤، باب ٧، فصل ٣.

العين عَنْ كُلِّ مَا لَا يُحِلُّ اللَّهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَتَطْهِيرِ الْأَذْنَ عَنْ
كُلِّ مَا لَا يُحِلُّ اللَّهُ الْأَسْتِمَاعَ إِلَيْهِ.

أليس قد ورد في الروايات أن الله العليّ القدير يحبّ
العين الباكية من بين سائر العيون؟ و أن كلّ عين يوم
القيامة ستبكي، إلا التي سهرت الليالي باكية من خوف
الله.

و لكن لمّ هذا البكاء؟ هذا البكاء للنظرات التي كانت
لغير الله، و هو غُسل لدنّس و أوساخ البصر و البصيرة؛
لأنّ النظر إلى ليلي بدون هذا الغسل و التطهير غير ممكن.
فالتطهير - إذاً - هو طريق و سبيل يوصل إلى

الهدف، و بعد طي هذه الطريق، يسمو الإنسان أعلى
و أعلى حتى يتعرّف إلى الله، و هناك حيث لا أحد غير الله.
فكل المراحل قد طويت، و هذا المسكين قد بكى حتى
طهر ناظرِيه، و نساء الحيّ قد كفنن عن ملامته، و يمضي
و يمضي حتى يصل إلى ليلي إذ لم يُعُد عشقه مجازياً و لا
مادياً، كما لم تعد ليلي بدنأً، بل هي روح و نفس مجرّدة؛ و في
هذه الحال إذا أمست في المشرق و قيس في المغرب،
فهناك ارتباط بينهما. فهو يعيش صحوها و نومها، و
مرضها و عافيتها.

كان كثير من أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه
و آله و أصحاب الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم
على هذه الحال. هكذا كان اويس اليمانيّ القرنيّ و كانوا
يحسّون بالوجدان نوايا أسيادهم و قاداتهم، و كانت
ضمايرهم تُدرك الصالح و الفاسد في الامور على خطى
ضماير أسيادهم و مواليهم. فهذا اويس يُكسر له ضرس
في اليمن، في نفس اليوم و في نفس الساعة التي كُسر فيها
ضرس النبيّ في يوم احد.

قيل لَمَّا فُصِدَ قيس، تعالى صياحه، و فسّر ذلك بأنّه
يخاف على ليلي من الألم، و خشي أن - حين فصدوا يده -
قد فصدوا يدها و هي في ديارها.

گفت مجنون من نمی ترسم ز نیش *** صبر من از

کوه سنگین است بیش

منبلم بی زخم ناساید تنم *** عاشقم بر زخمها بر

می تنم^۱

ليك از ليلي وجود من پُر است *** اين صدف پر

از صفات آن دُر است

ترسم ای فصّاد اگر فصدم کنی *** نیش را ناگاه

بر لیلی زنی

داند آن عقلی که او دل روشنی است *** در میان

لیلی و من فرق نیست

^۱ يقول: «قال - مجنون ليلي - : أنا لا أخاف المَبْضَع، لأنّ صبري أقوى من الجبل الشامخ.

و لأنني عاشق فإنّ جسمي لا يهدأ بعيداً عن الجروح التي أستطيع مقاومتها و الصبر على آلامها».

من كيم ليلي و ليلي كيست من *** ما يكي روحيم

اندر دو بدن^١

ينبغي معرفة الله بالله تعالى؛ «جاءت الشمس على الشمس دليلاً»

الله سبحانه و تعالى شأنه نور، و هو ظاهر، و هو الذي أظهر جميع المخلوقات؛ و الإنسان يريد أن يصل إلى الله، فكيف له إدراك الظاهر و هو المخلوق الذي يمثل ظهوراً؟ فعند ما يكفّ عن الظهور، فإنه سيلتحم بالشعاع و يرجع إلى أصل النور. يرجع إلى الشمس و يخترق ذاتها، و هناك لن يكون ثمّة شعاع، فالشمس هي الشمس و لا يمكن لأحد أن يعرف ذاتاً للشمس غير الشمس نفسها. و مهما تكلمنا عن الشمس و تحدّثنا عن عظمتها و خصائصها و صفاتها، فمن أين لنا أن نعرف كنه حقيقتها لتحدث عنها؟ و أين سنراها؟ أنّي سندرك حرارتها؟ بل

^١ يقول: «و أن وجودي مليءٌ بالحيوية بسبب وجود ليلي، فهذه الصّدفة (التي هي أنا) تعكس كلّ صفات تلك الجوهرة التي هي ليلي.

و إنّني - أيها الحجاج - لأخاف أن تشبّه يدك فتجرح ليلي بينما تريد فصد عرقي. ذلك أن كلّ من له عقل و هو لبيب لا يمكنه التفريق بيني و بين ليلي. فأنا في الحقيقة ليلي و ليلي هي أنا، إذ نحن روح واحدة تسكن بدّين».

كيف نسلّم كمّها و كيفها؟ ملايين الفراسخ تفصلنا عنها،
و ما يصلنا من حرارتها هو نزر يسير ليس إلّا، و متى

ما أردنا رؤيتها وضعنا زجاجة سوداء على أعيننا و من
وراء حجاب أسود و مظلم نستطيع فقط رؤية قرصها.
هذا مبلغ علمنا عن الشمس، فمن ذا الذي عرف
الشمس كما هي؟

الذي عرف كنه الشمس و حقيقتها، هو الذي انطلق
من الأرض و دخل في أعماقها، و ذاب و انمحي في ذراتها،
و لم يبق له أي أثر، و للأسف عندها لن يكون هو موجوداً
فيها، بل أن كلمة (هو) لن تجد لها مكانا في بطن الشمس.

مدح تو حيف است با زندانيان * گويم اندر**

مجمع روحانيان

مدح، تعريف است و تخريق حجاب * فارغ**

است از مدح و تعريف آفتاب

مادح خورشيد مدّاح خود است * كه دو**

چشم روشن و نامرمد است

ذمّ خورشید جهان ذمّ خود است *** که دو

چشم کور و تاریک و بد است^۱

العشاق هم ضحایا المشوقین

و قال فی مکان آخر:

عاشقی پیدا است از زاری دل *** نیست بیماری

چو بیماری دل

علت عاشق ز علتها جداست *** عشق،

اصطربلاب اسرار خداست^۲

آفتاب آمد دلیل آفتاب *** گر دلیلت باید از وی

رو متاب

از وی ار سایه نشانی می دهد *** شمس هر دم

نور جانی می دهد

^۱ ای غیر المصابة بالرمد، و الرمد مرض يصيب العين فيجعلها ترى القمر محاطاً بهالة دائميّة.

^۲ يقول: «أن العشق ظاهر من خلال شكاوي القلب و الفؤاد، و لا داء كالعشق أبداً.

إن علّة العاشق لا تشبه العلل الأخرى، فمثل العشق كمثل إسطرلاب أسرار الله».

سایه خواب آرد ترا همچون سمر *** چون بزاید

شمس، انشَقَّ الْقَمَرُ^۱

خود غریبی در جهان چون شمس نیست ***

شمس جان باقی کش اُمس نیست^۲

يقول الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي:

«الطَوَّافُونَ حَوْلَ كَعْبَةِ جَلَالِهِ قَدْ اعْتَرَفُوا بِتَقْصِيرِهِمْ

فِي عِبَادَتِهِ وَ يَنَادُونَ: مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَ تَحَيَّرَ

الْعَارِفُونَ فِي وَصْفِ جَمَالِهِ قَائِلِينَ: مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ

مَعْرِفَتِكَ!^۳

^۱ إشارة إلى الحديث **عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي**، و كذلك **يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ**. (التعليقة).

^۲ يقول: «لا غريب كالشمس في هذا العالم، فمع انقضاء يوم أمس يبدو و كأن الشمس لم يكن لها وجود إلا اليوم».

ديوان «المثنوي» ج ۱، ص ۴، سطر ۱۲ و ۱۶ و ۱۷، طبعة ميرزا محمودي.

^۳ يقول السمعاني في كتاب «روح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتاح» ص ۵۴:

«فتأتي ملائكة الملوك إلى صوامع العبادة و تشعل ناراً فيها، و تبعثر أكداس التقديس و التسبيح قائلة: **مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ**. ثم يأتي العرفاء و الموحدون ناشرين أيديهم قائلين: **مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ**».

گر کسی وصف او ز من پرسد *** بی دل از

بی نشان چه گوید باز

عاشقان، کشتگان معشوقند *** بر نیاید ز

کشتگان آواز^۱

و قال في ص ٥٩٦: «أن قول الملائكة: مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، إنها هو إضاعة و تبييد للجهد؛ و قول الإنس: مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ، معناه إشعال النار في الأكداس و إحراقها».

و كتب نجيب مائل الهروي في تعليقه في ص ٦٩٧:
مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ».

كتب علاء الدولة السمناني يقول: أن إحدى مسائل الاصول موضع الخلاف بين الإمام أبي حنيفة و الإمام الشافعي هي أن أبا حنيفة يقول: مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَ لَكِنْ عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ، في حين يقول الشافعي: مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ اي مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ. (المجلس الأربعون، ص ١٥٦ إلى ١٥٧).

و يقول علاء الدولة السمناني في كتابه «العروة» ص ٨٣ و ٨٤: «و كذلك قال جميع العرفاء. أمّا ما قاله الإمام الأعظم أبو حنيفة الكوفي فهو: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَ مَا شُكِّرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ، وَ لَكِنْ عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ؛ يحمل هذا المعنى».

^۱ يقول:

«أيها السائل عن وصف الحبيب *** ما يقول الواله ما عسى أن يجب

إنّما العشاق قتلي للحبيب *** كيف للموتى بقول أو نحب»

نكسَ أحد العارفين رأسه في مراقبته و استغرق في
بحر المكاشفة، و عند ما أفاق سأله بعض الأصحاب: ما
ذا هيأت لنا من البستان؟

فأجاب العارف: شغفني زهر هذا البستان، فوقفت
عنده أقطف لأصحابي بعضها، فأسكرني عطره و غيبيني
سحره.

ای مرغ سحر عشق ز پروانه پیاموز *** کان

سوخته را جان شد و آواز نیامد

این مدعیان در طلبش بی خبرانند *** کان را که

خبر شد خبری باز نیامد^۱

ای برتر از خیال و قیاس و گمان و وهم *** و ز

هر چه گفته‌اند و شنیدیم و خوانده‌ایم

مجلس تمام گشت و به آخر رسید عمر *** ما

همچنان در اول وصف تو مانده‌ایم^۲

^۱ يقول: «يا طائر فجر العشق! تعلم من الفراشة كيف تحترق بصمت.

إن هؤلاء الباحثين عنه غافلون عن أن صار خبراً لم يأت منه خبر».

^۲ يقول: «يا من هو أسمى من الخيال و القياس و الظنّ و الوهم، و أعلى من كلّ

ما قلنا و سمعنا و قرأنا.

وَ كُلُّ يَدَّعِي وَ ضَلَّابِلِي *** وَ لِي لَا تُقِرُّهُم

بِذَاكَ

إِذَا جَرَّتِ الدُّمُوعُ عَلَى الخُدُودِ *** تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى

مِمَّنْ تَبَاكََا

ذُكِرَتِ الرَّبَاعِيَّةُ التَّالِيَةُ بِالْمُنَاسَبَةِ فِي «مَفَاتِيحِ

الإِعْجَازِ»:

رَخِ دَلْدَارِ رَا نِقَابِ تُوئِي *** چِهْرِه يَارِ رَا حِجَابِ

تُوئِي

بِه تُو پُوشِيدِه اسْت مِهْر رَخْش *** اَبْر بَر رُوي

أَفْتَابِ تُوئِي^١

لقد انقضى المجلس و تصرّم العمر، و نحن حائرون في أول صفتك». نقلًا عن نسختين، الأولى نسخة قديمة مطبوعة كتبت مع «بوستان» بخطّ على أكبر التفرشيّ في شهر شعبان المعظّم ١٢٦٠ هـ في عهد محمّد شاه القاجاريّ. و صفحات هذه النسخة غير مرّقة. الثانية: عن «كليات سعدي - ديوان سعدي» و التي جمعت تحت إشراف محمّد على فروغي و من جملتها ديوان «گلستان». و قد ذكرنا هنا هذا الكلام نقلًا عن ص ٣ منها.

^١ يقول:

«أنت حجاب وجه المحبوب *** أنت ستار طلعة المحبوب

بك مستور محيّا و وجهه *** أنت غيم بك ضوء الشمس محجوب»

و على العموم، فهذا النوع من معرفة الله، الذي هو عبارة عن اقتفاء الأثر للوصول إلى المؤثر، و بحث سرّ الخلق للوصول إلى الخالق هي معرفة إجمالية و ليست مفصّلة. معرفة عن بعد و من وراء حجاب، و ليست عن قرب و بدون حجاب، و هي معرفة الضعفاء و العاجزين لا معرفة الرجال قويي الإرادة و على الهمة.

هذه المعرفة، معرفة البعرة التي تدلّ على البعير، و الروثة تدلّ على الحمير. أين هذا من المعرفة بعد مجاهدة طويلة و عذاب مرير طوال عمر مديد؟

«مفاتيح الإعجاز» في شرح «گلشن راز» (= بستان الأسرار) للشيخ محمد
اللاهيجي، ص ۱۱۰.

كلام الإمام علي: البعرة تدلُّ على البعير، والرّوثة تدلُّ على الحبير

يروى المجلسي رضوان الله تعالى عليه عن «جامع

الأخبار»:

سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عَنْ إِبْطَاتِ الصَّانِعِ،

فَقَالَ: البَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى البَعِيرِ، وَ الرُّوْثَةُ تَدُلُّ عَلَى الحَمِيرِ، وَ

آثَارُ القَدَمِ تَدُلُّ عَلَى المَسِيرِ. (بهذا الاتجاه أو ذاك) فَهَيْكَلٌ

عِلْوِيٌّ بِهَذِهِ اللِّطَافَةِ وَ مَرَكَزٌ سِفْلِيٌّ بِهَذِهِ الكَثَافَةِ كَيْفَ لَا

يَدُلُّانِ عَلَى اللِّطِيفِ الحَبِيرِ؟!^١

و كذلك روي عن «جامع الأخبار»:

سُئِلَ أمير المؤمنين صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى

إِبْطَاتِ الصَّانِعِ؟!

قَالَ: ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: تَحْوِيلُ الحَالِ، وَ ضَعْفُ الأَرْكَانِ، وَ

نَقْضُ الهِمَّةِ^٢.

^١ «بحار الأنوار» للعلامة شيخ الإسلام: الملا محمد باقر المجلسي رضوان الله

عليه، ج ٣، ص ٥٥، كتاب التوحيد، الرواية ٢٧، طبعة المطبعة الحيدريّة.

^٢ «المصدر السابق»، الرواية ٢٩، طبعة مطبعة الحيدريّة.

و في «التوحيد» للصدوق عن ابن إدريس، عن أبيه،
عن ابن هاشم، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال:
سُئِلَ أبو عبد الله عليه السلام فَقِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!
قَالَ: بِفَسْخِ الْعَزْمِ وَ نَقْضِ الْهَمِّ؛ عَزَمْتُ فَفَسَخَ عَزْمِي
وَ هَمَمْتُ فَنَقَضَ هَمِّي!^١

و مثل هذه المعرفة، و هي التي يطلق عليها في
المنطق البرهان «الإِنِّي»؛ معرفة من المعلول إلى العلة، من
المخلوق إلى الخالق، و من المصنوع إلى الصانع.

^١ «المصدر السابق»، ص ٤٩، باب ٣: «إثبات الصانع و الاستدلال بعجائب
صنعه على وجوده و علمه و قدرته و سائر صفاته»، الحديث ٢١، طبعة مطبعة
الحيدري.

سُئِلَتْ عجوز: كيف عرفتِ الله؟ أجابت: من آلة
النسيج هذه، فعند ما أمسك مقبضها و أدوره بهذا الدوران
ينسج الحبل، و حيث أرفعُ يدي و أتوقف عن التدوير
تتوقّف و يبقى الصوف و القطن على حاله، عندها لا
نسيج ينسج، و لا ليف يبرم.

من هنا أيقنت أن للأفلاك و النجوم و الكواكب
السيّارة و الشمس و القمر و الأرض و نظام الخلق بأجمعه
خالقاً مقتدرًا، متى شاء عطّل الوجود و رماه في هوة
العدم. و إن شاء أمدهّ بأسباب الحياة و أدار عجلة
استمراره.

خبر داری که سیاحان افلاک * چرا گردند گرد**

مرکز خاک

در این محرابگه معبودشان کیست * و زین آمد**

شدن مقصودشان چیست

چه می خواهند از این محل کشیدن * چه**

می جویند ازین منزل بریدن

چرا این ثابت است آن منقلب نام *** که گفت

این را بجنب آن را بیارام

مرا بر سر گردون رهبری نیست *** جز آن کاین

نقش دانم سر سری نیست

از این گردنده گنبدهای پر نور *** به جز گردش

چه شاید دیدن از دور

بلی در طبع هر داننده‌ای هست *** که با گردنده

گرداننده‌ای هست

از آن چرخه که گرداند زن پیر *** قیاس چرخ

گردنده از آن گیر^۱

^۱ یقول: «ما ذا يمكن أن يُرى من محرّك هذه الأجسام المنيرة الدائرة سوى الدوران؟»

نعم فكلّ لبيب يفهم أن لكلّ دائر مُدوّر.

فقس الفلك الدائر بمغزل العجوز و خذ عبرة منه».

«كَلِّيَّات حَكِيمِ نِظَامِي كُنْجُوِي» (= الديوان الكامل للحكيم النظامي

الكنجويّ) ص ۱۲۳ و ۱۲۴، طبعة منشورات أمير كبير، القسم الخاصّ بـ

(خسرو و شیرین) تحت عنوان «استدلال نظر و توفيق شناخت» (= استدلال

الرأي و التوفيق للمعرفة)، و هي قصيدة مفصّلة انتخبنا منها الآيات المذكورة.

و لهذا قيل: **وَ عَلَيْنَا بِدِينِ الْعَجَائِزِ!** و لكن مهما يكن من أمر، عليك أن لا تنسي بأنك رجل، بل رجل يافع تملك إرادة، فإذا اقتصر على دين العجائز كان مصيرك الحزن و الندامة في الحياة الدنيا، و الحسرة و الخذلان في الآخرة.

أشعار الشبستري الرائعة في ضرورة الحركة صوب الله تعالى

يقول فخر الشيعة الإثني عشرية العالم الجليل الشيخ محمود بن عبد الكريم نجم الدين الشبستري، و هو من علماء القرن السابع الهجريّ تغمده الله بأعلى درجات رضوانه، في هذا الشأن:

تواز عالم همين لفظی شنیدی *** بیا بر گو که از

عالم چه دیدی؟^۱

چه دانستی ز صورت یا ز معنی؟ *** چه باشد

آخرت چونست دُنئی؟

بگو سیمرغ و کوه قاف چبود؟ *** بهشت و

دوزخ و أعراف چبود؟

^۱ يقول: «أنت لا تعرف من هذا العالم إلا اسمه، و إذا كنت قد رأيت شيئاً منه، فقل أذن ما ذا رأيت؟».

کدام است آن جهان کو نیست پیدا *** که يك

روزش بود يك سال اینجا؟

همین نبود جهان آخر که دیدی *** نه ما لا

تُبصرون آخر شنیدی؟

بیا بنما که جابلقا کدام است *** جهان شهر

جابلسا کدام است

مشارق با مغارب هم بیندیش *** چه این عالم

ندارد جز یکی بیش

بیان مِثْلَهُنَّ ز ابن عباس *** شنو پس خویشتن را

نیک بشناس^۱

^۱ يقول: «ما ذا عرفت عن الصورة أو المعني؟ أم ما هي الآخرة و ما هي الدنيا؟

قل ما هي العنقاء أو جبل قاف؟ أم ما هي الجنة و النار و الأعراف؟

أين ذلك العالم، لم لا يبين؟ أين ذلك العالم الخفي الذي يعادل يومه سنة من هذا

العالم؟

لم يكن هذا العالم الذي رأيته هو العالم الآخر، أما سمعت عن (ما لا تبصرون)؟

تعال و قل أي المدن هي جابلقا و أيها هي جابلسا؟: و تفكّر كذلك بالمشارق

و المغارب، لأنّ هذا العالم لا يملك إلا مشرقاً واحداً و مغرباً واحداً.

اسمع بيان (مِثْلَهُنَّ) من ابن عباس، ثم اعرف نفسك جيّداً.»

تو در خوابی و این دیدن خیال است *** هر آنچه

دیده‌ای از وی مثال است

به صبح حشر چون گردی تو بیدار *** بدانی کآن

همه وهم است و پندار

چه برخیزد خیال چشم احوّل *** زمین و آسمان

گردد مبدّل

چه خورشید جهان بنمایدت چهر *** نماند نور

ناهید و مه و مهر

فتد يك تاب از آن بر سنگ خاره *** شود چون

پشم رنگین پاره پاره

بدان اکنون که کردن می توانی *** چه نتوانی چه

سود آنگه که دانی

چه می گویم حدیث عالم دل *** ترا سر در نشیب

و پای در گل^۱

^۱ يقول: «أنت غاظ في النوم و نظرك خيال، و كلّ ما رأيته ليس إلا مثلاً. لكن عند ما تصحو يوم الحشر و تنتبه ستعلم حينئذ أن ذلك لم يكن إلا وهماً و ظناً.»

جهان آنِ تو و تو مانده عاجز *** ز تو محروم‌تر

کس دید هرگز؟

چو محبوسان به يك منزل نشسته *** بدست

عجز، پای خویش بسته

نشستی چون زنان در کوی ادبار *** نמידاری ز

جهل خویشان عار

دلیران جهان آغشته در خون *** تو سر پوشیده

ننهی پای بیرون

چه کردی فهم از این «دین العجایز» *** که بر

خود جهل می‌داری تو جایز؟

زنان چون ناقصات عقل و دینند *** چرا مردان

ره ایشان گزینند؟

إذا فتح الأحوال عينيه بدت السماء و الأرض في عينيه على غير ما هما عليه و
خلافاً لحقيقتها.

لو ظهرت لك شمس العالم و طلعت ما أبتقت للزهرة نوراً و لا للقمر ضياءً.

و لو سقط شعاع منها على حجر الصوان لأحاله إلى عين منفوش.

اعلم ما دمت قادراً على عمل شيء ما الآن، فلا فائدة من علمك إن كنت عاجزاً
عن فعل شيء.

ما ذا أقول عن حديث عالم القلب، فرأسك مُنكَّسٌ في غور و قدماك في الوحل».

اگر مردی برون آی و نظر کن *** هر آنچه آید به

پیشت زان گذر کن^۱

میاسایک زمان اندر مراحل *** مشو موقوف

همراه رواجل

خلیل آسا برو حق را طلب کن *** شبی را روز و

روزی را به شب کن

ستاره با مه و خورشید اکبر *** بود حس و خیال

و عقل انور

بگردان زان همه ای راهرو روی *** همیشه لا

احبُّ الآفلین گوی

^۱ یقول: «العالم بیّدک و أنت حائر عاجز، فلا أظنّ أن أحداً حرم تلك النعمة كما هو الحال معك.

فأنت جالس كالسجين في البيت، مقيداً قدميك بالعجز.

جلست كالنساء مُدبراً وحيداً، جاهلاً أن ذلك إنّما هو عارٌ.

فالأشواوس في العالم مخصّبون بدمائهم، في حين أنّك متخفّف لا تجرؤ على الخطو خارج منزلك.

ما ذا فهمت من «دين العجائز» هذا، حتى أجزت الجهل على نفسك؟

النساء ناقصات عقل و دين، فكيف يتبعهم الرجال؟

فلو كنت رجلاً اخرج و ألق نظرة، و تجاوز عمّا يقف في طريقك».

و یا چون موسی عمران در این راه *** برو تا

بشنوی اِنِّیْ اَنَا اللّٰه

ترا تا کوه هستی پیش باقی است *** جواب لفظ

ارنی، لَنْ تَرَانِیْ است

حقیقت کهربا، ذات تو گاه است *** اگر کوه

توئی نبود چه راه است؟^۱

تجلی گر رسد بر کوه هستی *** شود چون خاک

ره، هستی ز پستی

^۱ یقول: «لا تتوقف في آية مرحلة من المراحل في أي وقت كان، و لا تحطّ رحلك متى حطت الرواحل رحلها.

اتكل على الخليل و ابحث عن الحق، وصل من أجل ذلك الليل بالنهار. إن النجم بالاشتراك مع القمر و الشمس، كلّها تمثّل الحسّ و الخيال و العقل الأنور.

مل عن كلّ ذلك يا عابر السبيل، و ردّد دوماً عبارة {لا احبّ الآفلين}.
أو كن في مسيرك هذا كموسى بن عمران حتى تسمع نداء {اِنِّیْ اَنَا اللّٰه}.
ما بقيَ أمامك للوصول إلى جبل الوجود إلاّ سماعك نداء {لَنْ تَرَانِیْ} جواباً لـ {أرني}.

إن الكهرباء هي الحقيقة و ما ذاتك إلاّ تبناً، و لو لم يكن جبل الـ «أنت» موجوداً،
لما بقي أمامك من طريق تطويه».

گدائی گردد از يك جذبه شاهی *** به يك لحظه

دهد کوهی به کاهی

برو اندر پی خواجه به اسری *** تفرّج کن همه

آیات کُبری

برون آی از سرای امّ هانی *** بگو مطلق حدیث

مَنْ رَانِي

گذاری کن ز کاف کُنْج کونین *** نشین بر قاف

قرب قاب قوسین

دهد حقّ مر ترا از آنچه خواهی *** نمایندت همه

أشیا کما هی^۱

^۱ يقول: «لو طال التجليّ لجبل الوجود لأحال الوجود إلى كومة تراب لتفاهته و صغره.

قد يتحوّل المسكين إلى سلطان بجذبة واحدة و لاستبدل جبلاً بكومة من تبن. رافق الخواجة في رحلة الإسراء (المعراج) و تطلّع إلى جميع الآيات الكبرى. اخرج من قصر امّ هانی، و اتل حدیث «مَنْ رَانِي» كاملاً.

اجتزأ الـ«كاف» في الـ«كُونَيْن» و اعبر إلى الـ«قاف» في «قاب قَوْسَيْن».

سيعطيك الحقّ حينها كلّ ما ترغّب و تتمنى و سيريك جميع الأشياء كما هي على حقيقتها».

«گلشن راز» ص ۱۶ إلى ۱۹، بخطّ النسّعلیق، للعماد الأردبیلیّ، منشورات مكتبة الأحمديّ، شیراز.

لقد أغلق الشيخ رحمه الله، في الأبيات المختصرة

التي مرّت آنفاً،

كلّ أبواب عبادة النفس و دلّ على الطريق إلى الله، و
بما أن كتابنا هو في (معرفة الله) فقد رأينا من المناسب
ذكرها هنا.

بيد أن بعض هذه الآيات تحتاج إلى شرح و توضيح،
و منذ عصر الشيخ و حتى الآن، لم يظهر شرح أحسن و لا
أوضح و لا أقرب إلى القلب من شرح العالم الجليل:
الشيخ محمد بن يحيى بن علي الجيلاني اللاهيجي، و علي
الرغم من مضي خمسمائة و ثمانية و ثلاثين عاماً منذ ذلك
الوقت و حتى هذه السنة، و هي سنة (١٤١٥ هـ) ^١ علي

^١ كما علمنا فإنّ المرحوم الشيخ قام بنظم «گلشن راز» سنة ٧١٧ هـ و قد شرّحه
المرحوم اللاهيجي كما في «مفاتيح الإعجاز» المطبوع مع مقدّمة السيّد كيوان
سميعي، منشورات المحمودي، ص ٢، و كان قد بدأ بشرّحه سنة (٨٧٧)، و
علي هذا تكون قد مضت (٦٩٨) سنة علي نظم «گلشن راز» و (٥٣٨) سنة علي
شرّحه.

و جاء في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ج ٢١، ص ٣٠١:
«أن «مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز» هو كتاب من تأليف شمس الدين
محمد المعروف بـ (أسيري) اللاهيجي النوربخشي و هو حائز علي إجازة من
السيّد محمد نور بخش (المذكور في ج ٩، ص ٧٦). و قد أشرنا إلى بعض الشرح
من «گلشن راز» في ج ١٣، ص ٢٦٨ إلى ٢٧١. بدأ اللاهيجي بتأليف هذا
الكتاب في يوم الاثنين ١٩ ذي الحجّة من سنة ٨٧٧ هـ و قد طُبِعَ الكتاب

هذا الشرح، فهو لا يزال مرجعاً لأعلام الفنّ، وارتأى أن
تورد نفس عباراته لتوضيح مفاهيم الشيخ. كما أن متانة
الكلام و قوّة البرهان و سلاسة الإنشاء و عدوبته و رقّة
الشُّعر

و سحره جعلته يتربّع على عرش البيان.

و ها نحن نشرع بالشرح، و حيثما كانت الحاجة إلى
الملاحظات الضرورية قمنا بتسجيلها، بِحَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِهِ
وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

يقول الشيخ محمّد اللاهيجيّ:

«لأنّ الحقّ تعالى متجلّ بجميع الأشياء و الأعيان، و

أن العلم و الحياة لازمتا الذات الإلهيّة، و بالطبع أينما كان

المذكور مراراً و تكراراً، و من ضمن تلك الطبعات طبعة بومباي سنة ١٣٠١ هـ
و تبدأ هذه الطبعة بالعبارات التالية: «باسمك الأعظم الشّامِلِ فيضُه
المُقدّسُ لكُلِّ موجودٍ ... اي محمود به هر شأني و اي معبود به هر مكاني». و
النسخ الخطيّة لهذا الكتاب متوفّرة و منتشرة. و أقدم تلك النسخ، حسب علمي،
هي النسخة الموجودة في القاهرة (دار الكتب ٧ م تصوّف فارسي) كتبت في سنة
٨٨٥ هـ و الأخرى موجودة في طهران (المجلس ١١١٧) كتبت في سنة ٩٠٠ هـ
و نسخة أخرى عند سلطان القرائي في طهران و هي مكتوبة سنة ٩٠١ هـ.

الملزوم، كان اللازم، فلهذا، أينما وُجد الوجود، وُجد العلم والحياة.

و غاية ما في هذا الباب، أنّه إذا كان مكان ظهور التجلّي لا يحوي الاعتدال الموجب لظهور الحياة والعلم، عندئذٍ ستبقى تلك الصفات كامنة فيه، كالشخص المغمى عليه.

إذاً جميع الأشياء هي ذات علم وحياة، وكلّ شيء له حياة، فبالقطع له نفس أيضاً، وكلّ نفس موجودة - بالقوّة أو بالفعل - تكون بالضرورة مدركة لوجودها. و حرّياً بها أن تدرك الوجود المطلق، حيث العامّ يكون أوضح من الخاصّ، أي أن كلّ ما في الكون يدرك ذاته - بالقوّة أو بالفعل - وهذا الإدراك يفتح الطريق إلى ساحة الله تعالى، لأنّ ذات الحقّ تعالى متجلّية و ظاهرة في جميع الأشياء.

نطق آب و نطق خاك و نطق گل * هست**

محسوس حواس اهل دل

فلسفي كآن منكر حَنّانه است *** از حواس اوليا

بيگانه است^۱

فكلّ موجود مظهر لوجه الله تعالى و مرآة له، و هو

متجلّ بجمیع

^۱ يقول: «أن أهل العشق هم الذين يفهمون منطق الماء و التراب و الطين.
إن الفيلسوف الذي لا يؤمن بالحنّانة فهو بعيد كلّ البعد عن الأولياء و
أحاسيسهم».

الأشياء، و لكنه تواری فی حجاب التعینات. و يقول

أيضاً:

به زیر پرده هر ذره پنهان *** جمال جانفزای روی

جانان^۱

و أمّا من عجائب السرّ الإلهي، أنه جلّت قدرته في

أوج ظهوره محتجب، و في أوج احتجابه ظاهر، و على

الرغم من أنه لا موجود كائن بدونه، و أنه عين كلّ شيء،

و أضحى التعيّن و التشخصّ حلّة جماله، فإنّ جمال ذلك

المحبوب الحقيقيّ الأخاذ قد كمن و في ضمير كلّ ذرّة من

ذرات العالمين، بدا بكلّ صورة و لون.

بَدَتْ بِاِحْتِجَابٍ وَ اخْتَفَتْ بِمَظَاهِرٍ *** عَلَى صِبْغِ

التَّلْوِينِ فِي كُلِّ بَرَزَةٍ^۲

^۱ يقول: «أن في كلّ ذرّة جمال مخفيّ يشعّ على الأرواح».

^۲ هذا هو البيت السادس و الأربعون بعد المائتين من تائيّة ابن الفارض الكبرى التي يبلغ مجموع أبياتها (٧٦١) بيتاً و تعرف بـ «نظم السلوك»، و هذه الأبيات

توجد في ص ٧٠ من مجموعة «ديوان ابن الفارض الكامل» طبعة دار صادر، دار

بيروت، سنة ١٣٨٢ هـ. و أمّا البيتان اللذان يسبقان هذا البيت فهما:

فكُلُّ صَبَا مِنْهُمْ إِلَى وَصْفِ لِبْسِهَا *** بِصُورَةٍ حُسْنٍ لَاحٍ فِي حُسْنِ صُورَةٍ

وَ مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ *** فَظَنُّوا سِوَاهَا وَ هِيَ فِيهَا تَجَلَّتْ

خورشید به ذره چون نهان است *** چون ذره به

نور خود عیان است

حیف است که مهر روی جانان *** مستور به

پرده جهان است

از بهر چه نور عالم آرا *** در ظلمت این و آن نهان

است

خورشید رُخش به جلوه آمد *** ذرات جهان

نمود آن است^۱

فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ مَا ظَهَرَ فِي مَظْهَرٍ إِلَّا وَاحْتَجَبَ بِهِ.

قَاعِدَةٌ فِي أَنْ مَرَاتِبَ ظُهُورِ الْحَقِّ غَيْرُ مُتَنَاهِيَّةٍ:

و بعد أن أشار ضمن تفكره في الآلاء و النعم إلى بيان

صدور الكثرة من الوحدة، و ظهور الوحدة في الكثرة،

تطرق إلى ترتيب مقدّمة من جهة تنبيه الغافلين و ترغيب

^۱ يقول: «ليست الشمس إلا كذرة، لكنّ هذه الذرة تشعّ بنورها.

أسفاً أن تكون هذه الشمس الساطعة على الخلائق محجوبة بحجاب الدنيا.

لم يُجَسَّس هذا النور المشرق على هذا العالم في ظلمة هذا و ذاك؟ لقد تجلّى وجه

الشمس و محيّاها و أضحّت ذرات العالم مظاهر لها.»

الطالبين، حيث تحدّثت تلك المقدّمة عمّا تتوقّف عليه
المعرفة التامّة، و قال تحت عنوان قاعدة:

إن هذه القاعدة تشير إلى أن مراتب الظهور الإلهي لا
متناهية، وإنّما نحصل على المعرفة الحقيقيّة، عند حصولنا
على الاطلاع الكشفيّ على هذه المراتب الكليّة.

درجات ظهور الله تعالى في العوالم اللامتناهية

و اعلم أن العالم لا يقتصر على عالم الشهادة هذا، و أن
هذا العالم، إنّما هو انعكاس بالقياس إلى العوالم الغيبيّة
المعنويّة، و أن للحقّ تعالى ظهوراً مختلفاً في كلّ من عوالم
التجليّ و الظهور، و على هذا قال:

تواز عالم همين لفظي شنیدی *** بیا بر گو که از

عالم چه دیدی؟!^۱

حيث يقول: إنّك من هذا العالم الذي تعرفه إنّما
سمعت لفظاً، و ما دريت أن العالم أكبر من ذلك. لأنّه
قيل: أن العالم، هو ذلك الذي يُتوصّل به إلى معرفة شيءٍ

^۱ يقول: «أنت لا تعرف من هذا العالم إلا اسمه، و إذا كنت قد رأيت شيئاً منه،
فقل أذن ما ذا رأيت؟»

ما، و بهذا المعنى، يكون اشتقاق كلمة العالم أظهر من
كلمة العلم. لذا، فإنّ تسمية الموجودات بالعالم، هي
بواسطة أنّه وسيلة و آلة لإدراك الحقّ تعالى. مثله كمثل
الخاتم، الذي يدلّ على الشيء الذي يختم به.

و على هذا المعنى أمكن إطلاق كلمة العالم على مجموع الأشياء الموجودة، و كذا أمكن إطلاقه على كلّ مرتبة بل و كلّ فرد، و لهذا فهو يقول، هلمّ و أخبرني عمّا رأيت من هذا العالم؟ و إلى أيّ من هذه العوالم وصلت؟ ذلك أن العوالم غير المحسوسة كثيرة، و قد ورد في الأخبار، أن العوالم كثيرة، و قد أشار بالتفصيل إلى ذلك:

چه دانستی ز صورت یا ز معنی؟ * چه باشد**

آخرت چونست دنیا؟!^۱

يقول ما ذا علمت عمّا قيل من عالم الصورة و المعنى؟ اعلم، أن ما يمكن إدراكه بالحواسّ الظاهرة، إنّما هو الصورة، و أن ما لا تدركه الحواسّ الظاهرة، هو المعنى أو ما يسمّى بالغيب و الشهادة.

و أمّا الدنيا، فهي عبارة عن هذا العالم، الذي تتعلق فيه النفس الإنسانيّة بالبدن، و بواسطة الآلات البدنيّة،

^۱ يقول:

«ما الذي علمته من صورة أو معنی؟ *** و ما هي الآخرة، كيف حال

الدنيا؟»

يمكنها اكتساب الأخلاق و الأعمال من سيئات و حسنات. و يعبر عن ذلك، بالنشأة الاولى؛ و أمّا الآخرة، فهي العالم الذي تُقاضى فيه النفس بعد مفارقتها البدن، و تجزي على أخلاقها و أعمالها، أن خيراً فخيئراً و أن شراً فشرّاً.^١

و سوف نشير إلى حقيقة معنى **كَلَّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ**^٢ باختصار أثناء شرحنا للأبيات إن شاء الله تعالى.

^١ قال ابن مالك في ألفيته في باب كان:

و يَحْدِفُونَهَا وَيَقُونَ الْخَبْرَ * و بعد أن و لو كثيراً إذا اشتهر**

و يقول الملا جلال السيوطي، شارح الألفية،: و مثله قول: «المرء مجزي بعمله، أن خيراً فخيئراً». أي: أن كان عمله خيراً.

و يقول أبو طالب في حاشيته: «و ورد في بعض الكتب «الناس مجزيون بأعمالهم»، و قيل أن هذا القول هو حديث». («البهجة المرضية» بخط عبد الرحيم، ص ٥٥).

^٢ لم يرد حديث بهذا الشكل في كتب الشيعة، و أمّا ما ورد فهو بالشكل التالي: **نَحْنُ - إِنَّا - مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ إِمْرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ**. («المحجة البيضاء» ج ١، ص ١٢٢؛ «تحف العقول» ص ٣٧؛ «بحار الأنوار» الروضة، ج ١٧، ص ٤١، طبعة الكمباني؛ و قد وردت الرواية كاملة في «اصول الكافي» ج ١، ص ٢٣).

نعم، قد وردت أحاديث نبوية مرسلّة عن طريق العامّة في كتاب «مرصاد العباد» ص ١٥، طبعة بُنگاه ترجمه و نشر كتاب. و وردت كذلك في كتاب «أحاديث مشنوي» (= أحاديث المشنوي) في موضعين: الأوّل في ص ٣٧، رقم ٩٣:

«العنقاء» هي الذات الواحدة المطلقة؛ و «جبل قاف» هو الحقيقة

و لَمَّا كان الهدف و هو معرفة الطالب لِمَا لا يُدرك
بالحسّ و العقل حقّ إدراكه، ليس بسهل، و إنّما يستند على
تنقية الفؤاد: فقد قال:

بگو سیمرغ و کوه قاف چبود؟ * بهشت و**

دوزخ و أعراف چبود؟^۱

و اعلم أنّهُ قد رويت و قيلت الكثير من الحكايات
حول طائر العنقاء كلّ حسب تأويله، و أمّا ما يخطر ببال
الحقير الفقير فهو أن العنقاء رمز للذات الواحدة المطلقة،
و أن القاف، و هو مقرّها، يرمز إلى الحقيقة الإنسانيّة التي
هي مظهر تامّ لتلك الحقيقة، و أن الحقّ بكامل أسمائه

پست می گویم به اندازة عقول * عیب نبود این بود کار رسول**

يقول: «أتكلّم كلاماً بسيطاً تطيقه العقول، و ليس هذا عيباً، لأنّه كان فعل
الرسول».

و الثاني في ص ۱۲۹، رقم ۳۹۳:

رنگ و بودر پیش ما بس کاسد است * ليک تو پستی، سخن کردیم**

پست

يقول: «أن اللون و الرائحة كاسدان لدينا، و لكنّك بسيط فتكلّمنا كلاماً بسيطاً».
^۱ يقول:

«أتعرف ما العنقاء أو طود قاف؟ * أو الجنة و جهنّم و الأعراف؟»**

و صفاته، متجلّ و ظاهر بها.

و أمّا ما قيل من أن جبل قاف محيط بالعالم من كلّ جوانبه لعظمته، فإنّ هذا المعنى ظاهر في الحقيقة الإنسانية، لأنّ تلك الحقيقة كما مرّ بيانها، تشتمل على جميع حقائق العالم، و لأنّ الإنسان يمثّل أحديّة الجمع ظاهراً و باطناً، و هو منتخب كلّ العالم و خلاصته.

و كلّ من وصل إلى معرفة الحقيقة الإنسانية، اعتماداً على قاعدة أن **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**^١، تيسّرت له

^١ جاء في تفسير «الميزان» ج ٦، ص ١٨٢، في (بحث روائي) في ذيل الآية الشريفة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ أَنْفُسُكُمْ}، نقلًا عن «الغرر و الدرر» للآمدي، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ**. و روي كلّ من الشيعة و السنة ذلك أيضاً، و هو حديث مشهور. و قال بعض العلماء: هذا الحديث يُشير إلى التعليق بالمحال و مفاده استحالة معرفة النفس باستحالة الإحاطة العلميّة بالله سبحانه؛ و هذا القول مرفوض أوّلاً لقول النبيّ صلى الله عليه و آله في رواية أخرى: **اعْرِفْكُمْ بِنَفْسِهِ اعْرِفْكُمْ بِرَبِّهِ**. و ثانياً أن هذا الحديث مُناقض لقول الله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ}.}

و قد أفاض العلامة في بحث مفصّل حول هذا الحديث و استشهد بكثير من الروايات حول ذلك في ص ١٨٦.

هذا و قد ورد الحديث المذكور كذلك في «مرصاد العباد» ص: ٣، ١٧٤، ١٨٥، ٤١٣، و ٥٣٥، طبعة بنگاه ترجمه و نشر كتاب.

رؤية الحقّ تعالى و معرفته، حيث إنّ: **مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى**

الْحَقَّ،^١ و على هذا، فإنّ من وصل إلى جبل

قاف، فقد وصل إلى العنقاء. شعر:

گر نه آن حسن در تجلی بود * آن أنا الحقّ که**

گفت: سُبحانی^٢

^١ جاء في كتاب «أحاديث المشنوي» ص ٦٢، و ٦٣، الطبعة الثانية:

چون مرا دیدي خدا را دیده ای * گرد کعبه صدق بر گردیده ای**

مقتبساً معناه من الحديث القائل: **مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ**. («البخاري» ج ٤، ص

١٣٥؛ «صحيح مسلم» ج ٧، ص ٥٤؛ «كنوز الحقائق» ص ١٢٥؛ **مَنْ رَأَى فَقَدْ**

رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يُتْرَأَى بِي. («الجامع الصغير» ج ٢، ص ١٧٠).

^٢ قال السمعاني في كتاب «رُوح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتح» ص ١٢٩

و ١٣٢: «كان بايزيد يصيح: سُبحاني ما أعظم شأنِي. و هو القائل: سُبحاني

سُبحاني».

و قال علاء الدولة السمناني في «العروة لأهل الخلوة و الجلوة» ص ٩٤: «لكن

اعلم أنّه إذا انتهى التجلّي الصوريّ و الذي لا يرى بعده تجلّ آخر، فإنّه سيرى

ختامه على صورته و سيكون مصدرّاً للفناء لاهجاً بلسانه عبارة: أنا الحقّ، و

سبحاني دون إرادته».

و يقول الشيخ نجم الدين الرازي في كتاب «العشق و العقل» ص ٨٩: «و إذا

خرج الجسم من بيضة الوجود، صرخ قائلاً: سبحاني ما أعظم شأنِي؛ بينما لا تزال

قدمه داخل البيضة».

که تواند به غیر او گفتن *** لیس فی جبتی که

می خوانی^۱

هر چه هستی است در تو موجود است ***

خوشتن را مگر نمی دانی^۲

الجنة و النار مظهران موجودان في جميع العوالم الإلهية

و اعلم، أن الجنة و النار، إنما هي مظاهر في جميع
العوالم الإلهية، و لا ريب في كونها من الأعيان التي هي
صور علمية في العلم الإلهي، و يكثر وجودها في العالم
الروحاني أكثر منه في الوجود الجسماني كذلك. و أن

^۱ قال سعيد الدين الفرغاني في كتاب «مشارك الدراري» ص ۶۳۴: «إلا إذا كان
كالشخص الذي يصل بكمال التخلّق و التحقّق بالأسماء الإلهية إلى مقام الجمع
الوجودي و يغرق في بحره اللجّي.

حينئذ سيصرخ بلسان الجمع الإلهي قائلين: أنا الحقّ و سبحاني و ليس في الجنة
سوى الله.

و قال في «السيرة الحلبية» ج ۱، ص ۲۹۰: «و من ثمّ ذكر القاضي عياض في
«الشفاء»: أن من ادّعى حلول الباري في أحد الأشخاص كان كافراً بإجماع
المسلمين. و قول بعض العارفين و هو أبو يزيد البسطامي: سبحاني ما أعظم
شأني، و قوله: {إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني}، و قوله: {أنا ربّي الأعلى}،
و قوله: {أنا الحقّ} و هو أنا و أنا هو؛ ليس من دعوى الحلول في شيء».

^۲ يقول: «أن كلّ ما هو موجود من وجود يكمن فيك أنت؛ عجباً، ألا تعرف
نفسك؟».

إخراج آدم و حواء من الجنة، إنّما هو إشارة إلى ذلك، و
للنار كذلك وجود في هذا العالم الروحانيّ، ذلك أن العالم
الروحانيّ مثال لما هو موجود في علمه، و الأحاديث التي
تدلّ على وجودهما كثيرة، و قد أشار الرسول عليه الصلاة
و السلام إلى مسألة إثبات وجودهما في عالم الدنيا بقوله،
الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَ جَنَّةُ الْكَافِرِ^١. و كذا في الآية
الشريفة: **{وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ}**^٢.

^١ أورد صاحب «مرصاد العباد» الجزء الأوّل من هذه الرواية في ص ١٢٦؛ و
قال في ص ٥٩٨ في معرض توضيحه: «ورد هذا الحديث في «ترك الإطناب» ص
٧٦؛ و ورد في شرح «الشهاب» بالفارسيّة ص ٧٥؛ و «أحاديث مثنوي» ص
١١.

^٢ الآية ٤٩، من السورة ٩: التوبة.

ذكر الملام صدرًا هذه الرواية في تفسيره لسورة الطارق، ص ٣٢، طبعة
انتشارات بيدار، قائلاً: **وَمَا يَدُلُّ عَلَى الْبَرْزَخِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الْقَبْرُ
رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّيرانِ**. و قد أورد المعلق في تعليقه
المصادر التالية: «الترمذي» ج ٤، ص ٦٤٠، الباب ٢٦، كتاب صفة القيامة.

(تمّة الهامش في الصفحة التالية...)

و في مكان آخر، أشار كذلك إلى إثبات وجودهما في

البرزخ المثالي قائلاً: **الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ**

مِنْ حُفْرِ النَّيِّرَانِ . وهو

١ (...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

و كذا في «بحار الأنوار» ج ٦، ص ٢٠٥، الطبعة الحروفية؛ و «سفينة البحار» ج ٢، ص ٣٩٥، الطبعة الحجرية؛ و كذلك في نفس مجلّد «البحار» هذا في باب أحوال البرزخ و القبر، ص ٢١٨، حديث ١٣، نقلاً عن «الأمالي» فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: **يَا عِبَادَ اللَّهِ! ثَمَّ يَقُولُ بَعْدَ سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ -: وَ الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ.** و جاء في «أحاديث المثنوي» ص ١٤٠، برقم ٤٣٣ البيت التالي على لسان مولانا (محمد الرومي):

گورها یکسان به پیش چشم ما * روضه و حفره به پیش انبیا**

يقول: «أن القبور كلّها تبدو لنا (نحن البشر العاديون) واحدة و متشابهة و لا فرق بينها، لكنّها بنظر الأنبياء إمّا أن تكون روضة غنّاء أو حفرة دهماء». و قيل: «أن هذا إشارة إلى الحديث القائل:

إِنَّمَا الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ. («الجامع الصغير» ج ١، ص ٦٢).

و أيضاً قال الملا صدرا في «تفسير سورة السجدة» ص ٨٩، منشورات بيدار: و قد انتهى الكلام إلى ما عجز عن دركه جمهور الأنام؛ اللهم اجعل هذه الكلمات محروسة عن ملاحظة الناقصين، و اسرّها عن أعين المغرورين، و اجعل لأصحاب القلوب الصافية نصيباً وافراً من دركها، و رغبة تامّة في حفظها ثمّ في صونها عن الأغيار، ليكون مستقرّ هذه المعاني صدور الأحرار التي هي قبور الأسرار لتكون في روضة من رياض الجنان، و لا تجعلها في بطون الأشرار كيلا يكون في حفرة من حفر النيران، و هم الظاهريون الذين زينوا ظواهرهم بالنقوش المزخرفة و الأقوال المزيّنة المليحة الحلوة كالأطعمة و الحلوات، و أهملوا بواطنهم بل أحشوها بالنفاق و الجهل و الاستكبار عن الحقّ و الحقائق كبطون الفجار و قبور الكفار.

موجود كذلك في العالم الإنسانيّ، الذي هو منتخب الجميع، ذلك أن مرتبة الروح و القلب و الكمالات الخاصّة بهما، هي النعيم عينه. و أمّا مقام النفس و الهدى و متعلقاتهما، فهي الجحيم عينه. و آخر مراتب مظاهرها هي الدار الآخرة، التي هي عالم الجزاء، و قد تطرّقت الأحاديث و القرآن الكريم إلى الكلام عن هذا العالم في مواضع كثيرة.

و يقول الإمام محمّد الغزاليّ في «المضنّنون به على غير أهله»^١: قال أبو عليّ و هو من عظماء الفلاسفة: يمكن القول أن الحقّ جلّ شأنه قد أعطي هذه القوّة للنفس

همجو گور کافران، بیرون حُلّ و اندرون قهر خدا عزّ و جلّ

يقول: «كقبور الكفّار التي تزيّنها الحلل و البرد من الخارج، إلّا أن داخلها مليء بغضب الله و سخطه عزّ و جلّ».

اللهمّ اجعل قبرنا روضة من رياض الجنان و لا تجعلها حفرة من حفر النيران».

انتهى كلام الملام صدرًا.

و أورد هذا الحديث كذلك الغزاليّ في كتاب «المضنّنون به على غير أهله» ص ٧٩، في هامش ج ٢ من «الإنسان الكامل» للجليّ، الطبعة الأولى.

^١ لم نعر في كلتا الطبعتين اللتين طُبعتا على ما جاء في هامش «الإنسان الكامل» للجليّ.

الفلكية، بحيث أن ما موجود في عالم المواليد السفلية من أشخاص وأقوال وأعمال وأخلاق وحركات وسكنات، والصور المناسبة لكل من تلك الرموز وأسماؤها الواردة في الشريعة السمحاء، موجودة بأجمعها في تلك النفس الفلكية، إذ أن النفس الإنسانية بعد قطع اتصالها بالبدن العنصري تتصل ببدن آخر يليق بذلك العالم، وتُشاهد عياناً صور الأعمال والأخلاق والأوصاف والأقوال التي صدرت منها في هذا العالم.¹

ذلك ما أخبر به المخبر الصادق، وهو الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، من حور وقصور ورضوان وأثمار وأنهار، وأخبر في مقابل ذلك عن الأفاعي والعقارب والنار وملك، ولما كان ذلك لا يخالف العقل، وقد كان المخبر به هو المخبر الصادق، فلا ريب أن ذلك هو ما هو كائن حقاً. وهذا لمن يريد إدراك هذا

¹ لقد اعتبرنا مثل هذا الاحتمال ضعيفاً كما ذكرنا في «معرفة المعاد» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية وأثبتنا المعاد الجسماني العنصري على أحسن وجه.

المعنى بطريق العقل، وإلا فإن أصحاب الصفاء و النقاء
و أهل القلوب يشاهدون بعين البصيرة كل ما قاله و أخبر
عنه النبي، و على هذا، فإن قاعدة: **مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا**^١،
تدلّ على أن ما يكون بعد الموت الطبيعي، يمكن
مشاهدته بالموت الاختياريّ بعين اليقين، و إزالة ما في
داخلهم من شك.

زينهار اي جان من صد زينهار *** نيك كن

پیوسته دست از بد بدار

زانکه هر چه اینجا کنی از نیک و بد *** مونست

خواهد شدن اندر لحد^٢

^١ «مرصاد العباد» ص ٣٥٩ و ٣٦٤ و ٣٨٦؛ و «العروة» للسمنانيّ ص ٨٧؛ و
قال في «أحاديث المثنويّ» ص ١١٦:

ای خنک آن را که پیش از مرگ مُرد *** یعنی او از اصل این رز بوی برد
يقول: «طوبى لمن مات قبل الموت، فهو الذي عرف بحق أصل ذلك السرّ
المكنون».

إشارة إلى الحديث القائل: **مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا**، و الذي تناقلته الصوفيّة.
و لم يعدّه مؤلّف «اللؤلؤ المرصوع» حديثاً، نقلاً عن ابن حجر. و جاء في «حدائق
الحقائق» ص ٤٧٩، الطبعة الثالثة: بمقتضى مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا.
^٢ يقول:

«حذار يا نفسي كوني على حذر *** اعلمي المعروف و اجتنبى الشرر

حيث أن القَبْرُ صَنْدُوقُ الْعَمَلِ ¹.

و أمّا الأعراف، فهي جمع عُرف، يطلق على المكان المرتفع الذي يُشرف على جوانبه. و تلك هي مرتبة السابقين، حيث يقول تعالى:

{السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} ².

و هم الكاملون الذين وصلوا إلى مقام جمع الجمع، و هو مقام البقاء بالله، حيث يرون الحقّ تعالى متجليّاً في كلّ شيء و الصفة التي يعدّ ذلك الشيء مظهراً لها، و هذا

إنّ ما تصنعي من خير هنا *** سيكون أنيساً لك داخل القبر»

¹ «الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام» الطبعة الحجرية:

يَا مَنْ بِدُنْيَاهُ اشْتَغَلَ *** قَدْ غَرَّهُ طَوْلُ الْأَمَلِ

الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً *** وَ الْقَبْرُ صَنْدُوقُ الْعَمَلِ

و قد ورد ذلك أيضاً في الطبعة المنقّحة و المصحّحة لعبد العزيز الكرم في ص ١٠٥. و أورد عبد العزيز سيّد الأهل الأبيات التالية في «ديوان الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام»، ص ١١٣:

عَرَّ جَهُولًا أَمَلَهُ *** يَمُوتُ مَنْ جَا أَجَلَهُ

وَ مَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ *** لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيلُهُ

وَ مَا بَقَاءُ آخِرٍ *** قَدْ غَابَ عَنْهُ أَوَّلُهُ؟

وَ الْمَرْءُ لَا يَصْحَبُهُ *** فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلُهُ

² الآيتان ١٠ و ١١، من السورة ٥٦: الواقعة.

المقام هو الإشراف على الجوانب. إذ يمكنه رؤية كل شيء
كما هو، و يعلمون أن:

{ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ }^١.

ما طبيبانيم و شاگردان حق *** بحر قلزم دید ما

را فانلق^٢

آن طبيبان طبيعت ديگرند *** که به دل از راه

نبضى بنگرند

ما به دل بی واسطه خوش بنگريم *** کز فراست

ما به عالی منظریم^٣

و بعد أن أشار إلى بعض من العوالم الغيبية، ذكر في

مكان آخر:

كدام است آن جهان كو نيست پيدا *** که يك

روزش بود يك سال اينجا؟^٤

^١ بعض من الآية ٤٦، من السورة ٧: الأعراف.

^٢ يقول: «ألا نحن الأطباء و للحق تلاميذ؛ لِمَا رَأَى الْبَحْرَ مَاجَ وَ انْفَلَقَ».

^٣ يقول: «فطبيب يفحص القلب بجس للنبض؛ ذاك طب يتعامل بالأهق

إنما نحن أطباء بغير واسطة؛ طبنا ليس كطب من سبق».

^٤ يقول:

و اعلم أن العوالم الكلّية هي خمسة:

الأوّل: عالم الذات، و هو ما يطلقون عليه باللاهوت

و الهويّة الغيبية، و الغيب المجهول، و غيب الغيوب، و

عين الجمع، و حقيقة الحقائق، و مقام أو أدنى، و غاية

الغايات، و نهاية النهايات، و الأحديّة.

الثاني: عالم الصفات، و هو ما يطلقون عليه

بالجبروت، و برزخ البرازخ، و البرزخية الاولى، و مجمع

البحرين، و قاب قوسين، و محيط الأعيان، و الوحدانية، و

العماء.

الثالث: عالم الملكوت، و يسمّونه كذلك عالم

الأرواح، و عالم الأفعال، و عالم الأمر، و عالم الربوبية، و

عالم الغيب و الباطن.

الرابع: عالم المُلْك، و يطلقون عليه كذلك عالم

الشهادة، و العالم الظاهر، و عالم الآثار، و الخلق، و

المحسوس.

«أين ذاك العالم يا صاح قل لي *** أتزعم أن يوماً فيه قدّر بسنة؟»

الخامس: عالم الناسوت، و يطلقون عليه كذلك

الكون الجامع، و العلة الغائيّة، و آخر التنزّلات، و مجلّي

الكلّ.

فالعوالم الثلاثة من هذه العوالم الخمسة هي ضمن عالم الغيب، لأنّها خارجة عن عالم الإدراك و الحواسّ. و أمّا العالمان الآخران فهما ضمن عالم الشهادة، لأنّهما محسوسان بالحواسّ.

يقول الشيخ: أين هو ذلك العالم غير المحسوس؟ اي أنّه غير محسوس و غائب عن الحواسّ، حيث أن يوماً في ذلك العالم، يعادل سنة من هذا العالم.

و هذا العالم إشارة إلى البرزخ المثاليّ، و هو الحدّ الفاصل بين الغيب و الشهادة، و هو جامع لأحكام العالمين، الظاهر و الباطن، بحسب البرزخيّة. و أمّا مسألة الزمان و المكان و الطول، و القصر في الشهر و السنة في هذا العالم الجسمانيّ، فهي مقيدة بالكثافة، و كلّما قلت الكثافة، قلّ في مقابل ذلك التقيّد و اعتبار البعد بين المبدأ و المعاد، و الأزل و الأبد، و أضحت مسألة ظهور العلم و انكشاف المعلومات و الحقائق هامشيّة قليلة الأهميّة.

و لهذا صار يوم واحد في عالم البرزخ يعادل عاماً واحداً في عالمنا هذا، و يوم واحد في عالم الربوبيّة، هو

بألف عام في هذا العالم {إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ
 مِمَّا تَعُدُّونَ}. و أما اليوم الواحد في عالم الالوهية، فهو
 مساوٍ لخمسين ألف سنة في هذا العالم {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ
 الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}¹.
 شعر:

پیش ما صد سال و يك ساعت یکی است *** که

دراز و کوتاه از ما منفکی است²

آن دراز و کوتاهی در جسمها است *** آن دراز و

کوتاه اندر جان کجاست

از ره و منزل ز کوتاه و دراز *** دل چه داند

کوست مست و دلنواز

آن دراز و کوتاه اوصاف تن است *** رفتن

ارواح، دیگر رفتن است³

¹ الآية ٤، من السورة ٧٠: المعارج.

² يقول: «أن مائة سنة و ساعة واحدة سواء لدينا، لأنّ الطول و القصر منفكان
 عنّا».

³ يقول: «إن كان الطول و العرض في الأجسام؛ فأين هما في الأرواح؟
 أسير عن الدنيا و ما أنا ذاكرٌ لها بسلام أن أحداثها حُمس».

بما أن في ذات الأحديّة لا وجود للتعين و التقيّد - لأنّ
الكثرات الاعتباريّة عنده معدومة - فإنّ تقدّم الذات
الأحدية على الذات الوجدانية التي هي منشأ التعينات و
النسب، يُعبّر عنه بالسنة السرمديّة، و جاء في بعض النسخ
« كان يوماً منه بخمسين يوماً من هذا العالم ».

و ذلك العالم هو إشارة إلى عالم الالوهيّة، و المراد
بالخمسين، هي خمسون ألف عام، في {يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} ^١.

و قد أشار إلى عوالم غير مدركة بالحواسّ، و ليس كلّ
شخص هو سابع في هذه الأجواء، و لأجل التأكيد على
تصديق المستمع يقول:

همين نبود جهان آخر كه ديدى * نه ما لا**

تُبصرون آخر شنيدى؟^٢

إنّما الأطوال و الأعراض من جنس البدن، فإذا ما وُلّت الأرواح كانت في
دَمَس».

^١ قسم من الآية ٤، من السورة ٧٠: المعارج.

^٢ يقول: «لم يك ما رأيت بعالم الآخرة، أما سمعت نداء ما لا تُبصرون؟».

أي أن عالم الشهادة و المحسوس الذي أمامك ليس
هو كلّ شيء، بل هنالك عوالم أخرى كثيرة لا تدركها
الحواسّ، على الرغم من أنّه، اي عالم الشهادة و
المحسوس، ينحصر عموماً في العوالم الثلاثة التي مرّ
ذكرها،

فهو يقول: أ لم تسمع كلام الخالق: {وَمَا لَا تُبْصِرُونَ}؟ اي تلك العوالم التي لا ترى بالباصرة. و في كلام البارئ جاء القَسَم بهذين العالمين بقوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ}،^١ و هما عالم الظاهر، و عالم الباطن، أو الغيب و الشهادة، و اللذان يشتملان على العوالم الخمسة المذكورة، التي تمّ شرحها آنفاً. و عالم اللاهوت هو أصل كلّ تلك العوالم، و نسبة هذا العالم إلى تلك العوالم، كحَبّة الرمل إلى الصحراء، أو قطرة الماء إلى البحر.

«جابلقا» جمع البحرين للالوهية والإمكان؛ و «جابلسا» تعين النشأة

و لأنّ النشأة الإنسانيّة، و شأن جامعيّة كمالها، يقتضيان العلم بكلّ مراتب الموجودات، و الاطلاع على كلّ المسمّيات بحكم {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} ^٢ يقول:

^١ الآيتان ٣٨ و ٣٩، من السورة ٦٩: الحاقة.

^٢ صدر الآية ٣١، من السورة ٢: البقرة.

بنا كه جابلقا كدام است *** جهان شهر

جابلسا كدام است^١

جاء في القصص و الروايات التاريخية، أن جابلقا، هي مدينة كبيرة جداً في الشرق، و جابلسا أيضاً، كبيرة جداً و تقع في الغرب، و بالمقابل من جابلقا، و قد علق أهل التأويل في هذه المسألة بما يكفي، و لكن خطر ببالي معنيين على سبيل الإشارة و هما:

الأول: جابلقا هي العالم المثالي، و التي تقع في الجانب الشرقي للأرواح، و هي البرزخ بين الغيب و الشهادة، و تشمل على صور العالم، فهي بلا شك، مدينة كبيرة، و واسعة جداً. و أمّا جابلسا، فهي عالم المثال

^١ يقول:

«خبر بجابلقا لعلك ناطق *** و أرنى حاضرة جابلسا لعلك صادق»

و عالم البرزخ، وهي مستقرّ الأرواح بعد مفارقتها دار الدنيا، و مكان صور كلّ ما ارتكَبَ من الأعمال، و الأفعال، و الأخلاق، الحسن منها و السيِّء المكتسبة في الحياة الدنيا- كما هو وارد في الأحاديث و الآيات-، و يقع هذا البرزخ في الجانب الغربيّ من الأجسام، و هي مدينة عظيمة السعة، و تقع قبالة جابلقا.

و هنا يكون أهل مدينة جابلقا، أكثر لطافةً و نقاءً، ذلك لأنّ أهل مدينة جابلسا، و بسبب أعمالهم و أخلاقهم الرديئة التي اكتسبوها في الدنيا، قد صوّروا بصور مظلمة. و معظم الخلق على هذا التصوّر، بأنّ هذين البرزخين هما شيء واحد، و لكن يجب العلم، بأنّ البرزخ الذي يستقبل الأرواح بعد مفارقتها للحياة الدنيا، هو غير البرزخ الكائن بين الأرواح المجرّدة و الأجسام؛ هذا لأنّ مراتب تنزّلات الوجود و معارجه دوريّة، على اعتبار أنّ اتّصال النقطة الاولى بالنقطة الأخيرة غير ممكن، إلّا في حالة الحركة الدورانيّة؛ و البرزخ الذي هو كائن قبل النشأة الدنيويّة، هو في مراتب تنزّلاتها، و يشكّل النقطة

الأولى بالنسبة إلى هذه النشأة، و أمّا البرزخ الذي يأتي بعد
النشأة الدنيويّة، فهو من مراتب الأوج، و عليه، فهو يعتبر
النقطة الأخيرة بالنسبة إلى النشأة الدنيويّة.

و المسألة الأخرى هي أن الصور التي تلحق
بالأرواح، هي صور الأعمال و نتائج الأفعال و الأخلاق
و الملكات التي حصلت في النشأة الدنيويّة، على عكس
صور البرزخ الأوّل.

فكلّ واحد منهما، هو غير الآخر، و لكنّها يشتركان
في كونها عالمين روحانيّين، و لكلّ منهما جوهر نورانيّ
غير مادّيّ، و يحويان على مثال صور العالم.

و يروي الشيخ داود القيصريّ بقوله: قال الشيخ محيي الدين الأعرابيّ قدّس سرّه في «الفتوحات»، أن البرزخ الأخير، هو غير البرزخ الأوّل. و قد أطلق على الأوّل اسم (الغيب الإمكانيّ)، و على الأخير بـ (الغيب المحاليّ)، و ذلك لأنّ كلّ صورة في البرزخ الأوّل، يمكن لها أن تظهر في الشهادة أيضاً، و أمّا الصور في البرزخ الأخير، فهي ممتنعة عن الرجوع للشهادة، اللهمّ إلا في الآخرة.

و كثير هم أهل المكاشفة الذين ظهرت لهم صور البرزخ الأوّل، و الذين كانوا على دراية بآت الزمان، و لكن بالمقابل، يندر أن يطّلع أحد منهم على أحوال الموتى.

و أمّا المعنى الثاني، فهو: أن مدينة جابلقا، هي مرتبة إلهيّة، و هي مجمع البحرين بالنسبة للوجوب و الإمكان، حيث تكمن فيها صور أعيان جميع الأشياء، ابتداءً من المراتب الكلّيّة و الجزئيّة؛ و اللطائف و القبائح و الأعمال و الأفعال و الحركات و السكنات، و محيطتها بما كان و ما

يكون، وهي بالمشرق، حيث تلي مرتبة الذات و لا توجد
فاصلة بينهما، و كلّ شمس الأسماء و الصفات و الأعيان
و أقمارها و نجومها قد بزغت و تلاً نورها من المشرق.
و أمّا مدينة (جابلسا)، فهي لسان حال النشأة
الإنسانية، و هي مجلى جميع حقائق الأسماء الإلهية، و
الحقائق الكونية. فما يطلع من مشرق الذات، يغرب في
مغرب التعيّن الإنسانيّ و يختفي في صورته. شعر:

با مغربي مغارب اسرار گشته ايم * بي مغربي**

مشارق انوار گشته ايم¹

و هذان السوادان الأعظمان في موازاة بعضهما، و

خلقهما مع بعض

¹ يقول: «طويت مغارب الأسرار مع المغربي، و بدونه طوينا مشارق الأنوار».

لا يعنى النهاية، لأنّ كلّ عالم يحوي المشرق و المغرب معاً، بل أن كلّ مرتبة و كلّ فرد من الموجودات، يمتلك هذه الميزة، و هو يقول:

مشارك با مغارب هم بينديش * چواين عالم**

ندارد از یکی بیش^۱

و اعلم أن عالم الالوهية بالقياس إلى عالم الربوبية، هو المشرق الذي يفيض من نوره على عالم الربوبية، و هكذا، عالم الربوبية بالقياس إلى البرزخ المثالي، و البرزخ المثالي بالقياس إلى عالم الشهادة، كلُّ يفيض من نوره على من هو دونه، و كذلك فإنّ كلّ عالم من العوالم، و كلّ مرتبة من المراتب، و كلّ فرد من الأفراد هو مشرق، قد سطعت منه شمس من الأسماء الإلهية، و من جهة أخرى، فهو مغرب كَمَنَ في تعينه نور ذلك الاسم. و أن القلب الإنساني، و بحسب كمال المظهرية، له مائة مشرق، بل مئات الآلاف من المشارق التي تسطع منها نجوم الأسماء الإلهية، و

^۱ يقول: «طالع المشارق و المغارب، إذ ليس لهذا العالم أكثر من مشرق واحد و مغرب واحد».

هكذا، و في إزاء ذلك، فإنَّ كلاً منها هو مغرب. و أن
عجائب و غرائب القلب الإنساني لا تظهر إلا لعيان أهل
الصفاء و السالكين إلى الله.

شعر:

عالم دل را نشانی دیگر است *** برّ و بحر و کار و

شأنی دیگر است

صد هزاران آسمان و آفتاب *** مشتري و تیر و

زهره ماهتاب^۱

هر یکی تابنده تر از دیگری *** نور هر يك در

گذشته از ثری

هر یکی را برج دیگر منزل است *** این کسی

داند که از اهل دل است^۲

^۱ يقول: «أن للقلب لدنياً و فکر؛ غير ما نعهد من برّ و بحر.

ألف علياء و مثلها من سماء؛ من عطارد و زحل و من قمر».

^۲ يقول: «كل جرم أنور من صاحبه؛ ذاك نورٌ صادر عن ثري البرّ.

قد يكون الأمر صعباً بعض شيء؛ إنّها يعقل ذاك الأمر حرّ».

و يحثّ الشيخ على التأمل و التفكير في المشارق و المغرب، كما ورد في القرآن الكريم: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}،^١ فالمشارق و المغرب جمع، و في هذا العالم المحسوس، ليس إلا مشرق واحد، و مغرب واحد، و كلّ منهما في جهة معاكسة.

و أصبح واضحاً الآن، بأنّ العالم لا ينحصر في عالم الظاهر هذا، فهناك عوالم أخرى لطيفة و غير محسوسة، بل تلك العوالم و السماء و الكواكب هي أصل العوالم، لأنّها المؤثّرة و هذه المتأثّرة.

آسمانها است در ولايت جان *** كار فرماي

آسمان جهان^٢

فأكثر الخلائق عن هذه الحقيقة غافلون و محرومون من معرفة الأسرار و التجليات الإلهية، و بحكم انعدام

^١ صدر الآية ٤٠، من السورة ٧٠: المعارج.

^٢ يقول: «السموات خاضعة لولاية الروح؛ فهو الأمر الناهي في سماء العالم».

الاستعداد الفطريّ لديهم، فلا حظّ لهم في الإصغاء و
الفهم، وهو يقول:

بيان مثلهنّ ز ابن عباس * شنو پس خويشتن را**

نيك بشناس^١

يقول سلطان المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله

عنها:

لَوْ ذَكَرْتُ تَفْسِيرَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ
بَيْنَهُنَّ}،^٢ لرجموني أو قالوا: إنه كافر.

لأنّ الشيخ قد قال: بأنك لم تسمع بغير كلمة عالم، و
لا علم لك عن هذه العوالم التي مرّ ذكرها، و بأنّ العالم غير
منحصر بالمحسوسات، و أنّ هناك عوالم لطيفة كثيرة غير
هذه، استشهاداً على ذلك يقول شعره «بيان مثلهنّ» اي
استمع جيّداً إلى ما قاله ابن عباس في شرح الآية {مِثْلَهُنَّ}

^١ يقول:

«اسمع من ابن عباس بيان (مثلهنّ) *** واعرف الأنفس جيّداً دون بطر أو

وهن»

^٢ صدر الآية ١٢، من السورة ٦٥: الطلاق.

بأنّه لو فسّر هذه الآية لقتل، و اعرف نفسك جيّداً، فإنّك لم تعرف حقيقة الأمر بعد، و إذا كشف عارف و محقّق ملهم الحجاب عن بعض أسرار الوجود، لهبّ الخلائق إلى الطعن و المجابهة، بل قد يغالى بعضهم إلى حد تكفيره، و استباحة دمه، بحجّة الدفاع عن حرمة الدين بزعمهم.

إخراج بايزيد من مدينة بسطام اثنتي عشرة مرّة بتهمة الإلحاد

يروى أن السلطان بايزيد البسطاميّ قدّس سرّه قد اخرج من بسطام بتهمة الإلحاد و الزندقة إثنتي عشرة مرّة، و كان في كلّ مرّة يبعّد عن بسطام يقول: هنيئاً لمدينة ملحدها بايزيد. و أمّا الآن، فالجميع متيمّ و عاشق لقبر ذلك الجليل، و عند ما كان على قيد الحياة الظاهريّة، لم يكن الناس على و فاقٍ و علاقة معه، و لكن عند ما التحقت روحه بالعالم العلويّ، و أصبح قبره كومة تراب و حجر فإنّ الناس من جهة أوساخ غفلتهم و جهلهم لهم ما يربطهم مع الحجر و الحمأ المسنون فقد و لهوا بقبره.

إذا كنت منصفاً، تمعّن في هذه الآية الكريمة التي يقول فيها ذو الجلال و العزّة جلّ شأنه و عظم سلطانه:

{ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا

بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ }^١.

شعر:

دیده این شاهان ز عامه خوف جان *** کین گُره

کورند و شاهان بی نشان

انبیا را گفته قوم راه گم *** از سَفَه: إِنَّا تَطَيَّرْنَا

بِكُمْ^٢

زَرِّ خَالص را و زرگر را خطر *** باشد از قلاب

خاین بیشتر^٣

لأنَّ وجود العالم هو ظلُّ للوجود الحقيقي، و أن توهم

الغيريَّة الحقيقيَّة لوجود عالم الخيال، توهم باطل، و كلَّ من

خامرته فكرة الغيريَّة، كان ضحية الغفلة، يقول:

^١ الآية ٣٠، من السورة ٣٦: يس.

^٢ مقطع من الآية ١٨، من السورة ٣٦: يس.

^٣ يقول: «لقد عهد هؤلاء الملوك في عامَّة الناس الخوف و الحرص على أنفسهم؛ أن هؤلاء الناس عمي و الملوك ضائعون لا عنوان لهم.

و قال الضالُّون للأنبياء سفهاً: إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ.

فالخوف كلَّ الخوف على الذهب و الصائع من الخونة و مصائدهم لا من شيء آخر».

تو در خوابی و این دیدن خیال است *** هر آنچه

دیده‌ای از وی مثال است^۱

أي كما أن الفرد تتراءى له في النوم صور ليس لها

وجود في أرض الواقع، ولكنه يعتقد بوجودها، ولا يدرك

بأنها صور خيالية ليس إلا،

^۱ يقول: «أنت غاطّ في النوم و هذه الرؤية خيال، و كلّ ما رأيته ليس إلاّ مثلاً

من الحقيقة».

و أنّها غير موجودة بالحقيقة، و أنت الذي تتوهم بأنّ العالم هو وجود حقيقيّ، و لا تدري بأنّ العالم غير الذي ترى، فإنّك في غفلة، و وهم باطل. و بالحقيقة، فكلّ ما ترى هو صورة و مثال لوجود الحقّ تعالى، تيسرت من خلال مرآة العيان، و أن لا وجود لغير الحقّ تعالى. شعر:

این نقشها که هست، سراسر نمایش است ***

اندر نظر چو صورت بسیار آمده

عالم، مثال ذات و ظلال صفات اوست * نقش**

دوئی چو صورت پندار آمده^۱

سیتضح فی الحشر أن کلّ ما سوى الحقّ تعالى سراب

يوم القيامة، يظهر كلّ شيء مخفيّ على حقيقته بحكم

الآية الشريفة {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ}،^۲ و يقول:

^۱ يقول: «أن هذه النقوش و الرسوم ما هي إلا تمثيل و هو يبدو في النظر صوراً كثيرة.

و أن العالم مثال ذاته و ظلال صفاته، و ما الثنائيّة إلا كالصورة المتخيّلة».

^۲ الآية ۹، من السورة ۸۶: الطارق.

به صبح حشر چون گردی تو بیدار *** بدانی کآن

همه وهم است و پندار^۱

و بحکم أن النَّاسُ نِيَامٌ^۲ يقول: إِنَّمَا يَقْضِيكَ هِيَ نَوْمٌ، و

الصحو في نوم

...

الغفلة هذا يكون بالموت فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا، و الحشر

هو بمعنى الجمع، (حَشَرْتَهُمْ أَي: جَمَعْتَهُمْ)، و المراد بهذا

الحشر هو الموت الإرادي، حيث أن مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ

قِيَامَتُهُ^۳، أَي أَنَّكَ سَتَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِكَ عِنْدَ صَبَاحِ

^۱ يقول:

«إِذَا مَا اسْتَيْقِظَ الْمَرْءُ مِنَ الْقَبْرِ وَ جَالَ *** سَيَعْلَمُ أَنَّهَا مَا قَدْ مَضَى كَانَ

خيال»

^۲ «شرح منازل السائرين» ص ۳۴، باب اليقظة، انتشارات بيدار: كَمَا قَالَ عَلَيْهِ

السَّلَامُ: النَّاسُ نِيَامٌ؛ و «مرصاد العباد» ص ۴۶۸، التعليقة ۷: النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا

مَاتُوا انْتَبَهُوا. و في ص ۶۶۰، يقول في توضيحه «و هي الرواية المذكورة في

«زهر الآداب» و المنسوبة إلى الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم، و

المذكورة كذلك في «شرح التعريف» للإمام علي عليه السلام. راجع: «أحاديث

مثنوى» ص ۸۱.

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

^۳ (...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

المحشر، و هو الموت الإرادي، و تزول التعينات و
الكثرة و تجتمع أسباب الفرقة و التشتت التي تورث
الغفلة و التخيلات الفاسدة كلها، و يظهر التوحيد. و
لكن اعلم أن الوجود كل واحد، و لكن بسبب كثرة
المظاهر تعدد، و تصوّر الغيرية، و اعتبارك إياها حقيقة
أكيدة، ما هو إلا وهم و سراب، و أن لا وجود إلا للحق
تعالى.

و قد ذكر في موضعين، في كتاب «الإنسان الكامل» لعزير الدين النسفي: في ص
٤٢٦ و ٢٧١؛ و كذلك في «أحاديث مشنوي» في موضعين: الأول في ص ٨١،
رقم ٢٢٢:

اين جهان وهم است، اندر ظنّ مايست * گر رود در خواب دستي باك
نيست**

يقول: «إننا عالمنا وهم و خيال * كل ما فيه مباد و زوال»**

و هو ما يناسب مضمون هذه الرواية: **النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا.** و التي
وردت في «زهر الآداب» ج ١، ص ٦٠، طبعة مصر، منسوبة إلى الرسول الكريم
صلى الله عليه و آله؛ و في «شرح التعريف» ج ٣، ص ٩٨ منسوبة إلى مولى
المتقين عليّ عليه السلام.

و الثاني في ص ١٤١، رقم ٤٣٨:

تا برآيد ناگهان صبح اجل * و ارهد از ظلمت ظنّ و دغل**

يقول: «فإذا ما جاءكم صبح الأجل زالت الظلمة عنكم و الضلل»

و هي أيضاً، تناسب فحوى الرواية **النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا**، حيث ورد
شرحها في ذيل الرقم ٢٢٢.

و باعتبار أن التعيّنات و الكثرة، يعبر عنها بالليل، من
جهة ظلمة عدميّتها، فقد جرى إطلاق تعبير الصبح على
الموت، باعتباره فناء التعيّن، و ذلك لأنّ البرزخ قد توسّط
ليل الكثرة و نهار الوحدة.

و حسب تعبير المتصوّفة، أن الولوج في الحياة الطيّبة
القلبيّة بعد الموت الإراديّ، هو ما يعبر عنه بالقيامة
الوسطى، كما جاء في الآية الكريمة:

{أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي

بِهِ فِي النَّاسِ} ^١، اي مَيِّتًا بِالْجَهْلِ، فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْعِلْمِ وَ
المعارف.

و لأنّ الحشر، هو اجتماع المتفرقات الذي يظهر بعد
محو الكثرات، و يقول:

چو برخیزد خیال چشمِ آحول *** زمین و آسمان

گردد مبدّل

و في صبح الحشر، الذي يمثّل وصول السالك إلى
مقام التوحيد، و حيث يدوب الكونان في نظره بنور

^١ الآية ١٢٢، من السورة ٦: الأنعام.

الوحدانيّة، وَ لَا يَبْقَى إِلَّا الْحَيُّ الْقَيُّومُ، فَإِنَّ أَوْهَامَ الْأَحْوَالِ
الَّتِي تَصَوَّرُ لَهُ وَجُوداً مَعَ وَجُودِ الْحَقِّ تَعَالَى سَتَزُولُ مَعَ
زَوَالِ وَهْمِ الْغَيْرِيَّةِ، فَيَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّ كُلَّ الْوُجُودِ هُوَ الْحَقُّ
تَعَالَى،

و أن وجود الموجودات ما هو إلا وجود أجوف، و
خیال و وهم و ظنّ، {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ
السَّمَاوَاتُ وَ بَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} ١.

یومئذ ستكون هناك أرض و سماوات، و لكن غیر
هاتین اللتین نرى الآن، لأنّ الحلم الذي رآه في نوم الغفلة،
و في لیل العمر، و ظنّ أنّه الغير، طلع عليه صبح الحشر، و
تبين أنّه وهم و خیال أحول ليس إلا. شعر:

بودیم یکی، دو می نمودیم * نابود شد آن نمود**

در بود

چون سایه به آفتاب پیوست * از ظلمت بود**

خود بیاسود

چون سوخته شد تمام هیزم * پیدا نشود از آن**

سپس دود^٢

١ الآية ٤٨، من السورة ١٤: إبراهيم.

٢ يقول: «كنا واحداً، لكننا كنا نبدو اثنين، فتلاشى و انمحي ذلك البداء الكينونة و التكوّن.

و لما التحق الظل بالشمس تخلص و ارتاح من ظلمة كينونته.

و إذا احترق الحطب جميعه لن ترى له بعد ذلك دخان متصاعد».

إن في ظهور نور تجلّي الوحدة، توارى ظلّمة الكثرة، و

يقول بهذا الصدد:

چو خورشید جهان بنمایدت چهر *** نماند نور

ناهید و مه و مهر^١

إن تجلّي نور شمس الذات الإلهية في مرآة قلب

السالک إلى الله، اللاهث وراء الحق، هذا النور قد طرد

أنوار الزهرة و القمر و الشمس، و رمى بهنّ في هوة العدم

الحالكة. حيث يمّحي كلّ وجود و نور؛ كما في قوله تعالى:

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} ٢. و

لأنّ هذه

القيامة عند السالک إلى الله، هي واقعة، لا محالة، و

هي صورة للقيامة الكبرى، فإنّه إذا ظهرت علاماتها

ساطعة، تلاشت أنوار الوجود الخياليّ المجازيّ

للكائنات، و ذابت في وهج إشعاع نور ذات الله المطلقة،

^١ يقول: «لو ظهرت لك الشمس و طلعت ما أبقّت للزهرة نوراً و لا للقمر ضياءً».

^٢ الآيتان ١ و ٢، من السورة ٨١: التكوير.

و بالظهور المطلق للحقّ تعالى، تقوم القيامة، و يفنى كلّ وجود غير وجوده المقدّس، و ما كان آجلاً عند غيره، أصبح عاجلاً عنده. شعر:

هر که گوید کو قیامت ای صنم *** خویشتن بنا

قیامت نک منم

این قیامت زان قیامت کی کم است *** آن

قیامت زخم و این چون مرهم است^۱

كما أن قيام الساعة، التي هي مصداق لاسم القهار و

المعيد، هي ظهور الفناء في الوجود، إذ: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

فانٍ}؛^۲ يقول:

فتد يك تاب از آن بر سنگ خاره *** شود چون

پشم رنگین پاره پاره^۳

^۱ يقول: «و إذا سأل أحدهم: أيان يوم القيامة يا صنم؟ انظر إلى نفسك و تأملها فها أنا ذا القيامة.

فهذه القيامة لا تقلّ عن تلك شيئاً، و إذا كانت تلك القيامة جرح فهذه القيامة هي البلسم و الدواء الناجع».

^۲ الآية ۲۶، من السورة ۵۵: الرحمن.

^۳ يقول:

«إن يسقط النور على العروش *** تكن جميعها عنها منفوش»

أي أن الحجر قد تفتت من و ميص نور الذات الإلهية
المتجلية، و قدر كع أمام هببة النور الإلهي و إشعاع التجلي
القدسِي حجر الصوان حتى أضحي كالعهن المنفوش و
المتلاشي: { وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ }^١.

صَارَ دَكًّا مِنْهُ وَ انشَقَّ الْجَبَلُ *** هَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ جَبَلٍ

رَقَصَ الْجَمَلُ؟!

الترغيب في المكاشفات و التجليات و السير في العوالم اللطيفة

و ذلك أن تحصيل الكمالات الحقيقية، و المعارف
اليقينية، و هي هدف الوجود، غير متيسر إلا في هذه
النشأة، يقول:

بدان اكنون كه كردن می توانی *** چو نتوانی چه

سود آنکه كه دانی^٢

إن الشيخ في هذه الأبيات، يحث على السمو إلى
المراتب القلبية، و المكاشفات، و المشاهدات، و
التجليات، و الفناء، و التحليق، و العروج إلى الأفلاك، و

^١ الآية ٥، من السورة ١٠١: القارعة.

^٢ يقول: «فاسع ما استطعت و لا تك لاهياً، إذ ما الفائدة من العلم حين تفقد
الاستطاعة؟».

العوالم اللطيفة. فقد ذكر هنا مقدّمة يمكنها أن تكون وسيلة للطالب الصادق الذي يودّ الحصول على تلك المعاني، و تزيد في فهمه و إدراكه لما هو واقع، و هي:

اعلم أن الإنسان، و بسبب الشموليّة التي تشكّل أصل الفطرة فيه، يمكن لحقائق الامور بعد التنقية و التجلية أن تنكشف له، و أن يتوصّل إلى العروج و السير و الطيران في الأفلاك و العوالم الملكوتيّة و الجبروتيّة اللطيفة، و أن يسبح في بحر تجلّيات الآثار و الأفعال و الأسماء و الصفات و الذات، ليرى بعين البصيرة، و يمتّع ناظره بجمال ذي الجلال الوهاج، فيفنى الوجود المجازي و التعيّن للسالك في فيض نور تجلّيات الذات الأحديّة، و بعد أن يفنى في الله تعالى و يذوب فيه، يعود و يخلد به جلّ جلاله، يرى الحقّ و يعرفه حقّ معرفته، و يتمّ المراد من خلق الكون، و هو المعرفة. شعر:

اگر دمی بگذاری هوای نااهلی *** بینی آنچه نبی

دید و آنچه دید ولی^۱

ضرورة إرشاد الأستاذ الكامل للسير في العوالم الروبوتية

و الحصول على هذه المعاني متوقف على عدة أسباب،

هي:

الأول: طلب الإرشاد في سلوك طريق الحق، كما هو

واجب أرباب الطريقة، والوصول إلى الكمالات المعنوية،

و التي ذكرت بصورة إجمالية، يمكن لهذا الكامل، و بإذن

إلهي، إرشاد طلاب الحق، و هذا الكامل بدوره، يكون

مأذوناً من قبل كامل آخر، و هكذا، حتى تنتهي بخاتم

الأنبياء

صلوات الله و سلامه عليه و آله.

شعر:

راه دور است و پر آفت ای پسر *** راهرورا

می ببايد راهبر

^۱ يقول: «إذا تركت الانحراف و هجرت سبيل الجنف زمناً، لتمكنت من رؤية

ما قد رآه أي نبی و ولی».

گر تو بی رهبر فرود آیی به راه *** گر همه شیری،

فروفتی به چاه

کور هرگز کی تواند رفت راست؟ *** بی

عصاکش کور را رفتن خطاست

گر تو گوئی نیست پیری آشکار *** تو طلب کن

تا بیابی صد هزار

زانکه گر پیری نباشد در جهان *** نه زمین در

جای ماند نه مکان

گر نباشد در جهان قطب زمان *** کی تواند

گشت بی قطب آسمان^۱

^۱ يقول: «أن الطريق طويل و مليء بالمهالك أيها الصبي، فاتخذ لك دليلاً. ولو سرت في ظلمة ذلك الطريق دون دليل، فإنك لا محالة ستقع في الحفرة وإن كنت أسداً هصوراً. أي للأعمى أن يسير بدقة و استقامة؟ أن سير الأعمى دون أحد يمسك عصاه و يهديه هو الهلاك المبين و الاشتباه المهلك. فإن زعمت أن ليس هناك من شيخ و مرشد، فابحث و ستجد مائة ألف شيخ و مرشد.

و لو لا الدليل في هذا العالم لما كانت هناك أرض مدحية و لا مكان مقام. و لو لا وجود قطب للزمان في الكون و عالمنا هذا لما تمكنت السماء أو الأفلاك من التحرك و الدوران».

گر ترا درد است پیر آید پدید *** قفل در دست

را پدید آید کلید^۱

و كما أنّنا فوَضنا أمرنا إلى شيخ كهذا، فعلينا أن ندفن إرادتنا في إرادته، و نكون له كالميت في يدي الغسال، و أن نتوجه إلى الحقّ تعالى كما يأمرنا هذا الشيخ، و أن نعوّد أنفسنا صدق الأقوال و الأفعال، و الإعراض عن الأهواء و اللذات النفسانيّة، و أن نُزكّي النفس من رذائل الأخلاق، و نقائص الأعمال، و ترويض البدن على الطاعات و العبادات على حسب ما تأمرنا به السنّة المطهّرة لخاتم الرسل صلوات الله و سلامه عليه و على آله، و أن نتجنّب الإفراط و التفريط، و أن نوّليّ الوجه عمّا يشغلنا عن الحقّ تعالى، و أن نجعل شعارنا قلّة الكلام و المنام، و الانشغال بالذكر على الدوام، و الاقتصاد بالطعام، و أن لا نحيد قيد أنملة عن أمر الشيخ.

^۱ يقول: «إن طراً عليك الألم بسبب المرشد، فاعلم أن مفتاح قفل ألمك قد وُجد».

و بتهيئة هذه الأسباب، تضيء مرآة قلب السالك،
التي هي البلّورة المسحورة بنور القدس و الطهارة، و
تُصَفَّى من أدران الطبيعة.

و أنّه بقطع رابطته بهذا العالم السفليّ الحالك المظلم،
تحلّق روحه في العالم العلويّ، و تعرج فوق السماوات، و
فوق العرش، و ترتبط مع الملائكة و الروحانيّات، و
تتوهج الأنوار الإلهية في قلبه الطاهر، فيحظى برؤية السرّ،
سرّ لقاء الله، الذي هو غاية المقاصد، و نهاية المرام.

شعر:

چون تو دیدی پرتو آن آفتاب *** تو نهاندى باز

شد آبی به آب^۱

قطره بودی گم شدی در بحر راز *** می نیابی این

زمان آن قطره باز

^۱ يقول: «و ما إن رأيت ضوء الشمس حتى تزلزلت أركانك و اختلقت
أعضاؤك».

گر چه گم گشتن نه کار هر کسی است *** در فنا

گم گشتگان چون من بسی است^۱

ينبغي اللجوء إلى السلوك و سبيل العرفان ما دامت الفرصة موجودة

يقول الشيخ: اعلم حيث إنك الآن تقدر على الفعل،

اي اليوم و قد تهيأت لك أسباب السير و السلوك و العمر

الثمين، اعلم بأنّ الإنسان يمكنه أن يستحصل هذه

الكمالات، بل إنه مخلوق لهذه الغاية.

إذاً، هيىء هذه الأسباب التي يتوقّف عليها حصول

الكمالات، و تحرّك نحو الهدف الذي من أجله خلق

الكون، فعند ما يدبّ الوهن في البدن بعد القوّة، هذه القوّة

التي هي وسيلة نيل هذا المطلوب، فستقاعس عن

السلوك و التريّض، و تضيع منك هذه الفرصة، و عندها،

فانّ علمك بيسر تحصيل هذه الكمالات التي لم تكتسب

منها شيئاً لن يعود عليك إلّا بالحسرة و الندامة. شعر:

^۱ يقول: «كنت قطرة فُتّهت في بحر الأسرار، و لن تعثر على تلك القطرة في هذا

الزمان أبداً.

أن الضياع و الفناء و إن لم يكن ديدن كلّ أحد، لكنّ هناك في عالم الفناء الكثير

من أمثالي».

بود در اوّل همه بی حاصلی *** کودکی و بی دلی و

غافلی

باز در اوسط همه بیگانگی *** وز جوانی شعبه‌ی

دیوانگی^۱

باز در آخر که پیری بود کار *** تن خرف

درمانده و جان گشته زار

چون ز اوّل تا به آخر غافلست *** حاصل ما

لاجرم بی حاصلی است^۲

و يمكن لهذه المقولة «إذا كنت لا تقدر فما فائدة أن

تعلم» أن تحمل هذا المعنى، و هو أن الروح الإنسانيّة لمّا

تفارق البدن، فلا تعد هناك وسيلة لتحصيل الكمال، و

تتيقّن أن ما كان مطلوباً منها، لم يحصل، و راح يستغرق في

^۱ يقول: «في البدء كان العَبَثُ هو كلّ شيء: الطفولة و الطيش و الغفلة.

و في وسط الأمر كانت العُربة و الضياع، و كان الجنون الذي هو من صفات الشباب.

^۲ يقول: «و في النهاية، لما لاح الشيبُ و بدت الشيخوخة، صار البدن خَرِفاً و مخبولاً، فتألّمت الروح.

و لأنّ الغفلة و الإهمال كانتا الصفتين البارزتين من أوّل العُمُر إلى آخره، فإننا لم نحصد إلاّ العبث و الضياع».

التمنيّ: {فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}،^١ عندها لا تنفع هذه المعرفة، بل تزيد من ندمه، و هو عذاب مضاعف.

و بما أن منشأ هذه المشاهدات و المكاشفات التي مرّ ذكرها، هي القلب الإنسانيّ، يقول في هذا الشأن:

چه می گویم حدیث عالم دل *** ترا ای سر نشیب

و پای در گل^٢

ما الذي أقوله لك عن حديث عالم القلب، و هو العروج إلى العوالم اللطيفة، و مشاهدة الأنوار و التجليات الإلهية، و أنت تنزل إلى قعر الهاوية، من أعلى مراتب الكمالات القلبية و الروحية، إلى أسفل السافلين، و قد غاصت قدما السير و السلوك في وحل اللذات الجسمانية، و الشهوات

^١ الآية ١٢، من السورة ٣٢: السجدة.

^٢ يقول «فأين أنت و حديث القلب يا مسكين، يا مَنْ شمخت برأسك لكنّ رجلك في الطين».

النفسانيّة، و أضحي الهارب مطلوباً، و المطلوب
هارباً، و تحمّل النفس عناء الركض وراء الهال و الجاه، و
تبقى محروماً عن إدراك الكمالات المعنويّة، التي هي اللذة
الحقيقيّة الباقية. شعر:

اهل دل شويا كه بنده اهل دل *** ورنه همچون

خر فروماني به گل

هر که را دل نيست او بي بهره است *** در جهان

از بينوائى شهره است

رو به اسفل دارد او چون گاو و خر *** نيستش

کاری به جز از خواب و خور

حقّ همی گوید که ایشان في المثل *** همچو

گاوند و چو خر بل هم أضلّ^۱

^۱ يقول: «كُنْ من أصحاب القلوب العاشقة أو كن عبداً لهم، وإلا فإنك ستبقى
كالحمار المتوغّل في الوحل.

إن من لا يتعامل بالحبّ و العشق فلا خلاق له (من الحياة) و سيكون أشهر من
نار على عَلم في البؤس و الشقاء.

إن شخصاً كهذا ينكس رأسه دوماً إلى الأسفل كالبقرة و الحمير، و لا عمل يُلهيه
أو شغل يشغله إلا النوم و الأكل.

فالحقّ تعالى قد شبّه أمثال هؤلاء قائلاً: اولئك كالأنعام بل هم أضلّ.

و لأنّ الهدف من إيجاد العالم، هو المعرفة، و لا يقدر على تحصيل المعرفة الحقيقيّة إلاّ الإنسان الكامل، فإنّ العالم مخلوق للإنسان. و لهذا قال الشاعر:

جهان آن تو و تو مانده عاجز * ز تو محروم تر**

كس دید هرگز؟^١

فالعالم هو لك، و من أجلك وجد، و الوجود كلّهُ أداة طيِّعة في يدك، و أنت بدورك خلقت من أجل المعرفة، ففي الحديث القدسيّ **يَا بَنَ آدَمَ! خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لِأَجْلِكَ وَ خَلَقْتُكَ لِأَجْلِي^٢**. أمّا أنت فغارق في ملذّات

^١ يقول: «لك الدنيا و أنت فيها عاجز

فهل رأى الدهر مثلك خسرانا؟»

^٢ «الجواهر السنيّة في الأحاديث القدسيّة» للشيخ الحرّ العامليّ، ص ٣٦١، طبعة النجف الأشرف: قال [أي الحافظ رجب البرسيّ]:

و جاء في الأحاديث القدسيّات: أن الله يقول: عَبْدِي! خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ وَ خَلَقْتُكَ لِأَجْلِي؛ وَ هَبْتُكَ الدُّنْيَا بِالْإِحْسَانِ وَ الْآخِرَةَ بِالْإِيمَانِ.

و جاء في تفسير «حدائق الحقائق» تأليف معين الدين الفراهيّ الهرويّ المشهور بالمولى مسكين، ص ٣٧٨ و ٣٧٩، الطبعة الثالثة، ما يلي:

«لطيفة جليّة: لَمَّا غَلَّقْتُ زُلَيْخَا الْأَبْوَابِ، لَاحَظَ يُوسُفُ أَنَّهَا قَدْ زَيَّنَتْ نَفْسَهَا وَ تَبَرَّجَتْ عَلَى أَفْضَلِ مَا يَكُونُ. فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ثُمَّ دَارَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْحَائِطِ فَرَأَى

الطبيعة، مشغول عن تحصيل المعرفة التي من أجلها
خُلقت، مُتَّبِع هوى النفس الأمّارة بالسوء، أ فلا تستطيع
أن تترك اللذات الفانية أيّاماً قلائل و تغنم الكمالات

صورتها و صورة زليخا مُنعكسة على ذلك الحائط. فرغ رأسه و دار ببصره نحو
السقف. فرأى صورتها منقوشة على السقف كذلك. فنكس رأسه إلى الأرض
فلاحت له الصورة نفسها على الأرض! فتحيّر في الأمر. فكذلك، أيها
الدرويش! فإنّ مجموع أطباق السماوات و الأرضين من سقف فلك الأطلس إلى
سطح الأرض المسدّسة الشكل مبنية على محبة جلاله الأقدس جلّ و علا. و
كان غرض زليخا من تصميم البناء على تلك الشاكلة و تصوير القصر على تلك
الهيئة، أن لا يرى يوسف عند دخوله عليها إلّا صورتها مُنعكسة في أطراف
القصر و جوانبه، و لا يشاهد إلّا جمالها هي و حدها فتدخل سلسلة العشق و
المحبة في دائرة و حلقة مسدودة. و كذا الهدف من خلق كلّ تلك الأجرام
العلوية و الأجسام السفلية، و هو توجه هذه الحفنة من التراب إلى جناب
الأقدس تعالى؛ **يَا بَنَ آدَمَ! خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا لَكَ وَ خَلَقْتُكَ لِأَجْلِي.** و مهما
أخفوا وجوده بالخلل و الخلع فإنّهم جميعاً شربوا من كأس شهوده و أصبحوا
مرآة جمال مظهر ذاته و صفاته، حتى لا يجد العارف غير حُسن محبوبه و جماله،
أيّ نظر و إلى أيّ جانب أبصر؛ كما يقول الفقير إليك:

گر گشائی دیدی دل، حسن او بینی همه * و ر بیندی دیدهی بدین، نکو**

بینی همه

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

الأزليّة من فيض المعرفة الإلهيّة، و تنجو بنفسك من
الحرمان الأبديّ؟

فبسبب دناءة الهمة، و عدم الانقياد، جعلت من
نفسك الأكثر شقاءً، و الأتعمس حظاً من بين كلّ
الموجودات. أن بقيّة المخلوقات، لا يسمون لأعلى ممّا
خلقوا لأجله، فهم لا يرون كما لا غير الذي هم فيه، و
بسبب عدم الأهلّيّة، فليس عليهم بلوغ الكمال كما هو
مطلوب من الإنسان، أمّا أنت، فتعرف كلّ هذا، و لأجل
هذا كانت خلقتك، فلا تكن عبداً للذات البهيميّة، و
الشهوات النفسانيّة، و تتخلف عن مقصود العالمين.

شعر:

این چه نادانی است یک دم با خود آیی *** سود

می خواهی از این سودا بر آیی^۱

^۱ يقول:

«ما هذا الجهل اصحّ و تدبّر *** أ تُريد منفعة؟ خذ من ذا و أدبر»

گنج عالم داری و کدّ می کنی *** خود که کرد

آنچه تو با خود می کنی؟

پادشاهی، از چه می گردی گدا؟ *** گنجها

داری، چرائی بینوا؟^۱

و لأنه لا راحة من اللذات الشهوانية، و الأطماع

النفسانية، يقول:

چو محبوسان به يك منزل نشسته *** بدست

عجز، پای خویش بسته^۲

فهو كالسجين المكبل الرجلين، جالس، لا يقوى على

الخروج، و قد حُصر في منزل التقليد و الطبيعة و الأهواء

النفسانية لا يتجاوزها، و قد قيّد بيد العجز قَدَمي السير و

السلوك عنده، و لا مهرب له للخلاص من هذه القيود،

من شدّة الكآبة، و بسبب برودة التقليد و هوى النفس التي

^۱ يقول:

«تملك الدنيا و تُجهد نفسك *** من ذا قد فعل الذي عليه تصرّ

أنت سلطان، لما ذا تكتدى؟ *** تملك الكنز، علام تسهر؟»

^۲ يقول: «كما المسجون الذي جلس في منزل من المنازل و قد قيّد بالعجز

قدميه».

ترکت أثرها فيه، و أصبح كالميت، لا يملك حرارة
الشوق و لا ذوق العشق. شعر:

زنده شو این مردگی از خود ببر *** گرم شو

افسردگی از خود ببر

آتشی از عشق او در دل فروز *** خرمن تقلید را

یکسر بسوز^۱

طریق معرفة الله یتمثل فی تخطی عبادة النفس

و لأنّ برودة الطبع و الهوى غالبه علی أمزجة النساء،

فهو يقول:

^۱ يقول: «إحیی و أزل عنك هذا الیاس و التهالك، و انشط و تفاعل، و اهجر
الکابة و الهَمّ.

اشعل فی قلبك شعلة من نیران حبه، و احرق أكداس و رُكام التقلید برمتها».

نشستی چون زنان در کویِ اِدبار *** نمی‌داری ز

جهل خویشتن عار^۱

فكنت كالنساء، أدت ظهرك للمعرفة، و اتجهت
لمقتضيات الطبيعة و هوي النفس، و سلكت سبيل
الشقاء و الإدبار، و اغتررت بمباهج الدنيا و ظاهرها
البراق، و لم ترفع قَدَمًا في طريق نيل الكمال المعنوي، و لم
تخجل من جهلك. شعر:

تا به کی همچون زنان این راه و رسم و رنگ و بو؟

*** راه مردان گیر و با صاحب‌دلان دمساز شو

چون زغن تا چند باشی بسته‌ی مردار تن *** در

هوای سیر جان یک لحظه در پرواز شو^۲

و حيث أن حصول الكمالات، مقرون بمخالفة

النفس و هواها، يقول:

^۱ يقول: «جلست - كفعل النساء - في درب الإدبار، و ما أدراك أن في ذلك عار».

^۲ يقول:

«حَتَّامَ كالنسوة تبغي السُّبلا *** خُذ سبيلًا للرجال الكُمَّلا

كالحدأة لا تبرح المُستَنقعا *** طِرْ لحظة و اطلب لنفسك النفعاً»

دلیران جهان آغشته در خون *** تو سر پوشیده

نهی پای بیرون^۱

أي أن طالبي قرب المولي عزّ و جلّ، و هم سالكو
الدرب بما يملكون من شجاعة خارقة، في صراع دائم مع
النفس الأمّارة بالسوء، حيث يقول الحديث الشريف:
أَعَدَى عَدُوّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ^۲،

التي هي عدوّة الدين، فهم لا يكفّون عن محاربتها
باستمرار، يقول الحديث القدسيّ: **أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى**
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ أَرَدْتَ رِضَائِي فَخَالَفْ نَفْسَكَ؛ إِنِّي
لَمْ أَخْلُقْ خَلْقًا يُنَازِعُنِي غَيْرَهَا، هُوَ لَاءَ هُمْ رَاسِخُوا الْأَقْدَامَ،
انبروا إلى مخالفتها و مجادلتها، و لم يركنوا إلى مكرها لحظة
واحدة، فقلوبهم كلمى من غضبها و قهرها، أمّا أنت، فقد

^۱ يقول: «فالأشواوس في العالم مخصّبون بدمائهم، في حين أنّك متخفّ لا تجرؤ
على الخطو خارج منزلك».

^۲ نَقَلَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي «بِحَارِ الْأَنْوَارِ» ج ١٥، ص ٤٠، فِي الْجُزْءِ الثَّانِي الْمَتَعَلِّقِ
بِالْأَخْلَاقِ، طَبْعَةُ الْكَمْبَانِيّ، نَقْلًا عَنِ «عُدَّةِ الدَّاعِي». وَ أَوْرَدَهَا كَذَلِكَ الْمَرْحُومُ
آيَةَ اللَّهِ بِحَرِّ الْعُلُومِ فِي الرِّسَالَةِ الْمُنَسُوبَةِ إِلَيْهِ، ص ٩٤. وَ ذَكَرْتُهَا أَنَا الْحَقِيرُ فِي
رِسَالَةِ «لَبِّ اللَّبَابِ» وَ هِيَ مَجْمُوعَةٌ دُرُوسٍ وَ تَقْرِيرَاتٍ لِالِاسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ، ص
٧٣. وَ جَاءَ ذِكْرُهُ أَيْضًا فِي «حَدَائِقِ الْحَقَائِقِ» ص ٧١١.

وضعت حجاب التقليد على وجهك، و أقمت في دار
الطبع و الهوى كالحريم، و لم تتقدّم في طريق الطلب، و لم
تنج بنفسك من مستنقع الطبيعة هذا. شعر:

نفس دون رازير دستی تا به کی؟ * شو**

مسلمان، بت پرستی تا به کی؟

همچو یوسف خوش بر آ از قعر چاه * تا شوی**

در مصر عزت پادشاه^۱

مقولة «عليكم بدين العجائز» تعني الأمر بالالتقياد المحض لا النهي

و لأنّ التقليد في طريق معرفة الله، الذي هو أساس

جميع العقائد الدينيّة، غير مستحسن، فهو يقول:

چه کردی فهم از این دین العجائز * که بر خود**

جهل می داری تو جایز؟^۲

^۱ يقول: «إلى متى ترزح نفسك في الحضيض؟ كُن مسلماً، فحتّامَ عبادتك
الأصنام؟

كُن كيوسف؛ أخرج بنفسك من غيابة الجبّ، حتى تصبح العزيز في مصر».

^۲ يقول:

«ما الذي استوعبت من دين العجائز *** فقبلت الجهل حكماً ما بجائز؟»

و يشير إلى الحديث الشريف: **وَ عَلَيكُمْ بِدِينِ**

العَجَائِزِ،^١ اي ما ذا

^١ قال صاحب ديوان «أحاديث مثنوي» ص ٢٢٥ و ٢٢٦ برقم ٧٤٢، الطبعة الثانية:

هم در اول عجز خود را او بدید * مرده شد دين عجائز برگزید**

يقول: «لقد رأي عجزه في البداية فمات و سار على دين العجائز». و هو إشارة إلى الحديث المذكور: عليكم بدين العجائز. («إحياء العلوم» ج ٣، ص ٥٧؛ و اعتبره مؤلف «اللؤلؤ المرصوع» ص ٥١ موضوعاً مستقلاً. راجع «اتحاف السادة المتقين» ج ٧، ص ٣٧٦، ففيه بحث مفيد حول هذا الحديث و شواهد على صحته).

و ذكر آية الله الحاج الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله في كتاب «الفردوس الأعلى» ص ٢٢٤، الطبعة الثالثة، ما يلي: و لعل هذا المراد من الكلمة المأثورة: «عليكم بدين العجائز». و قال آية الله السيد محمد علي القاضي الشهيد رحمه الله معلقاً على ذلك بقوله:

«مُرَاد شيخنا الإمام دام ظلّه من كون تلك الكلمة مأثورة، هو كونها مأثورة عن بعض السلف، لا أنّها مأثورة بهذه العبارة عن أحد المعصومين عليهم السلام؛ لأنّها ليست من المأثورات عن النبيّ أو أهل بيته عليهم الصلاة و السلام، و لم يروها أحد من المحدثين بطرق أصحابنا الإمامية أو بطرق أهل السنة في الجوامع الحديثية عنهم صلوات الله عليهم كما حققنا ذلك تفصيلاً في بعض مجاميعنا.

و قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي في كتابه: «تذكرة الموضوعات» ص ٤٠، ط ٢، مصر، سنة ١٣٥٤ هـ: عليكم بدين العجائز. ليس له أصل من رواية صحيحة و لا سقيمة إلا لمحمد بن عبد الرحمن البيهقي بغير هذه العبارة له نسخة، كان يُتهم».

استنبطت من هذا الحديث حتى تبيح لنفسك الجهل،
و لا تسعى و تجتهد و تكدح في طريق المعرفة الإلهية؟ إلا
اللهم، إذا اعتقدت بأنّ التفكير في معرفة الله ممنوعة، و أن
هدف النبي الأكرم صلى الله عليه و آله من هذا الحديث
هو كما أن لا قدرة للعجائز على التفكير و الاستدلال،
فكونوا أنتم أيضاً كذلك. اي أن لا تسعوا في طلب

و ذهب جماعة من العلماء كالشيخ البهائي و تلميذه الفاضل الجواد و الفاضل
المازندراني إلى أن تلك الكلمة من كلام سفيان الثوري من متصوفة العامة.
و قال القوشجي في «شرح التجريد»: أن عمرو بن عبيدة لما أثبت منزلة بين
الكفر و الإيمان، فقالت عجوزة: قال الله تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ**
كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}، فلم يجعل الله من عباده إلا الكافر و المؤمن؛ فقال
سفيان: عليكم بدين العجائز!. و قال المحقق القمي قدس سره صاحب
«القوانين»: المذكور في الألسنة و المستفاد من كلام المحقق البهائي قدس سره
في حاشية «الزبدة» أن هذا هو حكاية دولابها و كف اليد عن تحريكها لإظهار
اعتقادها بوجود الصانع المحرك للأفلاك، المدبر للعالم.

و حكى سيّد الحكماء السيد الداماد قدس سره في «الرواشح السماوية» ص
٢٠٢، ط طهران، عن بعض العلماء أن عليكم بدين العجائز من الموضوعات.
و عن كتاب «البدر المنير»: أنه لا أصل له بهذا اللفظ.

و لكن روى الديلمي مرفوعاً: **إذا كان في آخر الزمان و اختلفت الأهواء،**
فَعَلَيْكُمْ بِدِينِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَ النَّسَاءِ! قِفُوا عَلَى ظَوَاهِرِ الشَّرِيعَةِ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّعَمُّقَ
إِلَى الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ! أَي فَاِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَفْهَمُهَا - انتهى.

المعرفة اليقينيّة، و اكتفوا بمجرد التقليد، و بهذا
الاستنباط العقيم، قد سرى الخذلان و الجهل إلى نفسك،
و لم تسع في طريق الطلب؟

و اعلم، أن حقيقة مضمون هذا الحديث الشريف، هو
أنّه يجب علينا و في جميع الأحكام الشرعيّة، بدءاً من
الأوامر، حتى النواهي التي تشكّل هيكل الدين، أن نتقيّد
بتنفيذها، كما تفعل العجائز، و أن لا نشرك العقل أو هوى
النفس فيها. و أن لا نفسّر الامور على خلاف ظاهرها، إلّا
إذا دعت الضرورة إلى ذلك، لأنّ تأويل الأحكام الشرعيّة
ليس مرجعها العقل وحده، و ليس معنى ذلك ترك التفكير
في معرفة الله، و الكفّ عن الطلب، و القبوع في بيت
التقليد المحض مثلما تفعل العجائز. شعر:

آن دلی کو هست خالی از طلب *** دائماً بادا پر از

رنج و تعب

آن سری کو را هوای دوست نیست *** زو مجو

مغزی که او جز پوست نیست

جان که جویایت نباشد کو به کو *** مرده بی

جان بود جانس مگو

جان ندارد هر که جویای تو نیست *** دل ندارد

هر که شیدای تو نیست^۱

فالمراد من الحدیث، هو لیس الاقتصار علی التقليد،

و یقول هنا:

^۱ یقول: «أن القلب الفارغ من الطلب و البحث مليء دائماً بالمتاعب و اللغوب. و لا تبحث عن المخ في الرأس الذي لا يشغله هوى الصديق و الرفيق، فليس ذلك الرأس سوى قشراً و حسب.

إن النفس التي لا تقطع الجبال و الوديان بحثاً عنك، ليست نفساً بل مجرد جسد بلا روح.

إن من لا يبحث عنك و لا يطلبك لا يملك روحاً على الإطلاق، و لا قلب لمن لا يتيم بك».

زنان چون ناقصات عقل و دینند *** چرا مردان

ره ایشان گزینند؟^۱

ففي الحديث الشريف للرسول الأكرم صلى الله عليه

و آله: هُنَّ نَاقِصَاتُ الْعَقْلِ وَالِدِّينِ.

كما أن المقصود بـ **عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ**، ليس أن

تكونوا في الدين

^۱ يقول: «أن النساء ناقصات العقل و الدين، فَلِمَ يَخْتَارُ الرِّجَالُ طَرِيقَهُنَّ وَ

نَهَجَهُنَّ؟».

تابعی العجائز، بسبب أنّهن ناقصات دین، کما أخبر
 الرسول صلی الله علیه و آله عنهنّ، فلهذا یكون المراد
 منه، الانقیاد للأوامر، و ترک النواهی، و عدم التّأویل علی
 حسب الأهواء النفسانیّة، تماماً کما تفعل العجائز.
 و کلّ ما لا یدرکه عقلک، دع حقيقة تأویله، و اعترف
 بقصورک، فإنّ کمال النبوة أعلى من أن یبلغ أيّ فرد حقائق
 أحكامها الشاخحة. شعر:

چشم تو ادراک غیب آموخته *** چشمهای

دیگران بر دوخته

آن یکی ماهی همی بیند عیان *** و آن یکی

تاریک می بیند جهان

سالمها گر ظنّ دود با پای خویش *** نگذرد ز

اشکاف بینی های خویش^۱

^۱ یقول: «اغشیت عین الرجال و أنت وحدک من بینهم باصرٌ و حَسیف.
 فعینٌ تری البدر کلّ حین، و أخرى لا تری العالم إلا ظلاماً و عتمة.
 و لو سعی الظنُّ سنین راکضاً علی قدمیه، لم یبصر أبعد من أنفه».

ما دام السالك لم يتخط كل شيء، فإنه لن يصل إلى مراده

كما ذكر آنفاً، فإن النساء ناقصات دين، و من غير المناسب، تقليد الرجال لطريقتهن، و لا أن يضربوا حولهم حجاب التقليد، و هو الآن يقول:

اگر مردی برون آی و نظر کن *** هر آنچه آید به

پشت زان گذر کن^۱

أي إذا كنت رجلاً، فاعلم أن التواري وراء جدار التقليد و الطبع هو من صفات النساء و طباعهنّ، و ليس من طباعك، فتهيأ للسفر إلى عالم

^۱ يقول: «إن كنت رجلاً فاخرج و انظر، و تجاوز كل ما يعترضك».

المعنى و القرب من المولى جلّ و علا، و أخرج
نفسك من حالة التقليد و الطبع و هوى النفس التي تولد
السكون و الياس، و تقدّم في طريق طلب منازل الدنيا و
العقبى، و اطلب من الحقّ تعالى أن يشغلك، و تخلّ عن كلّ
شيء، و لا تتوقّف عند مرتبة أو منزلة من المنازل، حيث
يقول متجرّد و النهج، و عشاق الحقيقة: أن همّة السالك،
في طريق الطلب، من العلوّ بحيث إذا عرضت عليه كلّ
المقامات و المراتب، نظر إليها بازدراء، و وجهه جلّ
اهتمامه إلى المطلوب الحقيقيّ. شعر:

زانکه گر جائی نظر خواهی فکند *** در کنار

خویش سر خواهی فکند

چیست زو بهتر، بگو ای هیچ کس *** تا بر او

دلشاد باشی يك نفس؟

من نه شاهی خواهم و نه خسروی *** آنچه

می خواهم من از تو هم توئی

مرگ جان بادا دل درویش را *** گر گزیند بر تو

هرگز خویش را^۱

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ}.^۲

لأن الانشغال بالأسباب، و الالتفات لغير المطلوب،

يورث البعد و الحرمان، يقول هنا:

مياسا يك زمان اندر مراحل

مشو موقوف همراه رواحل^۳ فالشوق و العشق

للسالك الطالب و الصادق، يجب أن يكون من السمو

بحيث لا يتوقف العبد عند آية منزلة من المنازل في مسيره

^۱ يقول: «إِذَا التَّفَتَّ أَوْ نَظَرَتْ هُنَا وَ هُنَاكَ (و أنت في طريقك نحو الحق)، فَإِنَّكَ ستظلّ مكانك و تركد في محلّك دون حراك.

مَنْ ذَا أَفْضَلٍ وَ أَعْلَى مِنْهُ حَتَّى تَسرَّ قَلْبَكَ بِهِ وَ تَبْحَثَ عَنْهُ بِاسْتِمْرَارٍ؟ قَلِّ! بِالتَّأَكِيدِ لا يوجد أحد (أفضل و أعلى منه).

أنا لا أطلب أن أكون ملكاً أو سلطاناً، أبداً، أن ما اریده منك هو أنت نفسك. إن الدرويش (و السالك إلى الله) يتمنى موت نفسه على أن يفضّلها عليك أو يرحّبها في مقابلك».

^۲ صدر الآية ٤٨، من السورة ٤: النساء.

^۳ يقول: «لا تقفّن في منزل دونه منازل، و لا تكن موقوفاً في صفّ الرواحل».

الذي يقطعه إلى الحقّ تعالى، و أن لا يريح النفس عند آية
منزلة من هذه المنازل، و لا يتوقّف مع من توقّف من
القوافل، إلا مع مربّيه، وهو الشيخ الكامل، الذي لا يتيسّر
بدونه سلوك الطريق، و أن يهيم و يحنّ للقاء المحبوب،
فلا قرار له و لا راحة، و لا في قافلة يرغب و لا رفيق، و
لا عن وداع يبحث و لا دليل. شعر:

پا برهنه می روم در خار و سنگ *** زانکه من

حیرانم و بی خویش و دنگ

تو مبین این گامها را بر زمین *** زانکه بر دل

می رود عاشق یقین

یک دم هجران بر عاشق چو سال *** وصلِ سالی

متّصل، پیشش خیال^۱

و كطالب الحقّ الذي يمضي على خطى النبيّ، يقول:

^۱ يقول: «أسير فوق الحصى و الأشواك، أنا حیران بدونك تائه دون مُعين.

أنت المبین لخطونا فوق التراب، كلّ من يعشق و جهك و اثنق غير ظنين.

كلّ لحظة هجر تعدل لدى العاشق سنيماً، و وصال لعام عنده كالخيال».

خلیل آسا برو حقّ را طلب کن *** شبی را روز و

روزی را به شب کن^۱

فکن کابراهیم الخلیل علیه السلام، الذي حرّ نفسه
من {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا}،^۲ و في سبيل طلب الحقّ و ذكره
صل الليل بالنهار، و النهار بالليل. اي لا تغفل، و لا ترقد
جفونك عن طلب الحقّ لحظة واحدة. شعر:

مرد باید کز طلب وز انتظار *** هر زمان صد

جان کند بر وی نثار

نی زمانی از طلب ساکن شود *** نی دمی

آسودنش ممکن شود

گر فرواستد زمانی از طلب *** مرتدی باشد در

این ره بی ادب

فإنّ حجاب النور كحجاب الظلمة، مانع من

الوصول، فيقول:

^۱ يقول: «كن كالخليل و ابتغ الحقّ، و صلّ في بحثك الليل بالنهار».

^۲ مقطع من الآية ۲۳، من السورة ۴۳: الزخرف.

ستاره بامه و خورشيد اكبر *** بود حس و خيال

و عقل انور¹

لأنّ الترغيب و التشويق، جعل الطالب السالك صادقاً، يقول، يجب أن نخطو خطوات أكبر من التقليد، و نمضي إلى مصاحبة الأنبياء عليهم السلام، في سلوك الطريق إلى الله، لينال كلُّ حظّه - و حسب استعداده الفطريّ - من مكاشفات الأنبياء، و ذلك بحسن المصاحبة.

و بفضل العناية الإلهية التي تحيط بالأنبياء عليهم السلام، و الأنفاس

¹ يقول: «على المرء أن يُضحّي نفسه مائة مرّة من أجل الوصول إلى طلبه و نيل مراده.

و عليه أن لا يستكنّ لحظة واحدة عن الطلب و لا يستقرّ عن الهدف. و إن توقّف لحظة عن ذلك صار أشبه ما يكون بالمرّتدّ و قليل الأدب».

القدسيّة التي يحوون، فقد جعل ظاهرهم عين
باطنهم، ففي حين يبذل الأولياء أقصى سعيهم و
اجتهادهم، ليروا فيض الولاية بعين البصيرة، يرى الأنبياء
هذا الفيض جلياً و بامّ أعينهم، و بيان حالاتهم و
مكاشفتهم هو فوق فهمنا و إدراكنا. و في بيان مقامات و
مكاشفات و تجليات السالكين و المكاشفين، و هم أولياء
الله، في متابعتهم الأنبياء عليهم السلام، التي تحصل عن
طريق الرياضة و السلوك، فإنّه يورد مقدمة، لتيسير فهم
المعاني التي يشير إليها الشيخ في هذه الأبيات حول طريقة
كلّ نبيّ، و يقول:

شرائط و آداب سلوك الطريق إلى الله تعالى

اعلم، أن الولاية الخاصّة هي كمال القرب إلى الحقّ
تعالى، لدرجة أن تمّحي الثنائيّة بينهما، و يذوب الوليّ في
الحقّ تعالى بعد فناء الـ«أنا» فيه، و هذا لا يتمّ بغير التصفية،
و ذلك عن طريق ترويض النفس على المجاهدات، و
التجرّد من العلائق و الكدورات البشريّة و العوائق
الجسمانيّة، و التوجّه نحو الحقّ تعالى، و التزام الخلوة، و

المواظبة على الذكر و الطاعة و العزيمة و الانقطاع و
التبتّل عن الخلق.

و الأنبياء عليهم السلام بحكم قدسيّتهم و نزاهتهم،
و فائق العناية الإلهية التي تحيط بهم، فإنهم في مسألة
الإرشاد، لا يحتاجون أحداً غير الحقّ تعالى، إن استثنينا
توسّط الملائكة في بعض الأحيان. و أمّا اتّفاق أصحاب
الطريقة، فهو أن باقي أصناف الأولياء، عدا المجذوبين
منهم لا يمكنهم الوصول للهدف الحقيقيّ، و هو مقام
الولاية، بدون إرشاد صاحب الكمال الذي يتولّى
إرشادهم. شعر:

پیر، ما لا بدّ به راه آمد ترا *** در همه کاری پناه

آمد ترا^۱

ای خنک آن مرده کز خود رسته شد *** در

وجود زنده‌ای پیوسته شد

^۱ يقول: «أيها الشيخ! لقد جاءك ما لا بدّ منه و لا مفرّ، و هو ملائكتك في كلّ أعمالك».

هر که شد در ظلّ صاحب دولتی *** نبودش در

راه، هرگز حاجتی^۱

الإنسان هو عصارّة جميع المراتب، فإذا عمل بطريقة
التصفية كما ينبغي و نور قلبه - الذي هو بالحقيقة البرزخ
الجامع للوجوب و الإمكان - بالذكر و التوجّه الكليّ
للمبدأ، و رفع الموانع عن الطريق إلى نور القدس، فإنّه
سيحصل على الصفاء التام، و ينعكس كلّ موجود فيه، و
تنكشف صور كلّ الأشياء، من مادّيّات و مجرّدات، في
قلبه، و بهذا الصفاء و الانسجام الذي ابتدع مع عالم
المعاني، تتجسّم المجرّدات له، و هي التي ليس لها صور
حسيّة في العالم الجسمانيّ، و تتشكّل بأشكال محسوسة، على
حسب النسبة الموجودة بينها و بين تلك الصورة، فعلى
سبيل المثال، كان جبرئيل عليه السلام يظهر بصورة
دحيّة، و غير ذلك من الصور، للرسول الأمين صلى الله

^۱ يقول: «فيا أيها السعيد! أن ذلك الميّت الذي تحرّر من (قيود) نفسه، قد التحقّ
بالوجود الحيّ.

فمّن استظّل بظلّ صاحب الحكومة و السلطان لم يخبّج إلى شيء خلال سيره في
ذلك الطريق».

عليه وآله وسلّم وحتى الباري جلّ و علا، أحياناً، يظهر
له في عالم المثال، متلبساً بلباس المظاهر الحسيّة، وهو ما
يطلق عليه اصطلاحاً، التأنيس، وهو عبارة عن تجلّي الحقّ
تعالى على صورة المظاهر الحسيّة، لغرض تأنيس المرید
المؤيّد، بالتزكية و التصفية، وهو بداية تجلّيات القلوب.

و الآن اعلم، أن التجليّ، و هو ظهور الحقّ تعالى في بصيرة قلب السالك الطاهر، بشكل عامّ على أربعة أنواع و هي: الآثاريّ، الأفعاليّ، الصفاتيّ، و الذاتيّ.

التجليّ الآثاريّ: و هو أن يرى الحقّ تعالى على صورة الجسمانيّات، الذي هو عالم الشهادة، من البسائط العلويّة و السفليّة، و المركّبات، على أيّة صورة كانت، و حين الرؤية، يتيقّن بأنّه الحقّ، و التجليّ الآثاريّ، و التجليّ الآثاريّ الصوريّ (أي المشاهدة على صورة إنسان)، هما أتمّ و أعلى من باقي التجليات.

التجليّ الأفعاليّ: هو أن يتجلى الحقّ تعالى على صفة من الصفات الفعلية، و هي الصفات الربوبية. و تجليات الأفعال، غالباً ما تتمثّل بالأنوار المتلوّنة، اي أن الحقّ تعالى يُرى على هيئة نورٍ أخضر، أو أزرق، أو أحمر، أو أصفر، أو أبيض.

التجليّ الصفاتيّ: و هو تجليّ الحقّ تعالى على هيئة الصفات السبع الذاتية و هي الحياة و العلم و القدرة و

الإرادة و السمع و البصر و الكلام، و أحياناً، في هذا النوع، يكون التجليّ على هيئة نور أسود، اي يتمثل الحقّ تعالى بصورة نور أسود.

التجليّ الذاتيّ: و ذلك بأن يفنى السالك فناءً مطلقاً، و لا يعد للعلم أو الشعور أو الإدراك وجود قطعاً. و التجليات المذكورة تتفاوت بحسب صفاء و أوقات المتجليّ عليه.

فإذا رأى الحقّ تعالى مظهراً له، فهو التجليّ الكامل، و أمّا إذا أصبح هو انعكاساً للحقّ تعالى، اي يرى الحقّ في نفسه، فهذا أتمّ و أكمل، لأنّ التحقيق يثبت هذا. و في جميع مراتب التجليات المذكورة للحقّ تعالى، فإنّ رؤية الحقّ جلّ و علا أو تجسّد الحقّ فيه، هو طريق التصفية الحقيقيّ.

و سماع موسى عليه السلام لنداء {إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ}،^١ و كذلك الحديثان الشريفان **رَأَيْتُ رَبِّي فِي**

أَحْسَنِ صُورَةٍ،^٢ و **مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ**^٣ شواهد قاطعة

على جواز حدوث التجليات.

بقاء السالك بقاء الحق، بعد فناءه في التجلي الذاتي

و حالة البقاء بالله تكون على حسب الكاملين

الواصلين، و ذلك بعد فناء السالك في التجلي الذاتي، يخلد

ببقاء الحق و خلوده، حيث يرى نفسه مطلقاً، بلا تعيّن

جسمانيّ أو روحانيّ، و قد أحاط علمه بكلّ ذرّة من

الكائنات، و اتّصف بكلّ الصفات الإلهيّة، و إنّهُ القائم

المدبّر لهذا العالم، و لا يرى شيئاً غير نفسه، و هذا هو

المقصود من كمال التوحيد العيانيّ.

^١ ذيل الآية ٣٠، من السورة ٢٨: القصص.

^٢ و ورد في هامش «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيليّ، ج ٢، ص ٦١، ط

١٣١٦، المطبعة الأزهرية المصرية، على «المضنون به على غير أهله» تصنيف

الغزاليّ أنّه: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ**

صُورَةٍ.

^٣ قد مرّ ذكر مصدر هذا الحديث في هذا الكتاب.

آن که سُبْحانی همی گفت آن زمان *** این معانی

گشته بود او را عیان

هم ازین رو گفت آن بحر صفا *** نیست اندر

جُبّه ام الاّ خدا

آن انا الحقّ گفت این معنی نمود *** گر به

صورت پیش تو دعوی نمود^۱

لیسَ فی الدّارین آن کو گفته است *** دُرّ این

معنی چه نیکو سفته است

چون نماند از توئی با تو اثر *** بی گمان یابی از

این معنی خبر^۲

^۱ یقول: «أن الذي قال كلمة «سُبْحاني» في ما قبل، إنّما كانت هذه المعاني قد تجلّت له في الحقيقة بالكامل.

و كذا قوله «ليس في جُبّتي إلاّ الله سبحانه».

و هو الذي أشار إلى هذا المعنى بقوله: أنا الحقّ، و إن بدا لك في الظاهر غير ذلك».

^۲ یقول: «و ما أروعَ ما نظّم دُرّر هذا المعنى، ذاك الذي قال «ليس في الدارين...».

فإذا لم يبقَ للـ (أنا) فيكَ أيّ أثر أو بقيّة، فإنّكَ لا جَرَمَ ستحصل على هذا المعنى و ستصل إليه».

و ما كتبه سلطانا العالم، و الواصلان الموقنان، الشيخ
أبو محمد روزبهان، و الشيخ شمس الدين محمد الديلمي
قدّس سرّهما عن الوقائع التي عاشها حكايات عن هذه
المراتب التي مرّ ذكرها.

و كذلك في مراحل التصفية، يعرج السالكون معراجاً
روحانياً بالبدن المثاليّ أو بدونه، حيث يرى السالك في
كلّ سماء و على حسب الحالة، أرواح الأنبياء و الأولياء و
الملائكة، و يخلّق في السماء، إلى العرش و إلى ما

سبق أن ذكرنا في هذا الكتاب أن بايزيد البسطاميّ هو قائل عبارة سُبْحاني ما
أعظمَ شأنِي. و هنا نكرّر أنّ: الشيخ نجم الدين الرازيّ قال في كتاب «العشق و
العقل» ص ٨٩: «و إذا خرج الجسم من بيضة الوجود، صرخ قائلاً: سُبْحاني ما
أعظمَ شأنِي؛ بينما لا تزال قدّمه داخل البيضة».

و قال مصحّح الكتاب في تعليقه ص ١١٣: «هذه العبارة قالها بايزيد البسطاميّ
(«كشف المحجوب» ص ٣٢٧، طبعة جوكوفسكي، لينينغراد، سنة ١٩٢٦ م).
و قد مازج العراقيّ في «اللمعات» بين عبارة بايزيد البسطاميّ و كلامه هو قائلاً:
«فتارةً يلبس العاشقُ حُلّة البهاء و الكمال و يُزيّنُ بأنواع زينة الحُسن و الجمال،
حتى إذا نظر إلى نفسه رأي المعشوق بالألوان المختلفة؛ بل يرى في نفسه
المعشوق بكماله و تمامه؛ حينها سيقول: سُبْحاني ما أعظمَ شأنِي؛ مَنْ مثلي و هل
في الدارين غيري؟» («أشعة اللمعات» للجامي، ص ٥٤ و ٥٥، الطبعة
الحجرية»).

فوق العرش، و كَيْفِيَّة و كَمِّيَّة مكشوفات الأولياء كما
ينبغي، هي فوق البيان، و بعيدة عن إدراك العقول و
إحاطتها.

فَثَمَّ وَرَاءَ الْعَقْلِ عِلْمٌ يَدُقُّ عَنْ * مَدَارِكِ غَايَاتِ**

الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ

عقل اينجا ساكت آمد يا مضل * زانكه دل با**

اوست با خود نيست دل^۱

بعد تمهيد المقدمة نشرع في شرح البيت، و نقول:
«ستاره با مه و خورشيد اكبر» اي لأن السالك المسافر،
انطلق نحو الله، فيجب أن يرجح ذلك على جميع مراتب

^۱ البيت ٦٧٥ من تائيّة ابن الفارض الكبرى. و أمّا في النسختين المطبوعتين
لدى الحقيير، الاولى في ١٣٧٢ هـ، دار العلم، و الثانية في ١٣٨٢ هـ، دار صادر
بيروت، فقد وردت لفظة «النقل» بدل «العقل»: فثَمَّ وراء النّقل. و هذا أنسب
مضموناً، خلافاً للبيت الذي وردت فيه لفظة «العقل»، ذلك أن الشيخ ابن
الفارض يقول في البيت الذي يسبق هذا البيت:

وَ لَا تَكُ مِّنْ طَيْشَتِهِ دُرُوسُهُ * بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلُهُ وَ اسْتَقَرَّتْ**

أي، بحيث صارت العلوم المنقولة هدفهم الأساس ففقدوا بذلك عقولهم و
قضوا باقي عمرهم بالترّهات و القيل و القال و لم يرجعوا إلى ألبابهم فيجدوا
لأنفسهم مخرجاً.

التنزّلات لكي يصل إلى المرحلة المطلقة، و ليصل النقطة الأخيرة من الدائرة بالاولى. و بما أن رحلته إلى عالم المثال المتجسّد بالملكوت و الربوبيّة، فهناك يشاهد القوى الروحانيّة المتمثّلة بصور المثل و على حسب صفاء السالك. و حيث قال عن إبراهيم الخليل عليه السلام: «خليل آسا برو حقّ را طلب كن»¹ تعبيراً عما جاء في الآية الكريمة:

{ وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ
الأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ

¹ يقول: «لقد سكت العقل هنا، يا مُضِلّ، و توقّف، لأنّ القلب معه هو (أي مع المعشوق) و ليس مع صاحب القلب».

المُوقِنِينَ ۞ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا} - إلى

آخر الآية. ١

يقول الشيخ: إذا شوهدت شمس أكبر من النجم و القمر و الشمس الكبيرة، فاعلم أن هذه الكواكب هي الصورة المتمثلة للحس المشترك، و هو القوّة الاولى من القوى الباطنة، و القمر الذي هو قوّة الخيال، و هي القوّة الثانية من القوى الباطنة، و استفاضة النور من العقل هي بمثابة القمر نسبة إلى الشمس، فالشمس هي الصورة المتمثلة بالعقل، و النسبة بينها واضحة. فالقوّة العاقلة هي سبب تنور ظلمة الجهل في الوجود الإنسانيّ بنور العلم.

على السالك أن يعبر التجليات الحسيّة و الخياليّة و العقليّة

و للسالك عند مشاهدته هذه الصور المثاليّة حالتان: الاولى، هي أنّه أثناء المشاهدة، يدرك أنّها الشمس و القمر و النجم، و هي تحتاج إلى تفسير، اي أن رسمها السابق

١ الآيتان ٧٥ و ٧٦، من السورة ٦: الأنعام.

يتمثّل في خياله، فيدرك المعنى الذي يتمثّل في هذه الصورة.

و الحالة الثانية، هي أنّ حين المشاهدة يدرك بأنّ هذا النجم أو الشمس أو القمر هو الحقّ تعالى، و هو في هذه الحالة يكون واقعاً تحت تأثير التجلّيات الآثاريّة.
و لما كانت الآيات الكريمة تشير إلى المعنى الأوّل فقد عبّر عنه بالبيت التالي:

بگردان زان همه ای راهرو روی * همیشه لا**

احبُّ الآفلين گوی^۱

و معنى ذلك أنّه يجب غضّ النظر عن كلّ ما نراه من

مراتب الحجاب

^۱ يقول: «اجتنب أيّها السالك عن كلّ شيء، فليكن «لا احبُّ الآفلين» لك قولاً تردّده».

النورانيّ و ذلك في السير إلى الله، كما غضضنا النظر
عن الحجب المظلمة. و لمتابعة سيّدنا إبراهيم عليه
السلام، يجب أن لا نلتفت إلى صور الحواسّ و العقل، و
أن نتوجّه إلى الواحد المطلق، و لا يجب علينا التقيّد بأية
مرتبة من مراتب التعيّنات، لأنّ كلّ ما هو قيد التعيّن هو
وجه من وجوه الكفر الذي يواجهه السالك في طريقه، و
يجب الإعراض عن كلّ شيء، و ذلك طبقاً للآية { **لا
أُحِبُّ الْآفِلِينَ** }، لأنّ صورة الظواهر للأسماء الإلهيّة تؤوّل
للأفول و الانقراض، و إذا لم تخرج عن نطاق المحسوس
و المعقول كما في حالة إبراهيم عليه السلام، فلا يمكن
الحصول على مشاهدة نور الأنوار، و التي انمحت فيها كلّ
الأنوار المحسوسة و المعقولة و ذابت، و لن تخرج عن
شرك الأغيار و تتخلّص منه ما لم تصل إلى مرتبة الإطلاق
و الوحدة الحقيقيّة. و لن تحصل المعرفة التامّة و المطلوبة
و ستبقى محجوبة عن الحقّ. شعر:

بت پرستی چون بهانی در صور * بگذراز**

صورت برو معنی نگر

هر كه او در ره به چيزى ماند باز *** شد بتش آن

چيز، گو بابت بساز^۱

و لأنّ مشاهدة الذات المطلقة في مراتب تجليات

الأسماء و الصفات، هي أسهل، فقد قال:

^۱ يقول: «إن تُؤمِن بالصور دون المعاني فأنت وثنيّ؛ اترك الصور و التماثيل و التزم المعنى.

و من بات يتأمل شيئاً في طريقه و لم يبرحه فإنّ ذلك الشيء بالتأكيد سيؤول إلى صنم له و معبود يُقدّسه؛ فقلّ لشخص كهذا: ابقَ أذن مع صنمك و اعتنق مذهبه».

و يا چون موسى عمران در اين راه *** برو تا

بشنوی إني أنا الله^١

و معنى ذلك أن عليك السير و السلوك في طريق الله
كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام، و عليك اجتياز
المظاهر و التوجّه إلى عالم الإطلاق، أو كما قالت الحكمة:
الطُّرُقُ إِلَى اللَّهِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِ الْخَلَائِقِ،^٢ و سرّ كما سار موسى
بن عمران عليه السلام في طريق الحقّ حتى ترى و تُشاهد
تجلّي الحقّ في الصور الحيّة إذ {نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ
الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي
أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.^٣

و بناءً على المقدمة التي ذكرت لبيان التجلّي، تبين أن
هذا التجلّي الذي تأثر به موسى عليه السلام هو من نوع
التجليّات الأثارية. شعر:

^١ يقول: «فكن كموسى و اسلك طريقه، و امضِ قُدماً حتى تسمع إني أنا الله».

^٢ و على آية حال فإنّ هذا ليس بحديث، بل حكمة لبعض الحكماء.

^٣ مقطع من الآية ٣٠، من السورة ٢٨: القصص.

بشنود إنيّ أنا الله چون كلیم از هر درخت *** هر

که او بر طور دل از بهر میقات آمدست

آیت حسن تو خواند جان ما از هر ورق ***

حال عارف برتر از کشف و کرامات آمدست^۱

التجلی الذاتي للحق محال ما دام وجود السالك باقياً

و لأنّ مشاهدة الذات المطلقة محال، على الرغم من

وجود الوجود المجازي، و تعيّن السالك، فقد قال:

^۱ يقول: «سيسمع كلّ من اعتلى طور الفؤاد من أجل الميقات نداء: إنيّ أنا الله،

كما سمعها موسى كلیم الله.

إن أرواحنا تقرأ آية حُسنك و جمالك في كلّ ورق، و أن حالّ العارف و حالته

هي أكرم من جميع الكرامات.».

تراتا كوه هستی پیش باقی است *** جواب لفظ

ارنی، لَنْ تَرَانِي است^١

فلأنَّ الوجود الوهميَّ للسالك هو الحجاب الوحيد
الموجود بين الحقِّ و السالك، فهو تعالى يقول: ما دام جبل
وجودك باقياً و كنت ناظراً إلى نفسك، فإنَّ الحقَّ تعالى
محتجب بستر الأسماء و الصفات، و مع وجود هذه
الحجب النورانيَّة، فلا يمكن رؤيته حقيقةً. و طبيعيَّ أن
الرائيَّ و المرئيَّ ملحوظان في الرؤية، و لا وجود للغير
أصلاً في الانكشاف الذاتيِّ، إذ وَ لَا يَرَى اللهُ إِلَّا اللهُ.

و لأنَّ موسى عليه السلام رأى جلاله الحقِّ في ملابس
الأسماء و الصفات، فلا جرم أنه دُعِيَ بالكليم، و لا ريب
في وجود الغيريَّة في المكالمة و كان شوق موسى عليه
السلام أكبر من أن يقنع بالتجليات الأسمائيَّة، فقال: {رَبِّ
أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ}، اي أنا محتجب عنك بحجاب (الأنا) ما
دامت (الأنا) عندك باقية.

^١ يقول: «ما دام جبل وجودك باقياً، فسيكون جواب أرني: لن تراني».

گفتم به هوای مهر رویت *** شد جان و دلم چو

ذره شیدا

بردار ز رخ نقاب عزّت *** بی پرده به ما جمال

بنما^۱

گفتند اگر تو مرد عشقی *** بشنو سخن درست

از ما

هستی تو پرده رخ ماست *** از پرده خود به کلّ

برون آی

از هستی خود چو نیست گشتی *** از جمله

حجابها گذشتی^۲

و قد ورد في بعض النسخ، «صدای لفظ آرني، لن

تراني است» و قد ذُكرت كلمة «صدا» (= الصوت)

^۱ مقطع من الآية ۱۴۳، من السورة ۷: الأعراف: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَ لَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}.

^۲ يقول: «قالوا: إن كنت عاشقاً حقاً فاستمع إلى حديث الحق من أفواهنا.

إن وجودك هو خمار محيانا، فانسلخ تماماً من ذلك الحجاب.

فإذا انسلخت من وجودك فاعلم أنك قد اجتزت كل الحُجُب».

لتناسب كلمة «كوه» (= الجبل)، فيكون المعنى، هو لأنّ الصوت هو صدى نداء صاحب الصوت، واقترن صوت كلمة «أرني» في الرؤية بوجود موسى عليه السلام، فوقع الصدى دون الرؤية، وهو {لَنْ تَرَانِي}.

وَ جَانِبَ جَنَابِ الْوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ *** وَ هَا

أَنْتَ حَيٍّ، أَنْ تَكُنْ صَادِقًا مِتِّ

هُوَ الْحُبُّ أَنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأْرَبًا *** مِنْ الْحُبِّ

فَاخْتَرْتُ ذَاكَ أَوْ خَلَّ خُلَّتِي^١

إذا زال جبل وجودك، فليس بينك وبين الحق من فاصلة

و ذلك لأنّ حجابك من الحق هو وجودك هذا، وإلا

فبحكم {وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ}،^٢ فإنّ الحق أقرب

إليك منك، فقد قال الشاعر:

^١ هذان هما البيتان ١٠١ و ١٠٢ من «نظم السلوك» لابن الفارض، ص ٩٣،

طبعة دار العلم، سنة ١٣٧٢ هـ و طبعة صادر، سنة ١٣٨٢ هـ ص ٥٦.

^٢ صدر الآية ٨٥، من السورة ٥٦: الواقعة.

حقیقت کهربا، ذات تو کاه است *** اگر کوه

توئی نبود چه راه است؟^۱

أي أن الحقيقة، و هي عين المراد، مثل المغناطيس، و ذاتك و وجودك هو المجذوب، و الجذب يكون من قبل الحقّ تعالى، أمّا انجذابك إليه فهو أمر في غاية البساطة، و لكن تعيّنك هو المانع و السدّ في طريق وصولك إلى المطلق، و إذا لم يكن لك (الأنا) وجود، فلا حواجز في الطريق إلى الله.

شعر:

قرب، نی بالا و پستی رفتن است *** قرب حقّ از

هستی خود رستن است

خویش را بگذار و بی خود شو درآ *** اندرون

بزم وصل جانفزا

^۱ يقول: «أن الكهرباء هي الحقيقة و ما ذاتك إلا تيناً، و لو لم يكن جبل الـ (أنت) موجوداً، لما كان أمامك من طريق».

نیستی از خویش عین وصل اوست *** بگذر از

هستی، دلت گر وصل جوست^۱

و لأنّ اندراس و اندثار وجود السالك عیاناً و

شهوداً، لا یتیسّر إلا بالتجلّي الإلهیّ، فهو یقول:

تجلّی گر رسد بر کوه هستی *** شود چون خاک

ره، هستی ز پستی^۲

أی إذا أشرقّت شمس التجلّي بنورها علی جبل وجود

السالك، أضحت ظلّمة وجوده بحقارة التراب و صارت

المحو المطلق، لأنّه بتجلّي ذات الحقّ فناء المظاهر و

الکثرات.

(شعر):

^۱ یقول: «أن قرب الحقّ هو فی تحرّک من وجودک و القرب لیس فی نزولک و صعودک.

و لن ترى الله بجسمک ما حییت، فاهجر أذن الجسم و هاجر فذاکم هو وجودک.

إن انسلاخک من الذات هو عین و صالک به، فاجتز الوجود إن کان قلبک یخفق للوصال».

^۲ یقول: «لو تجلّی الله لجبل الوجود لصار من ضحالتّه هباءً منثوراً».

هر که شد جو یای دیدار خدا *** چون خدا آمد

شود جوینده لا

گر چه آن وصلت بقا اندر بقاست *** لیک اوّل

آن بقا اندر فناست

سایهای که بود جو یای نور *** نیست گردد چون

کند نورش ظهور

هالك آمد پیش و جهش هست و نیست ***

هستی اندر نیستی خود طرفه ایست^۱

و یشیر معنی هذا البيت إلى تتمّة تلك الآية الكريمة

التي تقول: { قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَ

لَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي

فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا } .

^۱ يقول: «مَن أراد البحث عن الله سبحانه، سيكون لا شيء بمجرد مجيء الله تعالى و ظهوره.

فمع أن وصالك ذاك هو البقاء بعينه، إلا أن ذلك البقاء كان فناءً أوّل الأمر.

إن الظلال تبحث عن النور، و عند ظهور النور، فإنها ستتلاشى.

لقد هلك أمام وجهه الوجود و العدم، و إنّه لمن الطريف أن يوجد الوجود داخل العدم».

و هذا هو التجليّ الذاتيّ الذي ذكرناه آنفاً في المقدّمة.

و حقيقة الكلام: أن امنية موسى عليه السلام كانت
تكنم في مشاهدة الذات الأحديّة، و ذلك في عالم المعنى،
و أمّا الجبل الذي بدا لموسى عليه السلام و تجلّى الحقّ
تعالى له، فقد كان في الحقيقة وجود موسى عليه السلام
الذي تمثّل في هيئة ذلك الجبل، و أمّا رؤية موسى عليه
السلام للجبل فكان من نتيجة ذلك، أن خرّ صعقاً بعد أن
دكّ الجبل، لأنّ التجلّي الذاتيّ، يقتضي فناء و انعدام
المظاهر.

و على هذا، يجب القول إنّهُ لم يتيسّر لموسى عليه
السلام و الذين معه رؤية ذات الحقّ، فيكون حكم لَن
تَرَاني مطلقاً، و تيسّر مشاهدة الحقّ عند تنزّل الذات إلى
مراتب الأسماء و الصفات، حيث تجلّى لموسى على هيئة
شجرة في الوادي الأيمن، و تكلمّ معه من وراء ستار
الأسماء و الصفات:

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ} ١.

١ صدر الآية ٤٣، من السورة ٧: الأعراف.

تبيّن لنا من هذا الكلام، بأنّ الذين قالوا لا يمكن رؤية
الله كانوا مصيبين من جهة، و ذلك باعتبار الذات.

و أمّا الذين قالوا بإمكان رؤيته تعالى فهم مصيبون
كذلك، و ذلك باعتبار الأسماء و الصفات.

من چو او را دیده و نادیده‌ام

در میان این و آن شوریده‌ام { لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ

يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ }^١.

{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ

لا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

^١ يقول: «لقد تُهتُ بين هذا الأمر و ذلك لأنني أراه و لا أراه في الوقت نفسه».

رَبِّهِ أَحَدًا^١.

{وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ^٢}.^٢

السلوك و الرياضات هي من أجل الاستعداد للجذبات الإلهية

و اعلم أن السلوك و الرياضة و التصفية، إنما تكون
باستعداد الأفراد للانجذاب الإلهي، و ليس لأحد أن
يصل إلى الله بعملٍ ما.
و لهذا فقد قال:

گدایی گردد از يك جذبه شاهي *** به يك لحظه

دهد كوهي به كاهي^٣

أَيُّ أَنْ جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ^٤

فِيمَسِي الدليل

^١ ذيل الآية ١١٠، من السورة ١٨: الكهف.

^٢ الآيتان ٢٢ و ٢٣، من السورة ٧٥: القيامة.

^٣ يقول:

«بجذبة ملك صار المسكين سلطانا *** فاستبدل الجبل العظيم تينا»

^٤ و ذكر الشيخ نجم الدين الرازي هذه العبارة في «مرصاد العباد» مستشهداً بها
في أربعة مواضع. ثلاثة منها في ص ٢١٢ و ٢٢٥ و ٥١١ دون أن ينسبها إلى
أحد، و في الموضوع الرابع ص ٣٦٩، نسبها إلى النبي، حيث قال: **وَقَالَ النَّبِيُّ**
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلَيْهِ] وَسَلَّمَ: جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ.

سالکاً، و فقيراً إلى الله، و يصبح بتقيده و محجوبيته
ببركة هذه الجذبة، سلطان العز، و هو الوصول الحقيقي
الذي يندرج ضمن الفناء في التجلي الذاتي، فيستبدل القشة
بالجبل في لحظة واحدة، غير آبه لوزن الجبل. و يرتقي مرتبة
المحبوب، بعد أن كان محبباً، دون منازعة الغير، و يسعد
برؤية المطلوب الحقيقي، بعين فبي يبصر.

و أورد الشيخ نفسه هذا الكلام في رسالة «العشق و العقل» ص ٦٤ دون أن
ينسبه لأحد، و قال المعلق على هذا الكتاب في ص ١٠٩:
«أن هذا الكلام هو من حديث أبي القاسم إبراهيم بن محمد النصرآبادي و هو
من كبار الصوفيّة في القرن الرابع (و المتوفى سنة ٣٧٢ هـ).
و قد أورد الجامي هذه العبارة مع اختلاف طفيف، في ترجمة حال إبراهيم أدهم،
حيث قال: جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُرْبِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ. و ذكر أبو سعيد أبو الخير
هذه العبارة مع ذكره لـ «كما قال الشيخ». («أسرار التوحيد» ص ٢٤٧، طبعة
طهران). و قال مولانا جلال الدين الأبيات التالية في «المثنوي»:

این چنین سیری است مستثنی ز جنس *** کآن فزود از اجتهاد جنّ و انس
این چنین جذبی است نی هر جذب عامّ *** که نهادش فضل أحمد و السلام
يقول: «أن هذا سير مُستثناً من الجنس، و هو سير يفوق اجتهاد الجنّ و الإنس.
و هذا الجذب ليس جذباً عاماً، إذ أساسه فضل أحمد و السلام». (نقلاً عن كتاب «فيه ما فيه» تصحيح فروزانفر).

وَ فِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَ لَوْ عُمَرَ سَاعَةً *** تَرَى الدَّهْرَ

عَبْدًا طَائِعًا وَ لَكَ الحُكْمُ^١

شعر:

در این دریا فکن خود را مگر درّی به دست آری

*** کزین دریای بی پایان گهر بسیار برخیزد

و گر موجیت بر باید چه دولت مر ترا زان به ***

که عالم پیش حکم تو چه خدمتکار برخیزد^٢

معراج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ليلة المعراج

و لأنّ الحصول على مراتب الكمالات في العالمين، و

الوصول إلى أعلى مقامات اليقين، لا يتمّ إلاّ بالسير على

خطى خاتم الأنبياء عليه الصلاة و السلام، فقد قال:

^١ «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٠ إلى ١٤٣، طبعة بيروت، ١٣٨٢ هـ، القصيدة

الميمية و التي مطلعها:

سَرَبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً *** سَكْرَنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخَلِّقَ الكَرْمُ

و البيت المذكور في المتن هو البيت التاسع و الثلاثون من تلك القصيدة.

^٢ يقول: «اقدف بنفسك في هذا البحر لعلك تحصل على دُرّة، فهذا البحر الواسع

و اللامحدود يجوي الكثير من الجواهر و الدرر.

و إذا صادفتك موجة فأيّ سلطان و دولة لك أعظم من ذلك، لأنّ العالم كلّه

سيكون خادماً لك و مطيعاً لأمرك».

برو اندر پی خواجه به أسرى *** تفرج کن همه

آیات کبری^۱

يقول: إذهب و اتبع «الخواجة» و هو سيّد المرسلين

صلى الله عليه و آله- فهو السيّد الحقيقي، و الآخرون

عبيده و المتبركون بذاته الشريفة- يقول: اذهب إلى

الإسراء، و الإسراء هو السير في الليل.

و هي إشارة للآية الكريمة التي تتحدث عن

المعراج:

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ

آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.^۲

و قصة معراج المصطفى صلى الله عليه و آله

مشهورة، و عروجه من المسجد الحرام إلى المسجد

الأقصى ثابتة في هذه الآية، و من هناك عروجه إلى

^۱ يقول: «قم و اتبع الخواجة (السيد) في إسرائه و انظر هناك إلى جميع الآيات الكبرى».

^۲ الآية ۱، من السورة ۱۷: الإسراء.

السموات كما في الحديث لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، و منها إلى باقي الأفلاك و إلى الجنّة و العرش و ما فوق العرش .
فالمعنى هو، أن تتخلّص أنت أيضاً من كلّ القيود
الصوريّة و المعنويّة حتى تنال شرف و بركة متابعة سيّد
الأنام صلى الله عليه و آله في عروجه إلى الأفلاك و العرش
و ما فوق العرش، و ترى بأمّ عينيك الظهور الإلهيّ و
التجليات الجماليّة و الجلاليّة و الفناء في الله و البقاء فيه، و
تحقق علم اليقين و عين اليقين، لا بل حقّ اليقين .

و من الأبيات السابقة و اللاحقة التي ذكرها الشيخ،
يتوضّح بأنّ مراتب و لاية الأنبياء عليهم السلام لا ينالها
إلاّ الأولياء، و ذلك بحسن متابعة الأولياء للأنبياء.
اعلم، أن للمعراج أسباباً: بعضها من جانب الحقّ
تعالى، و هي عنايته و جذبته؛ و أخرى من جانب الخلق، و
هي التوجّه التامّ نحو الحقّ تعالى. و بما أن الإنسان مدنيّ
الطبع، و مركّب القوى، له اختلاط بالبشر نهاراً، و ليس له
أن ينقطع الانقطاع الذي يهيئ له العروج المطلوب، إلاّ
أن يعتزل الناس اعتزلاً كلياً.

و في الحديث الشريف: **«إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي؛ وَ إِنِّي
لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»** و في روايةٍ أخرى: **مِائَةَ
مَرَّةً**^١ مصداق لقولنا بأنّ

^١ «منازل السائرين» ص ١٠٥، منشورات بيدار: وَ لِهَذَا قَالَ [رَسُولُ اللَّهِ] صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي؛ وَ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ
مَرَّةً.** و جاء في التعليق على ذلك ما يلي:

«روي حسين بن سعيد في كتاب «الزهد» باب التوبة، ص ٧٣ عن الإمام أبي
عبد الله جعفر الصادق أنّه قال: ... وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يُتَوَبُّ
إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ. و أخرج الترمذي حديثاً عن الرسول
الكريم صلى الله عليه و آله في كتاب «التفسير» ج ٥، ص ٢٨٣ الباب ٤٨، أنّه

قال: **إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**. كما أخرج ابن ماجة في كتاب «الأدب» باب الإستغفار، ج ٢، ص ١٢٥٤، أنه قال: **إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**.

و أخرج البخاري كذلك في كتاب «الدعوات» ج ٨، ص ٨٣، أنه قال: **وَ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ [إِلَيْهِ خ] فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**. و روي ذلك أحمد أيضاً في «المسند» ج ٢، ص ٢٨٢، و أخرجه مسلم في كتاب «الذكر» باب الاستغفار، ج ٤، ص ٢٠٧٥ بلفظ: **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي؛ وَ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً**.

و يقول صاحب «مرصاد العباد» ص ٢٥٧: كما أن الخواجة (و يقصد النبي عليه). (تابع الهامش في الصفحة التالية...)

١ (...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

الصلاة) كان لا يزال يستغفر و يتوب و هو في مقام الكمال و العزّ لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ، قائلاً: **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي؛ وَ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**. و ذكر ذلك أيضاً في ص ٣٢٦ و ٦٢٤ يقول في تعليق له: هذا الحديث موجود في كتاب «كشف المحجوب» للهجويري، و «صحيح مسلم» و «صحيح البخاري».

و ذكر السمعاني الحديث أعلاه في «روح الأرواح» ص ٤١٢ بلفظ عبارة: **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي**، و قال نجيب مائل الهروي، ص ٦٧٩، معلقاً على ذلك بقوله: «حديث نبوي». و استشهد ابن الأثير بهذا الحديث في «النهاية» ٣/ ٤٠٣ ذيل مادة (غين)، حيث قال: الغين: الغيم. أراد ما يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَجْلُو مِنْهُ الْبَشَرُ. لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ عَرَضَ لَهُ وَقْتًا مَا عَارَضَ بَشْرِي يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَ الْمَلَّةِ وَ مَصَالِحِهَا، عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَ تَقْصِيرًا فَيَفْرَعُ إِلَى الْإِسْتِغْفَارِ. و ورد ذلك أيضاً في «مختار الصحاح» ذيل مادة (غين)؛ و في

الخلاص التام لابن آدم من الحجب البشريّة متعذّر. و
لأنّ هذه الحجب و الموانع الصوريّة، مرفوعة في الليل،
فتظهر هذه الحالات و المشاهدات أكثر ما تظهر للكاملين
في الليل، كما جاء في الآية الكريمة:

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا}. و في قصّة
إبراهيم عليه السلام {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ} إشارة لهذا
المعنى.

شعر:

«الاصول العشرة» ص ٨٨؛ و «اللوائح» المنسوب إلى عين القضاة، ص ١٢٦.
و نظّم الشاعر مولانا المولويّ في «أحاديث مثوي» برقم ٤٢٥ البيت التالي:

همچو پيغمبر ز گفتن وز نثار * توبه آرم روز من هفتاد بار**

يقول: «سأتوب و أستغفر (ربي) سبعين مرّة في اليوم و أسلك مسلك النبيّ صلى
الله عليه و آله قولاً و نثراً». و قال: يشير هذا البيت إلى الحديث: وَ اللَّهُ إِنِّي
لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً، و هو مذكور في «البخاريّ» و
«مسند أحمد» و «الجامع الصغير» مع اختلاف طفيف»

می رهند ارواح هر شب زین قفس *** فارغان،

نی حاکم و محکوم کس

رفته در صحرای بی چون جانشان *** روحشان

آسوده و ابدانشان

فارغان از حرص و از آز و هوس *** مرغ وار از

دام جسته در قفس^۱

إن المتعلقات الجسمانیة، و الكدورات الطبیعیة، تمنع

عروج السالك و وصوله. شعر:

برون ای از سرای امّ هانی *** بگو مطلق حدیث

مَنْ رَأَى^۲

امّ هانی هی بنت ابی طالب، و ابنة عمّ الحبيب

المصطفى عليه الصلاة و السلام، و اسمها فاختة و امّ

^۱ يقول: «تسرح الأرواح حُرّة كلّ ليلة و تنطلق من هذا القفص، فلا حاکم فيها و لا محکوم.

تذهب الأنفس و تسيح في الصحراء دون اعتراض، فأرواحها هادئة و مرتاحة و كذا أبدانها.

فهی خالية من (غريزة) الجشع و الطمع و الأهواء، و مثلها في ذلك كمثل الطيور الهاربة من القفص و الشرك».

^۲ يقول: «تعال اخرج من قصر امّ هانی، و اسرد حدیث من رأی».

هانئ كنيتهأ، و هانئ بالهمزة بعد النون، و قد عُرِج به صلوات الله عليه و آله ليلة المعراج من بيتهأ الملاصق للمسجد الحرام، و المشهور أن المعراج كان من بيت عائشة، و لكن المفسرين يروون معراجين لسيد المرسلين عليه السلام، الأول جسماني، و الآخر روحاني، فلعل المعراج الجسماني كان من بيت عائشة، و الروحاني، من فناء بيت ام هانئ.

إن عروج أولياء الله، مرتبط بالروحانيّة و البدن المثاليّ، فهو متناسب مع المعراج الروحانيّ من فناء بيت أم هانئ، و هذا المسرى بالنسبة للسالكين و الأولياء هو بيت الطبيعة. فاخرج من مسرى الطبع و الهوى، و تحرّر من قيود الشهوة و الميول، و حلّق فوق المتعلّقات الجسmaniّة و الروحانيّة، و ذب في مشاهدة الجمال المطلق، و استورث الكمال المعنويّ للنبيّ و تحقّق بقاء الحقّ المطلق، و أمّا قوله: **من راني فقد رأى الحق** فمعناه أن من رآنا فقد رأى الله، و هذه إشارة إلى معنى «البقاء في الله» و التي كانت قد ذكرت في المقدّمة التي تمّ فيها بيان التجليات و السير و التحليق. شعر:

آنان كه گوی عشق ز میدان ربوده اند * بنگر كه**

وقت كار چه جولان نموده اند

هر لحظه دیده اند عیان حسن روی دوست ***

آئینه ی دل از قبل آن زدوده اند

آن دم كه گفته اند أنا الحقّ ز بيخودی *** زيشان

مدان كه آن نفس ايشان نبوده اند^۱

و لأنّ السالك لطريق الحقّ، لا يمكنه الوصول و

العبور إلى عالم الإطلاق، و لا يتيسر له ذلك، ما دام مقيّداً

بالتعيّن الجسمانيّ و الروحانيّ،

^۱ يقول: «انظر إلى اولئك الذين حازوا على العشق و فازوا به، كيف كان فعلهم و عملهم ساعة الجدّ.

فهم في كلّ لحظة يرون جمال وجه الحبيب عياناً، و سلبوا مرآة القلب و الفؤاد منه من قبّل.

إن قولهم حينها: أنا الحقّ، لم يكن عبثاً أو اعتباراً، فهم في تلك الحالة لم يعوا ما يقولون».

فهو يقول:

گذاری کن ز کاف کُنْج کونین *** نشین بر قاف

قرب قاب قوسین^۱

أي اجتز عالم الصورة و المعنى، و الغيب و الشهادة،
و المراد بهما الكونين، طبقاً لـ {فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ}،^۲ و لا
تتوقف عند آية مرتبة من مراتب العالمين، و استقرّ في مقام
قاب قوسين، و هو مقام الوجدانية و الالوهية، و محيط
قاب قوسين، هو محيط الوجود و الإمكان، و هو المقام
المحمّديّ، و انظر إلى الموجودات في العالمين مظهري
الذات و الصفات الإلهية، كأنّها محكومة بحكمك و تحت
أمرك، و ارقب توجه الجميع نحوك. شعر:

آدمی چون نور گیرد از خدا *** هست مسجود

ملایک ز اجتبا

^۱ يقول: «فارق العالمين (عالمي الصورة و المعنى)، و استوف فوق الافق أو قاب قوسين».

^۲ الآيتان ۱۱ و ۱۲، من السورة ۲۰: طه: {فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۝ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}.

نیست مسجود کسی کو چون مَلَك *** رسته

باشد جانس از طغیان و شك^۱

شطحات العرفاء و طاماتهم حال خروجهم عن طورهم

فإذا تحقّق للسالک الحصول علی مقام الوحدانیّة،

صارت ذاته و صفاته الجزئیّة ضمن الذات و الصفات

الکلیّة للحقّ، و أضحت إرادة

^۱ يقول:

«إن تكن تقتبس النور من ربّ العلی *** فأنت مسجود الملائک و أنت

المجتبی

لا مَلِک و لا سلطان ینظره أو یدانیه *** تعالّت ذاته و تنزّهت عن الشکّ و

ما طغی»

السالك و علمه هي عينها علم الحق تعالى و إرادته، و

لهذا، فقد قال:

دهد حقّ مر ترا هر چه كه خواهي *** نماندند

همه اشيا كما هي^١

أي أنّه إذا توصل السالك إلى مقام التحقق و

الاتّصاف بالصفات الإلهية، فيحصل على مطلوبه و

مقصوده مها كان، و سيشاهد آثار جميع الأسماء و

الصفات الإلهية في نفسه، و سيكون بالإمكان و الوجود

تحقق مجلي الكلّ، و مجمع البحرين، و سيطلع عليه الجميع،

و سيكون وارثاً للقائل اللهم أرنا الأشياء كما هي^٢، و

سيراها على حقيقتها كما هي،

^١ يقول: «سيعطيك الحقّ سؤالك و مها شئت، و ترى الأشياء في الدنيا كما هي».

^٢ من جملة الأدعية التي تذكر في القنوت في الصلوات الواجبة و النوافل، و أوّلها:

اللهم أرزقني حُبَّكَ وَ حُبَّ مَا تُحِبُّهُ وَ حُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَ الْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي إِلَى

حُبِّكَ وَ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ. جاء كامل هذا الدعاء في «بحر

المعارف» ص ٣٠٩، حيث نُسِبَ جزء منه إلى الرسول و نُسِبَ الجزء الآخر إلى

أمير المؤمنين عليها السلام. و ورد قسم من الدعاء كذلك في المجموعة

المطبوعة الصغيرة للحاجّ ملا محمد جعفر كبودرآهنكي. و كان آية عطاء الحقّ

المرحوم الحاج ميرزا السيد علي آقا القاضي تغمده الله برضوانه يوصي تلاميذه بقراءة هذا الدعاء في قنوت صلواتهم.

و حكى الشيخ نجم الدين الرازي في «مرصاد العباد» عين هذه الفقرة عن رسول الله، في ص ٣٠٩. و جاء في تعليقاته في ص ٦٣١ قوله: «إنه حديث ورد ذكره في تعليقات «فيه ما فيه» ص ٢١٤».

و استند كذلك الرازي في رسالة «العشق و العقل» ص ٧٤ على هذا الحديث، و قال المعلق على ذلك في ص ١٠٣ و ١٠٤: «مأخوذ عن حديث: **اللهم أرنا الأشياء كما هي** المنسوب إلى الرسول الكريم. لم نعر عليه في كتب الحديث و «المعجم المفهرس». و قد نظم مولانا جلال الدين في «المثنوي» شعراً بهذا المعنى.

ای میسر کرده بر ما در جهان * سخره و بیکار ما را وارهان.**

(تابع الهامش في الصفحة التالية...)

^١ ...تتمة الهامش من صفحة السابقة)

طعمه بنموده به ما و آن بوده شست * آن چنان بنما به ما آن را که هست**

يقول: «يا مَنْ سَهَّلَ لنا (كل شيء) في هذا العالم، شاغلنا و عاطلنا.

يا مَنْ وهبَ لنا الطعام و المأكَل من باطن مواجدهما و مواطنهما، أظهرَ لنا الأشياء كما هي».

ای خدای راز دان خوش سخن * عیب کار بد ز ما پنهان مکن**

يقول: «يا عالم الأسرار و يا جميل الحديث! لا تُخفِ عنّا عيوب الأعمال السيئة أبداً».

راست بینی گر بُدی آسان و زبّ * مصطفی کی خواستی آن را ز ربّ**

يقول: «أن كنتَ مطواعاً و سهل الانقياد فإنك ستري (الأشياء) بصورة صحيحة (و على حقيقتها)، فقد كان هذا طلب المصطفى من ربّه».

گفت بنما جزو جزو از فوق و پست * آن چنان که پیش تو آن چیز هست**

و سيصبح عارفاً حقيقياً حاصلًا على علة الخلق.

شعر:

يقول: «قال: أظهر (لنا الأشياء) واحدة واحدة (و بالترتيب) من ما موجود فوق
و تحت، أظهرها (لنا) كما تبدو لك أنت». و أشار الشيخ العطار إلى هذا الحديث أيضاً.

اگر اشیا همین بودی که پیدا است * کلام مصطفی کی آمدی راست**

که با حق سرور دین گفت: الهی * به من بنمای اشیا را کما هی**

يقول: «و لو أن الأشياء كانت كما تبدو لنا، ما كان لكلام المصطفى صحّة أو
حقيقة.

حيث قال (مخاطباً) الحقّ و سيّد الدّين: إلهي! أرني الأشياء كما هي.»

(نقلاً عن كتاب «فيه ما فيه»).

و صرّح الشيخ عزيز الدين النسفي في كتاب «الإنسان الكامل» في ثلاثة مواضع

(ص ١٦١ و ٣٥٥ و ٤٤٧) أن هذه العبارة هي للنبي

يار چون با يار خوش بنشسته شد *** صد

هزاران لوح سر دانسته شد

لوح محفوظ است پيشاني يار *** راز كونينش

نمايد آشكار

گر به عقل ادراك اين ممكن بُدى *** قهر نفس از

بهر چه واجب شدى؟

با چنان رحمى كه دارد شاه، هس *** بى ضرورت

چون بگويد نفس كُش؟^۱

^۱ يقول: «لَمَّا أَنَسَ الْحَبِيبَ إِلَى حَبِيبِهِ، صَارَ عَالِمًا وَوَاعِيًا لِمِائَاتِ الْأَلْفِ مِنْ أَلْوَا حِ الْأَسْرَارِ.

إن جبين الحبيب هو اللوح المحفوظ، و عليه بدا سر الكونين واضحا. ولو كان بإمكانك إدراك هذا الممكن بالعقل، فلما ذا أذن أصبح من الواجب قهر النفس و كبح جموحها؟

و هل يأمر السلطان بقتل النفس دون ضرورة أو داعٍ مع كل ما يملك من الرأفة و الرحمة؟».

«مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز» طبعة باسمه اى الحجرية، سنة ۱۳۰۱ هـ: ص ۹۲ إلى ص ۱۱۴؛ و الطبعة الحروفية مع مقدمة كيوان السميعی، منشورات المحمودي: ص ۱۲۷ إلى ۱۶۱.

معرفة الله تعالى بذاته وصفاته الكلية محال؛ والفناء في كل منهما ممكن

مشاهدة السالك آثار وأحكام الأسماء والصفات الإلهية

و أمّا محصّل كلام هذا العارف الربّانيّ و نتيجته فهو:

يمكن معرفة الله بصفاته، إلاّ أنّه لا يمكن معرفة ذاته. و

هنا يتبادر لنا سؤال، و هو: لمّ لا يمكن التعرّف على ذات

الله؟ لا بدّ أن جواب هذا السؤال هو: لمّا كان الله تعالى لا

متناهٍ، لذا، فقد كانت الإحاطة اللازمة للمعرفة و التعرّف

من

المقيّد المحدود المتناهي إلى الذات اللامتناهية
محالة. ثمّة سؤال آخر: لِمَا كانت الإحاطة بالذات
اللامتناهية محالة، والإحاطة بالصفات غير المتناهية محالة
كذلك، وجب أن تكون معرفة الله بالصفات محالة أيضاً.
فإذا كانت الإجابة على السؤال كما يلي: أن معرفة الله
تحصل بالصفات و الآثار المتناهية التي له، لا الصفات
الكلّيّة العامّة اللازمة للذات غير المتناهية، فسوف يكون
هناك سؤال آخر هو: أن الأمر سيّان من جهة الذات
كذلك، فهم يسيرون وراء الوجود الجزئيّ و الذات
الجزئيّة المترشّحة عن ذاته هو، لا وراء الذات الكلّيّة و
الوجود المجرّد البسيط اللامتناهي له. إذن فما وجه
الاستحالة في ذلك؟

فإذا كان الجواب: نعم، فمحال كذلك معرفة الله
بصفاته غير المتناهية، كما هي الحال في استحالة معرفة
ذاته، إلّا أنّه يمكن معرفة الله بالصفات، و ذلك بواسطة
الفناء في الصفات، و لا معنى للحدّ و القيود و التناهي في
حالة الفناء. أن السالك و السائر في طريق الله لا أثر و لا

وجود له في صفاته غير المتناهية، فهو يفنى فيها. يكون الجواب إذن: أن الأمر هو كذلك في الذات، فإن معرفة ذات الله تتحقق بالفناء في تلك الذات. لذا فليس هناك خيار غير السلوك في الذات، حتى تتم له معرفة الله، فذلكم هو الله الذي يعرف الله. كذلك الحال في الصفات، ذلك أنه لن يبقى للسالك عنوان و لا اسم في مقام الفناء المحض في الصفات الكلّية للحقّ تعالى، حتى يتم له التعرف الكامل على صفاته، و هنا لا أحد يمكنه معرفة صفات الله إلا الله وحده. و لكن لا إشكال في العلم و المعرفة في ما يتعلّق بالصفات الجزئية و الذات الجزئية أيضاً. فإذا قيل: إنّ الله لا يمتلك ذاتاً جزئية، و أنّ الموجودات تعبر عن طلوع و ظهور وجوده. قلنا: إنّ الله لا يملك صفات جزئية، بل أن صفات الموجودات تعبر عن طلوع صفاته و ظهورها.

و عموماً فإن كان المقصود بقولنا بإمكان معرفة الله تعالى بواسطة الصفات و ليس الذات و الصفات الكلّية، فهو أيضاً غير ممكن، و أمّا إذا كان المراد هو الصفات الجزئية، فلا فرق بين الذات و الصفات، فكما أن الفناء و الاستحالة في صفاته جلّ و علا ممكنان، فإنّهما في ذاته ممكنان أيضاً.

يقول الشيخ بهاء الدين العاملي قدس سرّه: «و قَالَ لِلْمَلِكِ لَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُ: أَنْ سُقْرَاطَ فِي حُبِّ، وَ الْمَلِكُ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى كَسْرِ الْحُبِّ. فَالْحُبُّ يُكْسَرُ وَ يَرْجِعُ الْهَاءُ إِلَى الْبَحْرِ!»^١

و روي أيضاً عن كتاب «التلويحات»، أن أفلاطون الربّاني قال:

«في أحيان كثيرة، و حين التريّض كنت أختلي بنفسي، و أتأمل في أحوال الموجودات المجردة الهاديّة، و كنت أستلقي و كأنّي قد تعرّيت من لباس الطبيعة، أتفكّر في كلّ

^١ «كشكول البهائي» الطبعة الحجرية: ص ٣٦١؛ و طبعة مصر، دار إحياء الكتب العربية: ج ٢، ص ٢٦٥.

ذرة من ذراتي، وقد خرجت من كل شيء، و لا أرى غير ذاتي.

و كان يغمرنى فى تلك الحال إحساس نورانى عجب
و أخذ، و احلقت فى عالم من المحاسن الغربية التى تأسر
القلب، و امسى مبهوراً و حائراً، و اوقن بأنى جزء عظيم و
شريف فى العالم العلوى الروحانى، و أتمتع بحياة نشطة و
فعالة، و أشرع بعد ذلك بالسمو الفكرى، و احلقت نحو
العوالم الإلهية سابحاً فى الجلال الربانى، و بهذه الطريقة،
كنت أرتقى، و أستقرّ فى ذلك العالم النورانى و أتعلق به و
أرتبط. و أجد نفسى شاهداً لهذا الموقف الشريف، و هذا
الموقف من الجلال و البهاء و النورانية، بحيث يعجز اى
لسان عن وصفه، و أرى ذهن عن تصور رسمه

و لأنّ هذا العالم يسحرني ببهائه و نوره، و أغرق في بحر روحانيّته، و لا أقوى على الصبر و المقاومة، فعندها أفتح باب الفكر و التأمل، و أغوص في أعماقه، فيحجب هذا الفكر ذلك النور عنيّ و هو ما يدخل الحيرة في نفسي، فكيف خرجت من ذلك العالم، مفعماً بالنور الذي رأيت، و كلّ هذا يحصل و بدني و نفسي على هيئتهما لم يتغيّرا.

في تلك اللحظات النورانيّة، كنت أستذكر قول مطريوس الذي كان يحثني على الطلب و البحث عن جوهر النفس الشريفة، و الارتقاء و السمو إلى ذلك العالم العقليّ^١. و قد شرح الشيخ مصلح الدين سعدي أيضاً

^١ «الكشكول» للشيخ البهائيّ، ص ٢٧١، الطبعة الحجرية: و طبعة مصر: ج ٢، ص ٥٥ و ٥٦؛ و نقل أفلوطين ما يشبه هذه الحادثة في كتاب «أثولوجيا» ص ٣٢ منسوباً إليه.

و قال جورج جرداق في مقدّمة كتابه «على و حقوق البشر» و هو الجزء الأوّل من كتاب «صوت العدالة الإنسانيّة» في ص ١٨ و ١٩ ما مفهومه: «أن تأريخنا من وجهة النظر تلك و التي تُشكّل فصلاً من التأريخ بأكمله يُدرك إلى حدّ ما مثل هذه المَظالم. فعلى سبيل المثال، كان ديونوسوس [ديونيسوس] حاكم سيراكوس و الدكتاتور الخسيس و الدنيء قد أمر ببيع أفلاطون في سوق النخاسة كأبيّ عبد آخر. حتى أتاح له القدر أحد أصدقائه فاشتراه و حرّره ثانية. فلمّا تسلّم ديونوسوس الصغير الحكم بعد أبيه عمد هو الآخر إلى إيذاء أفلاطون و

كُلّ هذه الحالات و المقامات في باب التوحيد، و أشار إلى
أن في الفناء و العدم في الذات الأحديّة، تتيسّر معرفة الله
سبحانه و تعالى، و لا طريق غير ذلك،^١ حيث يقول:

جهان متّفق بر الهیّتش * فرو مانده از كُنه**

ماهیتش

بشر ماورای جلالش نیافت * بَصَرِ منتهای**

جمالش نیافت

نه بر اوج ذاتش پرد مرغ وهم * نه در ذیل**

و صفش رسد دست فهم

در این ورطه کشتی فرو شد هزار * که پیدا**

نشد تخته‌ای بر کنار

الإساءة إليه، لكن في كلّ مرّة كان الحكيم يتخلّص من مكائده و ينجو منها.
ففكّر أخيراً في قتله، و عاد القَدَر لينقذه من هذه التهلكة أيضاً و ذلك بمساعدة
أحد تلاميذه».

^١ «كَلِيّات سعدي» الطبعة الحجرية، بقلم على أكبر التفرشي، شعبان المعظم سنة
١٢٦٠ هـ، صفحاته غير مرقّمة، مقتطفات من أوّل قصيدة للشيخ في كتاب
«بوستان» (= البستان)؛ و في طبعة فروغي: ص ٣ و ٤ من «بوستان».

چه شبها نشستم در این سیر گم *** که دهشت
گرفت آستینم که قم

محیط است علم ملک بر بسیط *** قیاس تو بر
وی نگرده محیط

نه ادراك در کنه ذاتش رسید *** نه فکرت به غور
صفاتش رسید

که خاصان درین ره فرس رانده‌اند *** بلا احصی
از تک فرو مانده‌اند^۱

نه هر جای مرکب توان تاختن *** که جاها سپر
باید انداختن

و گر سالکی محرم راز گشت *** ببندند بر وی در
بازگشت

^۱ إشارة إلى الحديث الشريف: لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ.
و قد أسهبنا في البحث حول هذا الحديث في هذه السلسلة «معرفة الله» ج ۲،
بداية البحث ۱۶ و ۱۸، بسند عن «مرصاد العباد» لنجم الدين الرازي، و «روح
الأرواح في شرح أسماء الملك الفتح» للسمعاني، و قد أوردنا في التعليقة مصادر
كثيرة لهذه الرواية.

کسی را درین بزم ساغر دهند *** که داروی

بیهوشیش در دهند

کسی ره سوی گنج قارون نبرد *** و گر برد، ره

باز بیرون نبرد

بمردم در این موج دریای خون *** کزو کس

نبردست کشتی برون

اگر طالبی کاین زمین طی کنی *** نخست اسب

باز آمدن پی کنی^۱

^۱ يقول: «فليس كلُّ أحدٍ بإمكانه الخوض في ذلك الميدان، إذ أن هناك ميادين تقهر الفارس و تُرغمه على رمى جوشنه قبل الدخول إليها. فإذا أضحى سالكُ ما عيبة الأسرار، اغلق عليه باب العودة و الرجوع (إلى ما كان عليه في السابق).
أليس في هذا المحفل من أحد يسقي هذا العطشان كأساً، فيُزيل عنه العِقر الذي تسبَّب في إغمائه؟
إن أحداً لم يهتدِ إلى كنوز قارون، و لو أن أحداً ما فعل ذلك إذن ما اهتدى طريق العودة و الرجوع.
لقد مِتُّ في عُباب أمواج بحر الدم هذا، و ما استطاع أحدٌ إخراج سفينته من ذلك اليمِّ (سالمة).

إذا كنتَ تروم أن تطوي هذه الأرض، فهَيِّئِ قبل ذلك، جواداً للعودة». ديوان «كليات سعدي» الطبعة الحجرية، بخطِّ على أكبر التفرشي، شعبان المعظم سنة ١٢٦٠ هـ، و لا توجد أرقام صفحات في هذه الطبعة، منتخبات

و يسرد الشيخ بهاء الدين العامليّ قدّس سرّه في قصائده الجميلة، حالاته و مكاشفاته الخاصّة به، و من جملتها قصيدة يشرح فيها تشرّفه بزيارة الحقّ سبحانه و تعالى، حيث بدأها بالأبيات التالية:

أَيُّهَا اللَّاهِي عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ *** أَيُّهَا السَّاهِي عَنِ

النَّهْجِ الْقَوِيمِ

من القصيدة الاولى للشيخ من كتاب «بوستان»؛ و طبعة فروغي: ص ٣ و ٤، من «بوستان» كذلك.

اسْتَمِعْ مَا ذَا يَقُولُ الْعَنْدَلِيبُ *** حَيْثُ يَرُوي مِنْ

أَحَادِيثُ

الحبيب مرحبا اي بلبل دستان حيي *** كآمدہ از

جانب بستان حيي^۱

مَا يُرِيدُ الْحَيَّ أَخْبِرْنِي بِمَا *** قَالَهُ فِي حَقِّنَا أَهْلُ

الْحِمَى

هَلْ رَضُوا عَنَّا وَقَالُوا لِلْوَفَا *** أُمُّ عَلَى الْهَجْرِ

اسْتَمَرُّوا وَالْجَفَا

مرحبا اي پيك فرخ فال ما *** مرحبا اي مايه

اقبال ما^۲

^۱ يقول: «مرحبا أيها البلبل المغرّد بقصّة الحيي، الذي جاءنا من بستان الحيي».

^۲ يقول: «مرحبا يا طائر سعدنا، مرحبا يا سبب بهجتنا و سعادتنا».

و أمّا بقيّة الأبيات فهي:

مرحبا اي طوطى شكرشكن *** قل فقد أذهبت عن قلبى الحزن

مرحبا اي عنديب خوش نوا *** فارقم كردى ز قيد ما سوا

اي نواهاى تو ناز مؤصده *** زد به هر بندم هزار آتشكده

مرحبا اي هدهد شهر سبا *** مرحبا اي پيك جانان مرحبا

بازگو از نجد و از ياران نجد *** تادر و ديوار را آرى به وجد

بازگو از زمزم و خيف و منى *** وارهان دل از غم و جان از عنا

بازگو از مسكن و ماواى ما *** بازگو از يار بى پرواى ما

و یستمرّ علی هذا المنوال حتی یصل إلی قوله:

یاد ایّامی که با ما داشتی *** گاه خشم از ناز و

گاهی آشتی

ای خوش آن دوران که گاهی از کرم *** در ره

مهر و وفا میزد قدم

شب که بودم با هزاران گونه درد *** سر به

زانوی غمش بنهاده فرد

آنکه از ما بی سبب افشاند دست *** عهد را ببرد و پیمان را شکست

از زبان آن نگار تند خو *** از پی تسکین دل حرفی بگو

یقول: «مرحباً أيها البغاء المعسول الكلام، قل فقد أذهبت عن قلبي الحزن.

مرحباً أيها العندليب العذب الغناء، لقد حررتني من القيود جميعاً.

يا من صوته و غناؤه نارٌ مؤصدة، يا من أشعل في كل قيد من قيودي ناراً حامية.

مرحباً يا هدهد مدينة سبأ، مرحباً يا سفير النفوس، مرحباً.

حدّثني عن نجد و أصحابي في نجد، حتى ييمم الباب و الجدران من حديثك.

حدّثني عن زمزم و الحيف و منى، حتى تُزيل الغم عن القلوب و العناء عن

الأنفس.

حدّثنا عن مساكننا و مقامنا، و حدّثنا عن حبيبتنا الذي لم يُيال بنا.

ذلك الحبيب الذي هجرنا و ابتعد عنا دونها سبب أو علة، ذلك الذي نقض

العهد و الميثاق.

تكلّم، قل شيئاً عن لسان ذلك المحبوب الغضوب، حتى تُسكن هذا الفؤاد.»

جان به لب از حسرت گفتار او *** دل پر از

نومیدی دیدار او

فتنه‌ی ایام و آشوب زمان *** خانه سوز صد چو

من بی خانمان

از درم ناگه در آمد بی حجاب *** لب گزان از رخ

برافکنده نقاب^۱

کاکل مُشکین به دوش انداخته *** وز نگاهی کار

عالم ساخته

گفت: ای شیدا دل محزون من *** وی بلاکش،

عاشق مفتون من

^۱ يقول: «اذكر الأيام التي كنا فيها معاً، فتارة كنت تضغب بدلال و أخرى تُصالحنا.

ما أحلى ذلك العهد الذي كان الحبيب يفيض فيه علينا و يُغرقنا من كرمه و حبه و وفائه.

و كم سهرت الليالي مع آلامي و أوجاعي، واضعاً رأسي على ركبتي حزينا كئيباً. و كانت روحي تروم الخروج من جسدي مُتمنيةً سماع حديثه و كلامه، و تملأ القلب حسرات و يأس لرؤيته و ملاقاته.

لقد أشعلت فتنة ذلك الزمان النار في مئات المنازل و أحرقتها و منها منزلي فظلت مُشرداً دون دار للسكنى.

و طلع على يوماً من وراء الباب دون حجاب، عاصباً شفته لعدم وضع النقاب».

كَيْفَ حَالِ الْقَلْبِ فِي نَارِ الْفِرَاقِ؟ *** كَفْتَمَشْ: وَ

اللَّهِ حَالِي لَا يُطَاقُ

يك زمان بنشست بر بالین من *** رفت و با خود

برد عقل و دین من

گفتمش: کی بینمت ای خوش خرام؟ *** گفت:

نِصْفَ اللَّيْلِ لَكِنْ فِي الْمَنَامِ^١

في الآيات السابقة، يشرح الشيخ أعلى الله مقامه،

لقاءه بالحقّ تعالى في اليقظة، و حالة المكاشفة الروحانيّة

التي تتابته، و عن هذا اللقاء

^١ يقول: «و قد أرسل صفائره السوداء على منكبيه، و قد أبلت نظراته العالم بالبلاء الحسن.

فقال: يا عاشقي! أيها المحزون الفؤاد! و يا من تجرع البلاء (لأجلي)، أيها العاشق المفتون!

كيف حال القلب في نار الفراق؟ قلت: و الله حالي لا يطاق!

فجلس معي هنيهة ثم رحل، و أخذ معه عقلي و ديني!

فقلت (له): متى أراك يا مغناج؟ قال: نصف الليل لكن في المنام!.

كتاب «نان و حلوا» (= الخبز و الحلوى)، ص ٢ و ٣، و الذي طُبِعَ مع كتاب

«نان و خرما» (= الخبز و التمر) و «نان و پنیر» (= الخبز و الجبن) و «شیر و

شکر» (= اللبن و السكر) للشيخ البهائيّ في مجموعة واحدة من قبل بنگاه

کتابفروشی نوبهار (و كالة نوبهار لبيع الكتب)، أصفهان.

يقول: و دخل على بمحيّاه بلا حجاب أو غطاء،
مُسدلاً شعره على كتفيه، و حيث أن ذكر اصطلاح كلمة
المحيّيا عند أهل اللاهوت، هو تعبير عن تجلّي نور الوحدة
و جمال الحقّ، و اصطلاح إسدال الشعر، كناية عن تجلّي
الكثرات و المخلوقات ذات الهويّة. فإنّ ظهور الحقّ تعالى
بمحيّاه المجرّد عن الحجاب، و شعره المسدل، هو تشبيه
عن حالة الوحدة في الكثرة. و هذا هو الحقّ تعالى
بوحديّته حين يُشاهد بالكثرة الناشئة عن وجوده معاً و
سوية.

و بتعبير آخر، فإنّ رؤية وحدة الحقّ، بكلّ ما في الكلمة
من معنى، ممكنة، في تجلّي الحقّ تعالى في اسم و حدانيّته، و
تعبير وحدة الوجود على السنة أهل العرفان، هو مشتقّ من
هذا المعنى.

بيان سماحة الحدّاد في كيفة قضاء الحاجات في حال الفناء

تشرّف العبد الحقير يوماً بزيارة استاذنا الأكرم الحاجّ
السيد هاشم الحدّاد روي فداه، و قلت له: هؤلاء الذين
يرون الله عزّ و جلّ متلبساً لباس الأسماء و الصفات، أنّي

لهم التكلّم معه أو طلب الحاجات منه، في حين أن الذي يرون، بالحقيقة، ليس ذاته أو وجوده؟ و كذلك الذين يذوبون و يفنون في ذاته المقدّسة، حيث لا يبقى لهم أيّ وجود، حتى يكون هناك سائل أو مسؤول أو سؤال.

فأجاب: «نعم، هو كذلك، و لكن يروي: أنّه كان هناك غلام يعشق ملكه، و سلبت عقله حركات و سكنات هذا الملك، فبلغ عشقه الحدّ الذي كان بمجرد أن يقع بصره على الملك، يسقط على الأرض و يغمى عليه، حتى ينصرف الملك، و يتعد عنه.

و كان الناس على علم بحظوته لدى الملك، فكان كلّ يكتب حوائجه في رسالة، و يضعها في ظرف خاصّ، و يسلمها إلى العبد، ليعرضها على الملك، فيأخذ العبد الرسائل، و يضعها في إناء خاصّ، لكي يسلمها إلى

الملك متى حان موعد اللقاء.

و عند ما يأخذ الإناء الحاوي على الرسائل، و في لحظة مشاهدة الملك، يُغشى عليه، فكان الملك يجلس بقربه، و يأمر الغلمان بفتح الرسائل التي في الإناء و قراءتها، و بعدها يأمر بقضائها و يختم عليها بختمه.

و من ثمّ توضع الرسائل في الظروف، و تُرجع إلى الإناء، و يوضع الغطاء كما كان.

و عندها يغادر الملك، ثمّ يستعيد الغلام و عيه، فيرى الإناء كما هو، فيعتقد بأنّه لم يمسّ من قبل الملك، و أن حوائج الناس لم يبتّ فيها، فيحمل الإناء راجعاً إلى أصحاب الحوائج قائلاً لهم: أعتذر إليكم من عدم تمكّني من إيصال حوائجكم إلى الملك. فيستعيد الناس، بخيبة أمل، رسائلهم، ثمّ فجأة، يدبّ فيهم الفرح و السرور، عند ما يرون رسائلهم مختومة بختم الملك، و أن حوائجهم قد قُضيتْ.

نعم، و في هذا المعنى، يقول العالم العارف الجليل ابن

الفارض المصريّ:

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمَرُ سَاعَةً *** تَرَى الدَّهْرَ

عَبْدًا طَائِعًا وَ لَكَ الْحُكْمُ^١

الْبَحْثَانِ التَّاسِعُ وَ الْعَاشِرُ: إِمْكَانِيَّةُ رُؤْيَا اللَّهِ تَعَالَى وَ

لِقَائِهِ مِنْ قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ وَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ:

{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا

يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }

^١ مرّ ذكره.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

التفسير الوارد في «الميزان» الآية: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ
وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ
لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

(الآية ١١٠، من السورة ١٨: الكهف).

قال حضرة استاذنا الأكرم آية الحق و العرفان و سند

العلم و الإيقان: آية الله العلامة الطباطبائي تغمده الله

بأعلى رضوانه، و رفع درجته بما لا يدرك به عقل بشر و لا
مَلَك و لا جنّ و لا أحد سوى ذاته الأقدس، في تفسيره
لهذه الآية الكريمة:

«الآية خاتمة السورة و تلخص غرض البيان فيها و قد
جمعت اصول الدين الثلاثة و هي التوحيد و النبوة و
المعاد فالتوحيد ما في قوله: {أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ} . و
النبوة ما في قوله: {إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ}، و
قوله: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} - إلى آخره. و المعاد ما في
قوله: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ} .

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّمَا

إِلَهُكُمُ إِلَهُ

واحدٍ}. القصر الأول قصره صلى الله عليه و آله في

البشريّة المماثلة لبشريّة الناس لا يزيد عليهم بشيء و لا يدّعيه لنفسه قبال ما كانوا يزعمون أنّه إذا ادّعى النبوة فقد ادّعى كينونة إلهيّة و قدرة غيبية، و لذا كانوا يقترحون عليه بما لا يعلمه إلا الله و لا يقدر عليه إلا الله، لكنّه صلى الله عليه و آله نفى ذلك كلّه بأمر الله عن نفسه و لم يثبت لنفسه إلا أنّه يوحى إليه.

و القصر الثاني قصر الإله الذي هو إلههم في إله واحد

و هو التوحيد الناطق بأنّ إله الكلّ إله واحد.

و قوله: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ}** - إلى

آخره، مشتمل على إجمال الدعوة الدينيّة و هو العمل الصالح لوجه الله و حده لا شريك له و قد فرّعه على رجاء لقاء الربّ تعالى و هو الرجوع إليه إذ لو لا الحساب و الجزاء لم يكن للأخذ بالدين و التلبّس بالاعتقاد و العمل موجب يدعو إليه، كما قال تعالى: **أَنْ {الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}**.^١

^١ ذيل الآية ٢٦، من السورة ٣٨: ص.

و قد رُتّب على الاعتقاد بالمعاد العمل الصالح و
عدم الإِشراك بعبادة الربّ، لأنّ الاعتقاد بالوحدانيّة مع
الاشتراك في العمل متناقضان لا يجتمعان فالإله تعالى لو
كان واحداً فهو واحد في جميع صفاته و منها المعبوديّة لا
شريك له فيها.

و قد رُتّب الأخذ بالدين على رجاء المعاد دون القطع
به، لأنّ احتمالاه كاف في وجوب التحذّر منه لوجوب دفع
الضرر المحتمل، و ربّما قيل: أن المراد باللقاء لقاء
الكرامة و هو مرجو لا مقطوع به.

و قد فرّع رجاء لقاء الله على قوله: { **أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ**

وَاحِدٌ }، لأنّ

رجوع العباد إلى الله سبحانه من تمام معنى الألوهية،
فله تعالى كل كمال مطلوب و كل وصف جميل و منها فعل
الحقّ و الحكم بالعدل و هما يقتضيان رجوع عباده إليه و
القضاء بينهم، قال تعالى:

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا
ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ
• أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ
فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} ١.

في «الدرّ المثور» أخرج ابن مندة و أبو نعيم في
الصحابة و ابن عساكر من طريق السديّ الصغير عن
الكلبيّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان جندب
بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدّق فذكر بخير ارتاح له
فزاد في ذلك لمقالة الناس، فلامه الله فنزل في ذلك:
{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا
يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}.

١ الآيتان ٢٧ و ٢٨، من السورة ٣٨: ص.

و ورد نحو منه في عدة روايات اخر من غير ذكر
الاسم و ينبغي أن يُحمل على انطباق الآية على المورد،
فمن المستبعد أن يُنزل خاتمة سورة من السور لسبب
خاصّ بنفسها.

و فيه عن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في الآية قال
النبيّ صلى الله عليه [و آله] و سلّم: أن رَبَّكُمْ يَقُولُ: أَنَا
خَيْرُ شَرِيكَ؛ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي فِي عَمَلِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِي
تَرَكْتُ الْعَمَلَ كُلَّهُ لَهُ، وَ لَمْ أَقْبَلْ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا. ثُمَّ
قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آله] وَ سَلَّمَ: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا}.

و في «تفسير العياشي» عن علي بن سالم، عن أبي عبد
الله عليه السلام قال: قال الله تبارك و تعالى: أَنَا خَيْرُ
شَرِيكَ؛ مَنْ أَشْرَكَ بِي فِي عَمَلِهِ

لَمْ أَقْبَلْهُ، إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا!

قال العياشي: وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال:

أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ؛ مَنْ عَمِلَ لِي وَ لِيغَيْرِي فَهُوَ
لِمَنْ عَمِلَ لَهُ دُونِي.

وفي «الدرّ المنثور» أخرج أحمد و ابن أبي الدنيا و ابن

مردويه و الحاكم و صحّحه، و البيهقي عن شدّاد بن أوس

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم

يقول:

مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَ مَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ

أَشْرَكَ، وَ مَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ؛ ثُمَّ قَرَأَ: {فَمَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ} - (الآية).

و في «تفسير العياشي» عن زرارة و حمران، عن أبي

جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام قالاً:

لَوْ أَنَّ عَبْدًا عَمِلَ عَمَلًا يَطْلُبُ بِهِ رَحْمَةَ اللَّهِ وَ الدَّارَ

الْآخِرَةَ، ثُمَّ أَدْخَلَ فِيهِ رِضًا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَانَ مُشْرِكًا.

و الروايات في هذا الباب من طرق الشيعة و أهل

السنة فوق حدّ الإحصاء، و المراد بالشرك فيها الشرك

الخفي غير المنافي لأصل الإيمان، بل لكماله، قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} ١. فالآية تشملها باطنها لا بتزييلها.

و في «الدرّ المشثور» أخرج الطبراني و ابن مردويه عن أبي حكيم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لَوْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا خَاتِمَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ لَكَفَّتْهُمْ.

أقول: تقدّم وجهه في البيان السابق. تَمَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ٢.

إمكان لقاء الله منحصر في التوحيد الخالي من شوائب الشرك

و محصل الكلام، أن هذه الآية الكريمة و الروايات الواردة في تفسيرها تُفهمنا أن لقاء الله و زيارته تكون ممكنة فقط، للذين آمنوا بالله و لم يُشركوا به أحداً بأيّ وجه من الوجوه، سواء أكان ذلك ظاهراً أم باطناً، و لا في مقام الوجود و الذات، و لا في مقام الاسم و الصفة، و لا في مقام الفعل و العمل، بل أن يُؤثروا الله و حده، و يعتبرونه

١ الآية ١٠٦، من السورة ١٢: يوسف.

٢ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٣، ص ٤٠٥ إلى ٤٠٧.

المؤثر الوحيد، إذ: لا مؤثّر في الوجودِ إلّا الله، لا في منهاج
الشرك الظاهر، و لا الباطن.

و معنى الشرك، إعطاء صفة التدخّل لعمل الغير في
عمل الله. فمثلاً، اعتبار الذهاب إلى الطبيب و استعمال
الدواء و التعافي، يعتبر شركاً، إذا لوحظ ذلك من منظار
التأثير الاستقلاليّ، و إن كان ذلك بمعيّة الله. و إذا لوحظ
ذلك من منظار أن الطبيب محكوم بأمر و إرادة الله، و أن
الدواء أيضاً محكوم بتأثير و أمر الله، و أن الحصول على
الشفاء، هو بأمر الله و مشيئته، فإنّ ذلك هو ما يسمّى
بالتوحيد، إذ لا توجد فيه شائبة شرك أبداً.

و على المؤمن أن ينفي جميع المؤثرات الاستقلاليّة
التي كان يعتبرها من قبل فاعلة، و يطرد ذلك عن نفسه و
داخله في سبيل الوصول إلى الله، حتى يتسنّى له زيارة الله
كما ينبغي له، و إلّا فإنّ ذلك ليس الله حتى و إن رآه من
وراء حجاب الخيال و الوهم.

و الآن، فهل كانت تلك العجوز تعلم حقّاً، أن الله
موجود أم لا؟ نعم، كانت تعلم و من خلال مغزها، بل

كانت على يقين من ذلك، و لكن من وراء ألف حجاب.
أن دين العجائز ذلك، ينفع العجائز أنفسهنّ، لا السالكين،
فُربّ شخص جالس وراء بوّابة المدينة العالي و سورها،
و هو يعلم أن ما

يصدر من المدينة من أصوات و ضوضاء، دليل على وجود السكّان فيها، إلّا أن ذلك يختلف كثيراً عمّن تسوّر ذلك الجدار و نظر إلى المدينة بمنظار قويّ، و أفضل من هذا و ذاك، من فتح بوّابة المدينة، و سار في شوارعها و أزقتها و أسواقها و مساجدها، ثمّ دخل المساجد و المدارس، و تعرّف على أفرادها، و استعلم من العلماء و المدرّسين و الطّلاب عن مناهجهم الدراسيّة، و تعرّف على معابدها و مدارسها و المستوى العلميّ لعلماء العرفان فيها، و مساحة مصلاّهم، و هل يتبع سكنتها النصائح الإسلاميّة في الطّبّ، أم أنّهم بحاجة إلى مستشفى و مستوصف و طبيب و دواء؟

فما الفرق إذاً بين الشخص الواقف وراء الجدار، و ذلك الذي دخل المدينة و تعرّف على أهلها و استأنس إلى أصحابها؟ الحقّ، أن الفرق بينهما، كالبعد بين المشرق و المغرب، و إن كان هذان الشخصان أخوين جلسا في مكان واحد، و كانا يعيشان في زمان واحد، و ينحدران من أصل واحد، و نسب و سبب مشتركين.

فلنخرج الآن من دين العجائز و من التعرّف على
البعير بالبعرة و بها كذلك على الحيوان الحيّ، و علينا
الاستزادة من المعلومات، و ذلك أن هذا النوع من
المعارف، خاصّ بالضعفاء، و بالمعرفة الإجمالية دون
التفصيلية. فعلينا الحصول على المعرفة التفصيلية، و أن
نتأسّى بأمر المؤمنين عليه السلام، و علينا البحث في «نهج
البلاغة» و «التوحيد» للصدوق.

يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ، وَ تَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ

علينا أن نهج منهج امّهات التفاسير للقرآن الكريم،
و البحث عن حلّ جدّي، و أن نرجع إلى «الصحيفة
العلوية» و «الصحيفة السجادية»، و لنستعين بهما في طريق
معرفة الله. علينا أن نفهم جيّداً معنى:

«يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ، وَ تَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ،

وَ جَلَّ عَنْ مُلَائِمَةِ كَيْفِيَّاتِهِ. يَا مَنْ قَرَّبَ مِنْ خَطَرَاتِ

الظُّنُونِ، وَ بَعُدَ عَنْ لِحَظَاتِ

الْعِيُونِ، وَ عَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ»

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ بِحَمْدِكَ! مَنْ ذَا

يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلَا يَخَافُكَ؟! وَ مَنْ ذَا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فَلَا

يَهَابُكَ؟!

فِيَا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْعِزِّ وَ الْبَقَاءِ، وَ قَهَرَ الْعِبَادَ بِالْمَوْتِ وَ

الْفَنَاءِ! ^١

^١ فقرات مأخوذة من الدعاء العظيم الشأن المعروف بدعاء الصباح. ذكره المجلسي رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» طبعة الكمباني: ج ١٩، ص ١٣٥ و ١٣٦، والطبعة الإسلامية: ج ٩٤، ص ٢٤٢ إلى ٢٤٦. وقال: هذا الدعاء هو مما انتخبه السيّد ابن باقي و الذي رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام. و قال في آخره:

«بيان:

هذا الدعاء من الأدعية المشهورة، و لم أجده في الكتب المعتمدة إلا في «مصباح السيّد ابن الباقي» رحمه الله، و وجدت منه نسخة قرأه المولى الفاضل مولانا درويش محمد الإصبهاني جدّ والدي من قبل امه على العلامة مروّج المذهب نور الدين علي بن عبد العالي الكركي قدّس الله روحه فأجازه».

ثمّ أورد المجلسي صورة إجازة المحقق الكركي المؤرّخة سنة تسع و ثلاثين و تسعمائة، و قال: «و وجدت في بعض الكتب سنداً له هكذا: قال الشريف يحيى بن قاسم العلوي: ظفرتُ بسفينة طويلة مكتوب فيها بخطّ سيدي و جدّي أمير المؤمنين و قائد الغرّ المحجّلين ليث بني غالب علي بن أبي طالب عليه أفضل التحيات ما هذه صورته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا دعاء علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله و كان يدعو به في كلّ صباح وهو: **اللَّهُمَّ يَا مَنْ دَلَعَ لِسَانَ الصَّبَاحِ** - إلى آخره، و كتب في آخره: كتبه علي بن أبي طالب في آخر نهار الخميس حادي عشر شهر ذي الحجة سنة خمس و عشرين من الهجرة.

و قال الشريف: نقلته من خطّه المبارك، و كان مكتوباً بالقلم الكوفيّ على الرقّ في السابع و العشرين من ذي القعدة سنة أربع و ثلاثين و سبعمائة». و ذكر المجلسي هنا بياناً مفصّلاً في شرح هذا الدعاء و تفسيره، من طبعة الكمبانيّ، ص ١٣٦ إلى ١٤١، و من طبعة الإسلاميّة، ص ٢٤٧ إلى ٢٦٣. و قال في آخره: «و اعلمّ أنّا قد أوردنا هذا الدعاء الشريف مع شرحه في كتاب الصلاة في أبواب أدعية الصباح و المساء، و إنّما كرّرناه للفاصلة الكثيرة، و لشدة مناسبتة بهذا المقام أيضاً».

نعم، و قد ذكر الشيخ عبد الله السماهيجي في «الصحيفة العلويّة» و قد طبعتها كاتب النسخة المطبوعة في (باسمه اي) باسم فخر الأشراف سنة ١٣٢٠ هـ، و كتب الصفحات من ١٨١ إلى ٢١٨ و الخاصّة بدعاء الصباح بالخطّ الكوفيّ و خطّ النسخ.

و قال المحدّث العظيم العلامة الحاجّ الشيخ آقا بزرگ الطهرانيّ قدّس سرّه في «الذريعة» ج ١٥، ص ٢٢: «الصحيفة العلويّة و التحفة المرتضويّة»: من جَمع المولى الأجلّ الشيخ عبد الله بن صالح بن جمعة بن علي بن أحمد بن ناصر بن محمّد بن عبد الله البحرانيّ السماهيجي مولداً الماحوزيّ تحصيلاً، المتوفّي ليلة الأربعاء ٩ جمادي الآخرة ١١٣٥ هـ، جمعها من كُتب الأصحاب مرسلًا من دون ذكر سند، و مجموع أدعيّتها ١٥٦ دعاء».

و قال أيضاً في ص ٢٣ من ذلك الكتاب ما مفاده: «الصحيفة العلويّة الثانية جمعها شيخنا النوريّ الحاجّ ميرزا حسين (المتوفّي سنة ١٣٢٠ هـ)، و تشتمل على ١٠٣ دعاء من أدعية أمير المؤمنين عليه السلام نظّمها كتّمّة و استدراك للصحيفة الاولى».

و معنى: بِكَ عَرَفْتُكَ، وَ أَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَ دَعَوْتَنِي

إِلَيْكَ، وَ لَوْ لَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ!

و هذه فقرات من دعاء سيّد الساجدين الإمام علي بن

الحسين عليها السلام و أفضل الصلوات، التي تبدأ بـ:

إِلَهِي! لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ، وَ لَا تَمَكِّرْ بِي فِي حِيلَتِكَ!

مِنْ أَيْنَ لِي الْخَيْرُ يَا رَبِّ وَ لَا يُوجَدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِكَ، وَ مِنْ أَيْنَ

لِي النَّجَاةُ وَ لَا تُسْتَطَاعُ إِلَّا بِكَ! لَا الَّذِي أَحْسَنَ اسْتَغْنَى عَنْ

عَوْنِكَ وَ رَحْمَتِكَ؛ وَ لَا الَّذِي أَسَاءَ وَ اجْتَرَأَ عَلَيْكَ وَ لَمْ

يُرْضِكَ خَرَجَ عَنْ قُدْرَتِكَ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ!

و قد كرّر الإمام عليه السلام كلمة «يَا رَبِّ» حتى

انقطع نفسه، ثمّ قال: بِكَ عَرَفْتُكَ ... إلى آخر الدعاء

الشريف و العالي المضامين، الذي يدلّ على أن الإمام

ينادي من أقصى نقاط التوحيد في حرم معبوده المحبوب

و محرابه، و ينجي في حرم الذات أن لا يسعني فيه

مَلِكٌ مُّقْرَبٌ وَ لَا نَبِيٌّ مُّرْسَلٌ^١.

فإذا أمعنا النظر في العبارات «يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ

بذاته»، و «بِكَ عَرَفْتُكَ وَ أَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَ دَعَوْتَنِي

إِلَيْكَ، وَ لَوْ لَا أَنْتَ لَمْ أُدْرِ مَا أَنْتَ» فسنخلص أولاً إلى أن

طريق لقاء ذات الله و زيارتها مفتوح؛ و ثانياً، لا يمكن أن

يكون معرّف تلك الذات المقدّسة، إلا الذات المقدّسة

نفسها؛ و ثالثاً، أن جميع الموجودات الآفاقيّة و الأنفسيّة و

الملكيّة و الملكوتيّة، لا يمكنها أن تدلّ على ذات الله،

فعليه هو أن يعرّف نفسه و يدلّ عليها.

^١ روي العلامة المجلسي رضوان الله عليه هذا الدعاء في «بحار الأنوار» طبعة

الكمباني: ج ٢٠، ص ٢٤٥ إلى ٢٥٠، و الإسلاميّة: ج ٩٨، ص ٨٢ إلى ٩٣،

عن كتاب «الإقبال» (ص ٦٧ إلى ٧٥ - التعليقة) برواية السيّد ابن طاووس و

سنده إلى محمّد بن هارون بن موسى التلعكبري بسنده عن حسن بن محبوب، عن

أبي حمزة الثماليّ أنّه قال:

كان علي بن الحسين صلوات الله عليها يصلّي عامّة ليلته في شهر رمضان، فإذا

كان السّحر دعا بهذا الدعاء.

و روي كذلك الشيخ الطوسي في «مصباح المتهدّد» ص ٤٠١ إلى ٤١٣،

الطبعة الحجرية، بنصّه كما نُقل عن كتاب «الإقبال»، عن أبي حمزة الثماليّ.

إِلَهِي! كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ
إِلَيْكَ؟! أَيْكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ
هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ؟!!

مَتَى غَبَّتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟! وَ مَتَى
بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ؟!!

إِلَهِي! عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا رَقِيبًا، وَ خَسِرَتْ
صَفْقَةً عَبْدٌ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيبًا!

و ما أروعَ القصيدة الغزلية التالية للفروغي
البسطامي و التي ضمت في

جَنَبَاتِهَا هَذِهِ الْحَقِيقَةُ، حَيْثُ قَالَ فِيهَا:

کی رفته‌ای ز دل که تمنا کنم ترا *** کی بوده‌ای

نهفته که پیدا کنم ترا

غائب نگشته‌ای که شوم طالب حضور *** پنهان

نگشته‌ای که هویدا کنم ترا

با صد هزار جلوه برون آمدی که من *** با صد

هزار دیده تماشا کنم ترا

چشمم به صد مجاهده آئینه ساز شد *** تا با یکی

مشاهده شیدا کنم ترا

بالای خود در آینه‌ی چشم من بین *** تا با خبر

ز عالم بالا کنم ترا

مستانه کاش بر حرم و دیر بگذری *** تا قبله‌گاه

مؤمن و ترسا کنم ترا

خواهم شبی نقاب ز رویت برافکنم ***

خورشید کعبه، ماه کلیسا کنم ترا^۱

^۱ يقول: «متی غِیْبَتَ عَنِ الْقَلْبِ حَتَّى أَمْتَنَّاكَ، أَوْ كُنْتَ خَفِيًّا فَأَبْحَثَ عَنْكَ.

گرافتد آن دو زلف چلیپا به چنگ من ***

چندین هزار سلسله در پا کنم ترا

طوبی و سدره گر به قیامت به من دهند *** یکجا

فدای قامت رعنا کنم ترا

زیبا شود به کارگه عشق کار من *** هرگه نظر به

صورت زیبا کنم ترا

رسوای عالمی شدم از شور عاشقی *** ترسم

خدا نخواسته رسوا کنم ترا

با خیل غمزه گر به وثاقم گذر کنی *** میر سپاه،

شاه صف آرا کنم ترا^۱

لم تَغِبْ عَنِّي حَتَّى أَطْلَبَ حُضُورَكَ، و لم تَخْتَفِ حَتَّى أَكْشِفُ عَنْكَ النِّقَابَ.
لقد خَرَجْتَ (عَلَيَّ) بِمِائَةِ أَلْفٍ مَظْهَرٍ، فَتَطَلَعْتُ إِلَيْكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ بَاصِرَةٍ.
أَصْبَحْتَ عَيْنَايَ - بِجَهْدِ مِائَةِ مَرَّةٍ - تَصْنَعُ الْمَرَايَا، حَتَّى أَجْعَلَكَ تَعَشِقُ بِنَظَرَةٍ
وَاحِدَةٍ.

أَنْظُرُ إِلَى قَامَتِكَ فِي مَرَاةِ عَيْنِي حَتَّى أَخْبِرَكَ عَنِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَاطْلِعُكَ عَلَى أَنْبَاءِهِ.
لَيْتَكَ تَمَرَ نَشْوَانًا بَدَلَالٍ عَلَى الْحَرَمِ وَالدَّيْرِ، حَتَّى أَجْعَلَ مِنْكَ قِبْلَةً لِلْمُؤْمِنِ وَ
الرَّاهِبِ.

أَتَمَنَّى أَنْ أَزِيحَ عَنْكَ اللَّثَامَ لَيْلَةً، فَاصْبِغْ مِنْكَ شَمْسًا لِلْكَعْبَةِ وَقَمْرًا لِلْكَنِيْسَةِ».
^۱ يقول: «لو وقعت بقبضتي ذؤابتا شعرك اللتان على شكل صليب، لجعلت
منها آلاف السلاسل لقدمي.

نعم، أن هذين الدعاءين الأخيرين «إلهي! كيف

يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ»، و«إلهي! عميت عين^ك»، هما الفقرتان ١٩ و

٢٠ من المجموعة الخامسة و الثلاثين من مناجاة الشيخ

تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله

الإسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ.^١

و لو اعطيت يوم القيامة السدره و طوبى، لقدّمتهما كليهما قرباناً لقامتكَ
الساحرة في آن واحد.

يزداد عملي في مصنع العشق جمالاً و رقةً، كلما ألقيت نظرةً على وجهك الوضّاح.
لقد ذاع سري و فضحتُ في العالمين من فرط حبي (لك)، و أخاف، لا سمح
الله، أن (اجبرَ ف) أفضح سرك.

لو مررت على وثاقي و رميتني بنظرة واحدة، لجعلت منك أميراً للجيش».

^١ جاء في «كشف الظنون» ج ١، ص ٦٧٥: «الحكم العطائية» للشيخ تاج الدين
أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندري
الشاذلي المالكي، المتوفى بالقاهرة سنة تسع و سبعمائة (٧٠٩)، أولها: من علامة
الاعتماد على العمل، نقصان الرجاء عند وجود الزلل - إلى آخره. و هي حكم
منثورة على لسان أهل الطريقة.

ولما صنّفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأمّلها و قال له: لقد أتيت
يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الأحياء و زيادة، و لذلك تعشّقها أرباب الذوق
لما رق لهم من معانيها و راق، و بسطوا القول فيها و شرحوها كثيراً. فمن
المؤلّفات عليها شرح شهاب الدين أحمد بن محمد البرلسي [البرنسي] المعروف
بـ(زرّوق) و هو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذي شرف عباده - إلى آخره. و
ذكر في بعض شروحه أن الحكم مرتّب بعضها على بعض فكل كلمة منها توطئة
لما بعدها و شرح لما قبلها.

و أمّا البقيّة، فهي كما يلي:

١- إلهي! أنا الفقير في غنائي، فكيف لا أكون فقيراً في

فقري؟!

و أنّه درس الحِكم خمسة عشر درساً و كتب كلّ مرّة شرحاً من ظهر القلب كلّه بعبارة أخرى، و قيل أن للشيخ زروق ثلاثة شروح على الحِكم، لكنّ الأصحّ ما كتبه نفسه». و هنا يشير صاحب «كشف الظنون» ضمن بحث تفصيلي إلى عدد الشروح التي كُتبت على كتاب «الحِكم العطائية».

نعم، و أمّا أشهر ما هو معروف من الشروح على ذلك الكتاب هو شرح الشيخ أحمد زروق المطبوع من قبل مكتبة النجاح في طرابلس الغرب بتحقيق اثنين من العلماء. و قد جاء في مقدّمة هذين العالمين ما مفاده: كان (الشيخ تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي) تلميذ المُرسيّ أبي العباس المعروف، و قد كتب الشيخ زروق ثلاثين شرحاً على هذا الكتاب، و هذا هو الشرح السابع عشر منها. و قال في «شذرات الذهب»: و كتب أكثر من ثلاثين شرحاً على «الحكم العطائية». وُلد الشيخ أحمد زروق في يوم الخميس الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ثمانمائة و ستّة و أربعين (للهجرة) و كانت وفاته في سنة ثمانمائة و تسعة و تسعين.

(و هذا الغنى هو عين الحاجة و العوز لأنه منك أنت!

فكيف إذن لا أكون فقيراً إليك و محتاجاً لك في عين فقري

و حاجتي اللتين كانتا حالة عدمي؛ و كان أصل وجودي

و أساسه و منشأه هما فقدان و العدم؛ و الفناء و كتم

العدم كانتا المادّة الأولىّ لحدوثي و تحقُّقي في المرحلة

الماهويّة؟!).

٢- إلهي! أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً

في جهلي؟!!

(و هذا العلم هو عين الجهل لأنه منك. فكيف إذن لا

أكون ثابتاً على الجهل في نفس الوقت الذي تغمرني فيه

جهالتي و جهلي و اللتان كانتا لي حالة العدم الأصليّ و

الفقدان الماهويّ و العدم الذاتي؟!).

٣- إلهي! أن اختلاف تدبيرك و سرعة حلول

مقاديرك، منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء

و اليأس منك في بلاء!

(و ذلك لأن سرعة حلول البلايا في عقب النعم و

الآلاء، و سرعة حلول النعم و الآلاء في عقب البلايا

شديدة جداً و مستمرة بالتناوب و التعاقب كالدولاب و العجلة اللتان تدوران باستمرار، و هي لا تهب أحداً سكوناً أو هدوءاً في مقابل النعم و الآلاء أو اضطراباً أو قلقاً في مقابل النقم و البلايا، إلا الجاهلين بمقام عزة الربوبية و الخاوية جعبهم من أسرار حرمه و حريمه؛ و هي لا تطرأ على العارفين بك و بجلالك الأقدس و جمالك المقدس، و المؤمنين بإرادتك القاهرة و مشيتك الظاهرة!).

٤- إلهي! مني ما يليق بلؤمي؛ و منك ما يليق

بكرمك!

(لأنني لا شيء، و فقير و حادث و عاجز و جاهل؛ كل

تلك العلامات السوداء و البقع الداكنة الناشئة ماهيتي

البائسة و هي مما يناسبني تماماً و يليق بي؛ و أمّا أنت، فأنت

الوجود المطلق و الغني بالذات و القديم بالأصالة و

القادر و العالم؛ و لا تدلّ هذه الصفات إلا ازدياد مرتبة

الشرف و الفضيلة و الكرامة و المجد و العظمة).

٥- إلهي! وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَ الرَّأْفَةِ بِي قَبْلَ

وَجُودِ ضَعْفِي؛ أَفَتَمَنَعُنِي مِنْهَا بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفِي؟!

(و ذلك لأنّ الصفتين اللتين ذكرتهما أنت في القرآن

الكريم: اللطف و الرأفة، ليستا مختصّتين بالضعف أو غيره

في عبادك).

٦- إلهي! أَنْ ظَهَرْتَ الْمَحَاسِنُ مِنِّي، فَبَفَضْلِكَ وَ لَكَ

الْمِنَّةُ عَلَيَّ؛ وَ أَنْ ظَهَرْتَ الْمَسَاوِيءُ مِنِّي، فَبِعَدْلِكَ وَ لَكَ

الْحُجَّةُ عَلَيَّ!

(و ذلك لأنّ حسناتي و فضائلي إنّها هي جميعاً موهوبة

لي لا عن استحقاق ذاتي، بل بفضل منك و رحمة، بعيداً عن

المادّة الأوّليّة. و أمّا سيّئاتي و مساوئي فلم تكن من عندك،

لأنّ النقص و العيب لا يعتريانك (أبداً)، و لا يصدر عنك

ظلم أو جور؛ وَ الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ! لِأَنَّكَ الْمَلِكُ وَ الْمَالِكُ؛

تأتي بما تشاء في حوزة ملكك و سلطانك؛ وَ لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ

فِي جَمِيعِ ذَلِكَ! فَلَوْ بَدَرْتُ مِنِّي الْمَسَاوِيءُ أَوْ ظَهَرَ شَيْءٌ مِنْهَا

فهي مِنِّي، و استناداً إلى قانون العقوبات الخاصّ بالعبوديّة

فإنّ تعزيرك و تأديبك لي و معاقبتي لا يكون إلا من جهة

عدلك؛ و لو ظهرت مني محاسن أو فضائل فهي لم تكن
لتظهر لو لا فضلك على و مشيئتك في زيادة خيري و المن
على برحمتك و فضلك. و على هذا، ففضلك قائم و
تفضلك سابق!).

٧- إلهي! كَيْفَ تَكِلْنِي وَ قَدْ تَوَكَّلْتُ بِِي؟! (بإيصال

المنافع إلى و دفع المضارّ عني و التحرك في مراحل
الاستعداد في كلّ حال) وَ كَيْفَ اضْمَأْ وَ أَنْتَ النَّصِيرُ لِي؟!
أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ وَ أَنْتَ الْحَفِيّ بِِي?!

ها أنا أتوسّل إليك بِفقرِي إليك! وَ كَيْفَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ

بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ؟! (لأنّ كلّ ما هو موجود من
مُلك و ملكوت يروح تحت أمرك؛ لا فوق أمرك و لا
مساوياً له) أَمْ كَيْفَ أَشْكُو إِلَيْكَ حَالِي وَ هِيَ لَا تَخْفَى
عَلَيْكَ؟! أَمْ كَيْفَ أَتَرْجِمُ لَكَ بِمَقَالِي وَ هُوَ مِنْكَ بَرَزَ إِلَيْكَ?!

أم

كَيْفَ تَحِبُّ أَمْالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ؟! أَمْ كَيْفَ لَا

تُحْسِنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ؟!

٨- إلهي! مَا أَلْطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي! وَمَا أَرْحَمَكَ

بِي مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي!

(إن لطفك بدأ من لحظة جهلي بمقامك و قدرك،

فأرشدتني، و من ظلمات الجهل و الفتن حررتني! و أن

رحمتك بدأت ساعة اجتراحي للسيئات و المعاصي،

فكنت حليماً و كريماً «معي» في حين لا يبدر مني إلا

التقصير في أداء واجباتي!).

٩- إلهي! مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي، وَمَا أَبْعَدَنِي عَنْكَ!

(إن تقربك إلى ناجم عن أصل وجودك و ذاتك

المقدّسة و قدرتك و علمك و مشييتك و إرادتك و

سيطرتك و هيمنتك، التي لا تُوصَف؛ و ما ابتعادي منك

و بُعدي عنك إلا نتيجة ظُلْمة ماهية الإمكان و البون

الشاسع بين عبوديتي و ربوبيتك!).

١٠- إلهي! مَا أَرَأْفَكَ بِي! فَمَا الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ؟!

(إن مظاهر عالم الكون جميعاً هي دلائل و شواهد على

رأفتك؛ و يتوجّب على أن أراك و اشاهدك في جميع تلك

المظاهر! فما السبب إذن وراء احتجاب قلبي (و بصيرتي)

عن شرف التقرب إليك، و الكرامة و الفضيلة في رؤيتك

و مشاهدتك؟!).

١١ - إلهي! قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الْآثَارِ وَ تَنْقُلَاتِ

الْأَطْوَارِ أَنْ مُرَادَكَ مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَى فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَا

أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ!

نعم، لأنّ جميع موجودات العالم سوى الله، مرتبطة

بظهوره، فهو ظاهر فيها بالذات أوّلاً، و بالعرض و ظهور

الإنّيّة و الماهيّة عندها ثانياً.

در هر چه بنگرم تو پدیدار بوده‌ای *** ای

نانموده رخ تو چه بسیار بوده‌ای^۱

أبيات هاتف الإصهاني في تجلي الله تعالى في كل مكان

یار بی‌پرده از در و دیوار *** در تجلی است یا اولی

الأبصار

شمع جوئی و آفتاب بلند *** روز بس روشن و

تو در شب تار

گر ز ظلمات خود رهی، بینی *** همه عالم مشارق

الأنوار

کوروش قائد و عصا طلبی *** بهر این راه روشن

و هموار

چشم بگشا به گلستان و بین *** جلوه‌ی آب

صاف در گل و خار^۲

^۱ يقول: «ما نظرتُ إلى شيءٍ إلا و صورتك فيه، يا ساتراً وجهك، كم كنت تبدو كثيراً».

^۲ يقول: «أن الحبيب مُتجلاً من وراء الباب و الجدار، (فافهموا) يا اولي الأبصار. أتبَّحْتُ عن الشمعة و هذي الشمس مشرقة (في كبد السماء)؟، و هو ذا النهار مُضيء و أنت تَرزح في ليل مُدْهَمٌ.

إذا أنت تخلصت من ظلمات نفسك، ستري العالم كله مشارق للأنوار.

ز آب بی‌رنگ صد هزاران رنگ *** لاله و گل

نگر در آن گلزار

پا به راه طلب نه از ره عشق *** بهر این راه

توشه‌ای بردار

شود آسان ز عشق کاری چند *** که بود نزد

عقل بس دشوار

یار گو بالغدو و الأصال *** یار جو بالعشی و

الإبکار

صد رَهت لَنْ تَرانی ار گوید *** باز می‌دار دیده

بر دیدار

تا به جائی رسی که می‌نرسد *** پای او هام و پایه

افکار^۱

أَتَطْلُبُ مِنْ أَعْمَى أَنْ يَقُودَكَ وَ تَطْلُبُ عَصَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي هَذَا الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
وَالْمَمَهَّدِ؟

افتح عينيك و انظر إلى البستان، و إلى الماء الرقاق و هو يتخلل الطين و
الأشواك».

^۱ يقول:

«انظر إلى الآلاف المؤلفة من الألوان الزاهية للزهور و الورود في (هذه)
الروضة (الغناء) فكلها من صنع ذلك الماء العديم اللون.

بار یابی به محفلی کآنجا *** جبرئیل امین ندارد بار

این ره، آن زادِ راه، آن منزل *** مرد راهی اگر بیا

و بیار

ورنه ای مرد راه چون دگران *** یار می گوی و

پشت سر می خار

هاتف ارباب معرفت که گهی *** مست

خوانندشان و گه هشیار

از می و بزم و ساقی و مطرب *** وز مُغ و دیر و

شاهد و زُنار

قصد ایشان نهفته اسراری است *** که به ایما

کنند گاه اظهار^۱

أبدأ في طلبِ المدينة عن طريق العشق، و احمِلُ معك زاداً و مؤونة للسیر في هذا الطريق.

و رُبَّه أعمالٍ كثيرة تسهّل بالعشق، و يصعب على العقل فهمها أو إدراكها.

الهج باسم الحبيب بالغدو و الأصال، و ابحت عنه بالعيش و الإبكار.

و لو قال لك (الحبيب) لن تراني، مائة مرة، (فلا تيأس) و استمرّ بمسيرك نحوه

(و لا تضيع هدفك) و ارتقب اللقاء (و الوصال).

حتى تصل إلى مكانٍ حيث لا وجود للأوهام أو الأفكار.

^۱ يقول: «فستحصل في محفل هناك على زادٍ لم يُقدّر لجبرئيل الحصول عليه.

پی بری گریه رازشان دانی *** که همین است سر

آن اسرار

که یکی هست و هیچ نیست جز او *** وَحَدَهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ^۱

۱۲- إلهي! كلّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي، أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ! وَ

كَلّمَا أَيَّاسْتَنِي أَوْصَافِي، أَطْمَعْتَنِي مِنْكَ!

فهو ذا الطريق، و هو ذا زاد الطريق، و ذلك هو المنزل (و المقام)، فلو كنت رجلاً تُريد خوض الغمار تعال إذن و هات ما عندك.

و إذا لم تكن رجلاً كما هو مع الرجال (الذين عجزوا عن ذلك)، فردّد إذن عبارة «يا حبيب يا حبيب!» و حُكّ خلف اذنك (بَطْرًا).

يا «هاتف!» أن أرباب المعرفة و أساطينها الذين تحسبهم أحياناً سُكّارى و أحياناً أخرى تظنّهم صحابة.

إنّما ذلك بفعل الخمر و سُقاتها و المجون و المطربين و الرهبان و الدير و الشاهد و الزنّار.

إن في ثنايا عملهم هذا تكتّم أسراراً، يُظهِرونها أحياناً من خلال الإيحاءات (و الإشارات)».

^۱ يقول: «ستعلم إن أنت كشفت سرّهم، أن هذا هو سرّ الأسرار.

وجود واحد و لا شيء غيره، وَحَدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

ديوان «السيد أحمد هاتف الأصفهاني» البند الأخير من ترجيع بنده.

١٣- إلهي! مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِيَّ، فَكَيْفَ لَا

تَكُونُ مَسَاوِيْرُهُ مَسَاوِيَّ؟! وَ مَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِيَّ،

فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيَّهِ دَعَاوِيَّ؟!

(لأن العيوب و النقصان و الزلل و غير ذلك تتخلل

محاسنه، و لهذا فإنَّ معاد تلك المساويِّ إنما يكون إلى

القبح؛ فكيف إذا ما تطرَّقنا إلى قبائحه و مساوئه التي يكون

فيها القبح أصلاً لها و مادّة تتكوّن منها؟! و إذا ما تأملت

حقائق كلامه و سلوكه لرأيت أن محاسنه قد امتزجت مع

ادّعاءاته الكاذبة و الباطلة؛ فكيف إذا تطرَّقنا إلى ادّعاءاته

التي هي باطلة و كاذبة من الأساس!؟).

١٤- إلهي! حُكْمُكَ النَّافِذُ، وَ مَشِيَّتُكَ الْقَاهِرَةُ، لَمْ

يَتْرُكَ لِي مَقَالَ مَقَالًا، وَ لَا لِي حَالٍ حَالًا!

(لأنَّ كلَّ صاحب حديث و كلام مهما كان حديثه

جميلاً و كلامه ممتعاً، و كلَّ صاحب حال مهما كان في يُسر

و رخاء، قد يتحوّل كلُّ ما لديه فجأةً إلى عدم و خراب و

ذلك على أساس الحكم النافذ للحقِّ تعالى و مشيئته

الغالبه).

١٥- إلهي! كم من طاعة بنيتها، و حالة شيدتها، هدم

اعتمادي عليها عدلك! بل أقالني منها فضلك!

(و ذلك لأن صفة العدل (التي تمتلكها) لم تترك لي

طاعة أو حالة يمكنني الاتكاء و الاعتماد عليها، لكن

اتصافك بالفضل هو أملي و كل ما بقي لي؛ و ها هي ذي

يدي فارغة إلا من النظر إلى فضلك الزائد و رحمتك

الواسعة، إذ لم يبق لي شيء غيرهما).

١٦- إلهي! إنك تعلم: و أن لم تدم الطاعة مني فعلاً

جزماً، فقد دامت محبةً و عزماً!

١٧- إلهي! كيف أعزم و أنت القاهر؟! و كيف لا

أعزم و أنت الأمر؟!

(لأنني عرفتُ الله بنقض العزائم. و أن ما يعترني

الحالات من تبديل و تبدل إنما هما من الامور العجيبة و

المدهشة و من الأسرار الغامضة الرائعة التي لا يمكن

لأحد غير الذات المقدسة للحق تعالى الوصول إليها و

العلم بها).

١٨- إلهي! تَرُدُّدِي إِلَيْكَ فِي الْآثَارِ، يُوجِبُ بُعْدَ

الْمَزَارِ؛ فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ!

١٩- إلهي! كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ

مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ- إلى آخره.

٢٠- إلهي! عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَكَ عَلَيْهَا قَرِيبًا رَقِيبًا- إلى

آخره.

(و قد مرّ تفسير هاتين الفقرتين).

٢١- إلهي! أَمَرْتُ بِالرُّجُوعِ إِلَى الْآثَارِ، فَارْجِعْنِي إِلَيْهَا

بِكِسْوَةِ الْأَنْوَارِ وَ هِدَايَةِ الْإِسْتِبْصَارِ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا

كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا مَصُونِ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا، وَ

مَرْفُوعِ الْهِمَّةِ عَنِ الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ

شيءٍ قديرٍ!

٢٢- إلهي! هذا ذلّي ظاهرٌ بينَ يديكَ! وَ هَذَا حَالِي لَا

يُخْفِي عَلَيْكَ! مِنْكَ أَطْلُبُ الْوُصُولَ إِلَيْكَ! وَ بِكَ أَسْتَدِلُّ

عَلَيْكَ! فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ! وَ أَقْمِنِي بِصِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ

يَدَيْكَ!

(لأنه ثبت لدى و أصبح مشهوداً أن لا مؤثراً غير على

الإطلاق، و أن جميع الأسباب محكومة بحكمك و تابعة

لاختيارك و انتخابك و مشيئتك. و لذا، فأنت وحدك

يمكنك أن تفتح لي طريق الوصول إلى حرم عزّتك (و

حريم قدسك)! و هذه الآثار هي ظهوراتك، و أنت

الظاهر من خلالها، فأطلبُ منك يا مَنْ تُمَثِّلُ تلك

الظهورات أن توصلني إلى الظهورات التي هي وجودك

المقدّس! و خَلِّصْنِي مِنْ دَعَاوَى بَقَدَمِ الصِّدْقِ النَّافِيَةِ

للدعاوى الباطلة، و أَقْمِنِي فِي عَالَمِ التَّحَقُّقِ وَ الْوَأَقِيعَةِ بِكُلِّ

معنى الكلمة).

٢٣- إلهي! عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَ صُنِّي

بِسِرِّ اسْمِكَ الْمَصُونِ!

(فقد خصصتَ بذلك العِلمَ المخزون أولياءك
الموثوق بهم من قبلك المُتوكِّلين عليك. و حفظتَ بذلك
الاسم الخاصَّ كلِّ محبِّ صادق و حبيب مخلص و صُنَّته
من كيد الأعداء كالشيطان و النفس الأمَّارة بالسوء، و
اكتنفته بقدرتك و عزَّتكَ! أسألك (إلهي) أن تُلحِقني
بهم).

٢٤- إلهي! حَقِّقْني بِحَقَائِقِ أَهْلِ الْقُرْبِ، وَ اسألكُ بي

مَسأَلِكَ أَهْلِ الْجَذْبِ!

(إن الذين وقفوا على بساط الاضطرار لمواجهة
الافتقار، يتوسَّلون بك على الدوام و هم بك متمسِّكون و
بحبلك معتصمون، لأنهم وجدوا طريقهم إلى معرفتك!).

٢٥- إلهي! أَعْنِي بِتَدْبِيرِكَ عَن تَدْبِيرِي! وَ بِاخْتِيَارِكَ

عَن اخْتِيَارِي!

وَأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَائِزِ اضْطِرَّارِي!

(حتّى لا أشكو حالي! و لا أكشف سِرِّي بكلامي! و
أجعلُ منك شاهداً على (في كلِّ الأحوال) و رقيباً (على
أعمالي و أورادي)، و صاحب الإرادة و الاختيار. و أن
أكون يقظاً في مواقع الضعف و الحاجة حتى لا أجراً، لا
سمح الله، على نسبة الصفات الربوبية، التي هي من حقك
أنت، إلى نفسي و أنا عبدك المحتاج من رأسي إلى أخص
قدمي!).

٢٦- إلهي! أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي! وَ طَهِّرْنِي مِنْ
شَكِّي وَ شِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي! بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَاَنْصُرْنِي،
وَ عَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلَا تَكِلْنِي، وَ لِجَنَابِكَ أَنْتَسِبُ فَلَا تُبْعِدْنِي
عَنكَ، وَ بِبَابِكَ أَقْفُ فَلَا تَطْرُدْنِي، وَ إِيَّاكَ أَسْأَلُ فَلَا تُخَيِّبْنِي!
٢٧- إلهي! تَقَدَّسَ رِضَاكَ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ،
فَكَيْفَ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي! أَنْتَ الْغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ
إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ، فَكَيْفَ لَا تَكُونَ غَنِيًّا عَنِّي!؟

٢٨- إلهي! أَنْ الْقَضَاءَ وَ الْقَدَرَ غَلَبْنِي! وَ أَنْ الْهُوَى
بِوَثَاقِ الشَّهْوَةِ أَسْرَنِي! فَكُنْ أَنْتَ النَّصِيرَ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي فِي

نَفْسِي وَ تَنْصُرَ بِي! وَ أَغْنِنِي بِجُودِكَ حَتَّى أَسْتَعِينِي بِكَ عَنْ
طَلْبِي!

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الْأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ! وَ أَنْتَ
الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ!

أَنْتَ الْمُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمْ الْعَوَالِمُ؛ وَ أَنْتَ
الَّذِي هَدَيْتَهُمْ حَيْثُ اسْتَبَانَ لَهُمُ الْمَعَالِمُ!

مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ؟! وَ مَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ؟!
لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلًا! وَ لَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى
عَنْكَ مُتَحَوِّلاً!

٢٩- إلهي! كيف يُرجى سواك و أنت الذي ما قطعَت

الإحسان؟!!

وَ كَيْفَ يُطَلَّبُ مِنْ غَيْرِكَ وَ أَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ

الامْتِنَانِ؟!

يَا مَنْ أذَاقَ أَحْبَابَهُ حَلَاوَةَ مُؤَانَسَتِهِ، فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ

مُتَمَلِّقِينَ! وَيَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلَابِسَ هَيْبَتِهِ، فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ

مُسْتَعِزِينَ!

أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قَبْلِ ذِكْرِ الذَّاكِرِينَ! وَ أَنْتَ الْبَادِيُّ

بِالْإِحْسَانِ مِنْ قَبْلِ تَوَجُّهِ الْعَابِدِينَ! وَ أَنْتَ الْجَوَادُ بِالْعَطَايَا

مِنْ قَبْلِ طَلَبِ الطَّالِبِينَ! وَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا

مِنَ الْمُسْتَقْرِضِينَ!

٣٠- إلهي! اطلُبْني بِرَحْمَتِكَ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ! وَ

اجْذُبْني بِمِيتِكَ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْكَ!

٣١- إلهي! أَنْ رَجَائِي لَا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَ أَنْ عَصِيَّتِكَ؛

كَمَا أَنْ خَوْفِي لَا يُزَايِلُنِي وَ أَنْ أَطَعْتُكَ!

٣٢- إلهي! قَدْ دَفَعْتَنِي الْعَوَالِمُ إِلَيْكَ؛ وَ أَوْقَفَنِي عِلْمِي

بِكْرَمِكَ عَلَيْكَ!

٣٣- إلهي! كَيْفَ أَخِيبُ وَ أَنْتَ أَمْلِي؟! أَمْ كَيْفَ أَهَانُ

وَ عَلَيْكَ مُتَّكِلِي؟!

٣٤- إلهي! كيف أستعزُّ و في الذلَّة أركزْتيني؟! أم

كيف لا أستعزُّ و إليك نسبتني؟!!

٣٥- إلهي! كيف لا أفقرُّ و أنت الذي في الفقرِ

أقمتني؟! أم كيف أفقرُّ و أنت الذي بجودك أغنيتني؟!!

أنت الذي لا إله غيرك! تعرَّفت لكلِّ شيءٍ فما جهلك

شيء؟! و تعرَّفت إلى في كلِّ شيءٍ فرأيتك ظاهراً في كلِّ شيءٍ!

فأنت الظاهرُ لكلِّ شيءٍ!

يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرشُ غيباً

في رحمانيتك [رحمانيته]؛ كما صارت العوالمُ غيباً في عرشه!

مَحَقَّتِ الْأَثَارَ بِالْأَثَارِ! وَ مَحَوَّتِ الْأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ

أَفْلَاكِ الْأَنْوَارِ!

يَا مَنْ احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ

الْأَبْصَارُ!

يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتُهُ الْأَسْرَارُ!

كَيْفَ تَخْفَى وَ أَنْتَ الظَّاهِرُ؟! أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَ أَنْتَ

الرَّقِيبُ الحَاضِرُ؟!^١

نعم، أن هذا الدعاء لا يمكن أن نجده في كتب أدعية

الشيعة إلا في النسخ المطبوعة لكتاب «الإقبال» للسيد ابن

طاووس رضوان الله عليه، و في كتاب آخر، هو «مفاتيح

الجنان» للمحدث المعاصر المرحوم الحاج الشيخ عباس

^١ «الحكم العطائية، و المناجات الإلهية» و الذي يجيء بعده كذلك «الحكم

العطائية الصغرى» طبعة المكتبة العربية بدمشق، أحمد عبّيد، الطبعة الثانية (١

رجب سنة ١٣٩٤ هـ) ص ٨٠ إلى ٩٠؛ و لكننا انتقينا نصّ العبارات تلك من

«شرح حكم ابن عطاء الله» تأليف الشيخ أحمد زروق (و الذي طُبِعَ بتحقيق

الدكتور عبد الحليم محمود و الدكتور محمود بن شريف في مكتبة النجاح-

طرابلس الغرب، الاستاذ محمد نور الدين بريون) من ص ٤٤٨ إلى ٤٧٣. و كما

يظهر من مقدّمة هذين المحقّقين على الكتاب، أن الشيخ زروق (أحمد بن أحمد

بن محمد) كان من فاس (المغرب).

القَمِّيّ رحمة الله عليه، حيث نسباه إلى سيّد الشهداء أبي عبد
الله الحسين عليه أفضل الصلوات في تتمة دعاء يوم عرفة
و ذيله.

نظر المجلسي رحمه الله في شأن دعاء عرفة و ذيله

«و محصل الكلام أنّه و طبقاً لرواية الكفعمي في
حاشية كتاب «البلد الأمين» فإنّ السيّد حسيب (نسب
رضي الدين علي بن طاووس قدس الله روحه) قال في
كتاب «مصباح الزائر» ما قوله:

روي بشر و بشير (ابنا غالب الأسدي) أن الإمام
الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام خرج من
خيمته عصر يوم عرفة في عرفات في خضوع و خشوع و
سار بهدوء حتى وقف هو و جماعة من أهل بيته و أولاده

و غلمانه عند الجانب الأيسر لجبل عرفات [جبل
الرحمة] مؤلّين وجوههم شطر البيت الحرام. ثمّ رفع يديه
أمام وجهه كالمسكين الذي يطلب الطعام و بدأ بقراءة
هذا الدعاء: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ** - إلى آخر
الدعاء و الذي آخره **يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ**، و ليس في آخره
العبارات **إِلَهِي! أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ** - إلى آخره. (كان هذا ما
ورد في حاشية «البلد الأمين» [و التوضيح الأخير هو لنا].
ثمّ روي السيّد ابن طاووس رواية بشر و بشير اللذين
كانا من قبيلة «بني أسد» في كتاب «مصباح الزائر» في
الكلام عن يوم عرفة بنفس الشكل الذي أوردناه نحن في
حاشية «البلد الأمين»، ثمّ روي هذه الرواية حسب
مضمون «البلد الأمين»^١.

كان ذلك هو كلام المجلسي رحمه الله في «بحار
الأنوار». ثمّ ذكر عدّة أدعية أخرى عن السيّد ابن طاووس

^١ «بحار الأنوار» ج ٢٠، ص ٢٨٢، باب أعمال خصوص يوم عرفة و ليلتها و
أدعتها زائداً على ما مرّ في طيّ الباب السابق، طبعة الكمبانيّ؛ و في الطبعة
الإسلاميّة: ج ٩٨، ص ٢١٤.

في يوم عرفة ثم قال: و قال السيّد: و من الدعوات
المشرفة في يوم عرفة، دعاء مولانا الحسين بن علي
صلوات الله عليه و هو:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ.

و هنا ينقل ابن طاووس هذا الدعاء المفصل عنه

(الإمام الحسين عليه السلام) مع هذه الإضافة:

إِلَهِي! أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي

فَقْرِي - حتى يحتّم الدعاء بالعبارة:

أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَ أَنْتَ الرَّقِيبُ الْحَاضِرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ - انتهى كلامه.

ثم يقول المجلسي رحمة الله عليه: قد أورد الكفعمي

رحمه الله عليه أيضاً هذا الدعاء في «البلد الأمين» و ابن

طاووس في «مصباح الزائر» كما سبق ذكرهما، و لكن ليس

في آخره فيها بقدر ورقة تقريباً و هو من قوله: **إِلَهِي! أَنَا**

الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ إلى آخر هذا الدعاء.

و كذا لم توجد هذه الورقة في بعض النسخ العتيقة من

«الإقبال» أيضاً، و عبارات هذه الورقة لا تلائم سياق

أدعية السادة المعصومين أيضاً، و إنما هي على وفق مذاق

الصوفيّة. و لذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه

الورقة من مزيادات بعض مشايخ الصوفيّة و من إلحاقاته

و إدخالاته.

و بالجملة، هذه الزيادة إما وقعت من بعضهم **أولاً** في

بعض الكتب، و أخذ ابن طاووس عنه في «الإقبال» غفلةً

عن حقيقة الحال؛ أو وقعت **ثانياً** من بعضهم في نفس

كتاب «الإقبال»؛ و لعلّ الثاني أظهر على ما أو ماناً إليه من

عدم وجدانها في بعض النسخ العتيقة و في «مصباح
الزائر»، و الله أعلم بحقيقة الأحوال^١.

و أمّا المرحوم المحدث القمّيّ، فقد ذكر بعد نقل
هذا الدعاء إلى «يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ»، أن الإمام كان يكثر
من قول «يَا رَبِّ»، و أمّا الذين كانوا يستمعون إلى الدعاء،
من الذين اجتمعوا من حوله، كانوا يكتفون بقول آمين.
ثمّ علت أصوات بكائهم مع الإمام عليه السلام حتى
غروب الشمس،

^١ «بحار الأنوار» ج ٢٠، ص ٢٨٧، الطبعة القديمة (الكمبانيّ)؛ و في طبعة
المكتبة الإسلامية: ج ٩٨، ص ٢٢٧ و ٢٢٨.

ثم حزموا أمتعتهم باتجاه المشعر الحرام.

يقول المؤلف (المحدث القمي) أن الكفعمي نقل

دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام في كتاب «البلد

الأمين» إلى هذه الفقرة^١، وورد العلامة المجلسي في «زاد

المعاد»^٢ هذا الدعاء الشريف كما في رواية الكفعمي، إلا

أن السيد ابن طاووس في كتابه «الإقبال» قد زاد على

الدعاء المذكور بعد **يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ** قائلاً: **إِلَهِي! أَنَا**

الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ.

و قد نقل جميع تلك الفقرات بالتفصيل و زاد عليها

في آخرها عبارة **إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ**

وَ حُدَّهُ^٣.

^١ «البلد الأمين» للشيخ إبراهيم الكفعمي، ص ٢٥١ إلى ٢٥٨، منشورات مكتبة الصدوق - طهران.

^٢ «زاد المعاد» للعلامة الملا محمد باقر المجلسي الثاني رحمه الله، ص ٩١ إلى ٩٦، طبعة قديمة جداً بقلم أحمد التبريزي؛ و طبعة المرحوم الحاج الشيخ فضل الله النوري رحمه الله، بقلم مصطفى النجم آبادي: ص ٢٠٩ إلى ٢٢٢.

^٣ «الإقبال» ص ٣٣٩ إلى ٣٥٠، الطبعة الحجرية؛ «مفاتيح الجنان» ص ٢٧١، طبعة الإسلامية، سنة ١٣٧٩ هـ.

نعم، فإنّ هذه المناجاة و الحِكم المنقولة عن ابن عطاء الله هي في الحقيقة من تأليفه هو، وإسنادها إلى سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام غير صحيح.

فكيف يتسنّى للمرحوم السيّد ابن طاووس، و هو المتوفّى في ٥ ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ-^١ أن يتصوّر أن هذه الفقرات من ابن عطاء الله، و هو

المتوفّى في جمادى الآخرة سنة^٢ [٧٠٩]، و ينسبها إلى الإمام عليه السلام؟ فالفاصل الزمنيّ بين وفاة هذين الشخصين هو ٤٤ سنة و سبعة أشهر، و بذلك يكون السيّد خلال هذه المدّة، و التي تقرب من نصف قرن، قد توفّي قبل تأليف هذه الأدعية، و على هذا، يمكن الجزم، بأنّ إلحاق هذه الفقرات بدعاء الإمام في يوم عرفة في كتاب

^١ «طبقات أعلام الشيعة» الأنوار الساطعة في المائة السابعة (القرن السابع) تأليف سماحة العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني، ج ٧، ص ١١٧، دار الكتب العربيّة - بيروت، عند ذكر أخبار علي بن موسى بن طاووس.

^٢ «كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون» لحاجي خليفة كاتب الجلبّي: ج ١، ص ٦٧٥، العمود الأيمن؛ و مقدّمة «شرح الحِكم العطائيّة» ص ١٣.

(الإقبال)، قد تحقّق بعد رحيل السيّد. و عليه، فإنّ الاحتمال الثاني للعلامة المجلسي رحمه الله سيكون يقيناً، و أمّا الاحتمال الأوّل الذي يقول فيه: ربّما يكون قد ورد في كتب البعض، ثمّ قام ابن طاووس بنقل ذلك بدون دراية، فهو غير صحيح.

كلّا، و حاشا أن يكون السيّد و هو الذي يمتلك تلك العظمة و المنزلة، قد اقتبس هذا الكلام من كتاب عارف، و ألحقه في آخر دعاء الإمام، ثمّ نسبه إلى الإمام.

و الدليل على ذلك، عدم ذكر السيّد له في كتاب «مصباح الزاهر»، و عدم ورود ذلك في المخطوطات القديمة من كتاب «الإقبال»، اي أن هذه النسخ كانت موجودة في حياة السيّد، و نُسبت إليه بعد وفاته، إلّا أن المجلسي، و لعدم علمه بكتاب «الحكم العطائيّة»، و لا بمؤلفه، أو زمان تأليفه، قد أخطأ في إسناده هذا. و أمّا خطأ المحدث القميّ، و هو الخبير في فنّ البحث و التأليف، فهو أنّه، و بعد أن رأى كلام العلامة المجلسي رحمه الله القائل: لم نعر على هذه الفقرات من الدعاء في النسخ

القديمة من كتاب «الإقبال»، قال في «مفاتيح الجنان»: و
لكن ذكر السيّد ابن طاووس في «الإقبال» بعد كلمة «يَا
رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ» هذه الزيادة؟

ذلك أن هذه العبارة، تؤكد إسناده هذا الدعاء إلى
السيد ابن طاووس، و كان عليه أن يقول: و قد شوهدت
هذه الإضافة في بعض نسخ كتاب «الإقبال».

و حصيلة الكلام، أن هذا الدعاء جيد المضامين، و
لطيف المعاني، و قراءته في كل وقت و حين مفيدة و
نافعة. إلا أنه لا يجوز إسناده إلى سيد الشهداء عليه السلام.
وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلَىٰ وَ آخِرًا، وَ ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا.

نعم، فإنّ العرفاء الأفاضل يعبرون عن التجلّي الذاتي
المقرون بالجمال، بالطلعة البهيّة للمعشوق و المحبوب،
أو إمطة الستار عن المحيّا، أو بإظهار الوجه.

و في ذلك يقول الخواجه شمس الدين محمد حافظ
الشيرازي أعلى الله رتبته:

ساقی بیا که یار ز رخ پرده بر گرفت * کار**

چراغ خلوتیان باز در گرفت

آن شمع سر گرفته دگر چهره بر فروخت ***

وین پیر ساخورده جوانی ز سر گرفت

آن عشوه داد عشق که مفتی ز ره برفت *** و آن

لطف کرد دوست که دشمن حذر گرفت^۱

بار غمی که خاطر ما خسته کرده بود *** عیسی

دمی خدا بفرستاد و بر گرفت

زهار از آن عبارت شیرین دلفریب *** گوئی که

پسته‌ی تو سخن در شکر گرفت

هر سرو قد که بر مه و خور، حسن می فروخت

*** چون تو در آمدی پی کار دگر گرفت

زین قصه هفت گنبد افلاک پر صداست *** کوتاه

نظر بین که سخن مختصر گرفت

^۱ یقول: «هلمّ یا ساق و اسقنا فقد أزال الحبيب الحجاب و بان، و أضاء فرط جماله و حسنه سراج خلوة العشاق.

و ازداد شمع محیا الحبيب المشتعل ضیاءً و نوراً و أضحى هذا الشيخ العجوز شاباً یافعاً من جدید.

و قد غمز العشق غمزة و أغرى إغراءً بحيث وقع قاضي الشرع كذلك في شباهة و احتار في المحبوب، و أغدق الحبيب علينا من حبه حتى هجرنا الأعداء و فارقونا».

حافظ تو این سخن ز که آموختی که یار ***

تعوید کرد شعر ترا و به بر گرفت^۱

و يجب القول، إنّه كلما تقرب العبد إلى الله عزّ و جلّ،

زالت الحجب

إزالة الله تعالى الحُجب عن عين الإنسان إثر سلوكه الحسن

و يجب القول، إنّه كلما تقرب العبد إلى الله عزّ و جلّ،

زالت الحجب

^۱ يقول: «أن الله سبحانه أرسل أنفارا مُستعدّين للتضحية بأنفسهم كعيسى ابن مريم عليهما السلام، لكي يُزيل عنّا إصر الهجر و الفراق الذي أثقل كاهلنا و لوع قلوبنا، و يُخلّصنا من الغمّ.

فاحذر العبارات الرثانة و الكلام المعسول الخادع، كأنّ ثغره فُستقّة ضاحكة معجونة بالسكّر.

إن كلّ من اعتاد على الدلال و الاغترار بقامته و قوامه في مقابل القمر و الشمس، جلس جانباً و كسدت بضاعته و امتهن مهنة أخرى بعد أن خرجت أنت علينا و بدا جمالك و حُسنك.

لقد دوّي صوت العشق و ملأ صداه أركان السماوات السبع، فانظر إلى السفية القليل العقل الذي اعتبر هذه القصة حكاية عابرة لا أهميّة لها.

يا حافظ! من ذا الذي علّمك هذا النمط من الحديث السماويّ و الشّعراقي، اللذان حرزا محبوبك و حفظا معشوقك فطفق يحملها معه كالتميمة؟».

«ديوان حافظ» ص ۱۱۹، الغزليّة رقم ۸۶، طبعة منشورات صفی علی شاه.

النفسانية. أن التقرب إلى الله، يعني حالة كشف

الحجاب، أي القيام بعملٍ ينتهي برفع الحجاب.

علينا أداء كل العبادات بنية التقرب إلى الله، وإلا، فإن

تلك العبادات تكون باطلة، و لا قيمة لها، وإن كانت

عظيمة.

إن التقرب إلى الله، ليس المقصود به تقرباً مكانياً أو

زمانياً أو غير ذلك، لأن الله سبحانه و تعالى لا مكان محدد

له حتى يتقرب الإنسان منه. و لا هو واقع في زمان معين

حتى يقرب الإنسان إلى ذلك الزمان، أن المكان و الزمان

و سائر العوارض و الجواهر، مخلوقات الله، و في قبضة

يمينه {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} ^١.

إلا أن هناك حجبا كثيرة بين النفس الإنسانية و ربها،

تزيد على سبعين ألف حجاب، و على هذا، فإن أي عمل

يقوم به الإنسان، سواء أ كان طاعة، أم ترك معصية، يؤدي

^١ مقطع من الآية ٦٧، من السورة ٣٩: الزمر، و تمام الآية: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ

حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

إلى إزالة حجاب من تلك الحجب، شريطة أن يكون هذا العمل بقصد التقرب إلى الله، أي أن النفس الإنسانية تقترب مرحلة نحو الله، فيتوضح لها صفاؤها و نقاؤها و تطرح عن داخلها القسوة و الظلمة، حتى تزول الحجب عن العبد رويداً رويداً، و لا يبقى أيّ بعدٍ نفسانيّ أو فاصلٍ مكانيّ بينه و بين ربّه.

و حينها، سيرى العبد بعين الله، و يسمع باذنه، و ينطق بلسانه، فتكون عيناه عيني الله، و اذناه اذني الله، و لسانه لسان الله.

و بعبارة أوضح، حتى هذه اللحظة، كانت كلّ الصفات و الأفعال

تنسب إلینا علی سبیل الاستقلال، و أمّا الآن، فصفة
الاستقلال هذه قد انتفت، و طُرحت فی اتون النار، و
تطایر رمادها فی مهبّ ریح الفناء، حیث لا یحمل العبد فی
وجوده و صفاته و أفعاله، غیر الآتیة و المرآتیة، و لهذا
فالله تعالی یتلألاً فی مرآة هذا العبد، و یُظهر وجوده من
نافذته، و ینظر بعینه، و یسمع بأذنه، و ینطق بلسانه، و
یمشی علی رِجلیه، و عن أفکاره یعبر، و بعقله یدرک، فإذاً،
فالله موجود، و لا غیره، و هو یری و یسمع و یتکلم و
یمشی و یفکر و یدرک، و کفی.

و من هنا یقول العارف القدر الشیخ محمود
الشبستری أعلى الله مقامه:

چو نیکو بنگری در اصل این کار * هم او**

بیننده هم دیده است و دیدار

حدیث قدسی این معنی بیان کرد * فَبِی یَسْمَعُ**

وَ بِي يُبْصِرُ عِيَانُ كَرْدٍ^۱

^۱ یقول: «فلو نظرتَ جیداً فی الأمر هذا لرأیت أنه الباصر و البصیر و الإبصار.

بان فی الحدیث القدسی و ظهر أن المؤمن بی یسمع و بی یبصر».

شرح اللاهيجي لحديث: «فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ»

يقول الشارح المحترم لكتاب «گلشن»: و هو الشيخ

محمد اللاهيجي في شرحه لهذين البيتين:

لأنَّ كلَّ ما موجود إنَّما هو موجود بحقيقة كلِّ وجود

الحقِّ، و لا شيء غير، فهذا معنى قوله:

چونیکو بنگری در اصل این کار *** هم او

بیننده هم دیده است و دیدار

«گلشن راز» ص ۱۴، بخط النستعليق لعلماد الأردبيلي، سنة ۱۳۳۳ شمسي،

المصادف سنة ۱۳۷۴ هـ. ق.

فلأن أصل الوجود هو الحقّ تعالى، ولا موجود غيره،
 فتفكّر و تأمّل مليّاً، فستعرف بأن لا وجود لغير الحقّ،
 فالناظر هو، والمنظور هو الإنسان، والنظرة هي للوجه
 الذي ينعكس في المرأة، فكّلهم الحقّ تعالى، و جميع
 الصور، إنّما هي مظاهر للحقّ، و قد تجلّى بكلّ صورة و
 مظهر، و تجلّيه الأقدس على هيئة صور الأعيان الثابتة، و
 التي هي الصور المعقولة للأسماء الإلهية المخزونة في
 العلم. حيث ظهر بصفة القابلية، و التجلّي المقدّس هو
 المراد به التجلّي الشهودي، و الذي يظهر جليّاً على صورة
 تلك الأعيان، و بحسب استعداداتها.

عشق هر دم ظهور دیگر داشت * زان کند نقش**

مختلف پیدا

هر دم از کون سر برون آرد * روی دیگر نماید**

از هر جا^۱

^۱ يقول: «لقد كان للعشق في كلّ آن ظهور آخر، و يُبدي من ذلك صورة مختلفة
 عن الأخرى.

و كلّما ظهر في ناحية من نواحي الكون، ظهر بوجه آخر من مكان آخر».

و هذا «مقام أحديّة الجمع» و «المقام المحمّديّ»
 صلى الله عليه و آله و سلّم الذي تجلّت حقيقة الوجدانيّة
 في مظهر الفرديّة {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ
 رَمَى}.^١ {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}،^٢ لأنّ
 استحكام المكشوفات و متانتها بشهادة البراهين العقليّة،
 يقول:

حديث قدسي اين معنى بيان كرد * فبى يسمع**

وَبى يُبصرُ عيانُ كرد

و الحديث القدسيّ هو أن ذلك المعنى نزل على النبيّ
 بدون واسطة^٣، و معنى عبارة الحديث القدسيّ التي
 جاءت في البيت السابق هي:

^١ مقطع من الآية ١٧، من السورة ٨: الأنفال، و تمام الآية: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ
 لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
 مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

^٢ صدر الآية ١٠، من السورة ٤٨: الفتح، و تمام الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
 إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ
 مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

^٣ و للحديث القدسيّ ميزة أخرى هي أنّه لا يجب اعتباره معجزة للنبيّ، و لذا
 فإنّ القرآن الكريم لا يُعتبر من الأحاديث القدسيّة.

لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا

أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَ لِسَانَهُ وَ يَدَهُ وَ رِجْلَهُ. فَبِي

يَسْمَعُ وَ بِي يُبْصِرُ وَ بِي يَنْطِقُ وَ بِي يَبْطِشُ وَ بِي يَسْعَى.

و في رواية: وَ بِي يَمْشِي.

اعلم أن محبة الله الصمد من قبل العبد، عند العارفين،

هي تجلُّ لنفحات الألفاظ الربانية من مهبّ البوادي في

غمرة تلاطم أمواج بحر الإرادة، و التي هي برزخ الغيب

و الشهادة، الهابة من اسس وجود الأكوان و مفاتيح غيب

الأعيان، و التي تخصّ المظاهر الظاهرة، و المجالي

الزاكية، و التي هي مكنن الآثار القدسيّة، و حملة الأسرار

الانسيّة، حيث تطهّر مرايا بواطن المستقبلين للفيض

الجماليّ من كدورات الآثار المجالية الجسمانيّة، و ظلّمة

الشهوات النفسانيّة، و عن طريق رفع حجاب العوائق و

العلائق، و دفع عذاب القواطع و الموانع، تقترب من

بساط القُرب. و تُذيق متعطّشي زلال الوصال، لذّة شراب

روح الانس.

و محبة طالب الحق، هي انجذاب سرّ السالك
المشتاق، نحو تحصيل هذه المعاني التي هي منشأ سعادة
الطالبين، و منع كمال الراغبين، و ميل باطن الطالب لدرك
نتائج هذه الحقائق، حيث جمال الطالبين منها محروم و
بسبب فقدان هذه الثروة و السلطان، فهم تحت نير الذلّ و
العار. شعر:

این سعادت هر که را در بر گرفت *** خاک

پایش را فلک بر سر گرفت

هر که او از خود به کلّی وانرست *** نایدش

درّی از این دریا به دست

خود محبت فارغ از ما و من است *** هر که او را

دوست، خود را دشمن است^۱

و ما ذکر فی شرح المحبّة، هو بعینه عبارة قطب

المحقّقین، الأمير سیّد علی الهمدانی قدّس سرّه و علی

سبیل التبرک و التیمن نُقل بحذافیره بدون زیاده أو

نقصان.

فهذا الحديث القدسيّ، أن الله تعالى، بالحقيقة، هو

الناظر والمنظور، حيث «بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ» يوضح هذا

المعني، فالإنسان، في الواقع، هو تلك القوى والأعضاء

^۱ يقول:

«فمن حصل على هذه السعادة *** كان تراب قدمه للفلک و سادة

فمن لم يجتز النفس جميعاً کلّها *** لم ينل شيئاً منها و لا من درّها

هي تخلو من (أنا) و (نحن) *** فمن أحبّها عادي نفسه على علن»

و الجوارح التي نسبها الله إليه، فإذا كلّها هو. شطر بيت:

نامى است زمن بر من و باقى همه اوست،^١

و هو ما يُعرف بـ مَقَامُ الْفَنَاءِ بَعْدَ الْبَقَاءِ و إشارة

لمرتبة: **أَطْعِنِي أَجْعَلْكَ مِثْلِي وَ لَيْسَ كَمِثْلِي**.^٢

حديث: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ» متفق عليه عند الفريقين

نعم، فلهذا الحديث أهميّة قصوى من حيث المعنى و

الدلالة،

^١ يقول: «هو اسمٌ منّي على، و الباقي كلّهُ هو».

^٢ أورد السيّد حيدر الآمليّ هذا الحديث في «جامع الأسرار» ص ٢٠٤؛ «شرح

گلشن راز» بتصحيح و تنقيح كيوان سميعي، ص ١١٣ إلى ١١٥.

و أيضاً، من حيث سنده و طريقة روايته. يقول
المرحوم آية الله و حجّته، العالم العظيم الشأن الحاج ميرزا
جواد آقا الملكيّ التبريزيّ قدّس سرّه في كتابه القدير «لقاء
الله»: «هذا الحديث القدسيّ، متّفق عليه من قبل جميع ملل
الإسلام».¹

أمّا عن طريق الشيعة، فقد روي الشيخ الثقة الجليل
الأقدم أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ، و الذي
يتقدّم الشيخ الكلينيّ بالمنزلة، و من جملة مشايخه في
الإجازات، في كتابه «المحاسن» عن أحمد بن أبي عبد الله
البرقيّ، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن حنان بن سدير، عن
أبي عبد الله عليه السلام، أنّه قال: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَ آلِهِ: قَالَ اللَّهُ:**

مَا تَحَبَّبَ إِلَى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَىِّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ.
وَ إِنَّهُ لَيَتَحَبَّبُ إِلَىِّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ. فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ
سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَ لِسَانَهُ

¹ «لقاء الله» ص ٢٤.

الذي يَنْطِقُ بِهِ، وَ يَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا.

إِذَا دَعَانِي أَجَبْتُهُ، وَإِذَا سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ.
وَ مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي فِي مَوْتِ مُؤْمِنٍ
يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَ أَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ .

و نقل المجلسي رضوان الله عليه نفس هذا الحديث
عن «المحاسن» في «بحار الأنوار» سنداً و رواية.^١
و رواه الكليني بمضمون مشابه، و لكن بسندين
مختلفين:

الأوّل: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن
عيسى، و أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار: و
جميعاً عن ابن فضال، عن علي بن عقبة عن حماد بن بشير،
قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول:

^١ «بحار الأنوار» ج ١٥، ص ٢٩، باب حُبِّ الله تعالى، طبعة الكمباني القديمة؛
الطبعة الإسلامية: ج ٧٠، ص ٢٢، حديث رقم ٢١.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ و

جلّ:

مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحَارَبَتِي. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَى
عَبْدٍ بِشَيْءٍ أَحَبَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَى
بِالنَّافِلَةِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،
وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي
يَبْطِشُ بِهَا.

أَنْ دَعَانِي أَحْبَبْتُهُ، وَأَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ
شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي عَنْ مَوْتِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَ
أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ^١.

الثاني: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد،

عن إسماعيل بن مهران، عن أبي سعيد القمّاط، عن أبان بن

تغلب، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام أنّه قال:

^١ «اصول الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، حديث رقم ٧، من كتاب الإيمان و الكفر،

باب من آذى المسلمين و احتقرهم.

لَمَّا اسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يَا رَبِّ مَا

حَالُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَكَ؟!

قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ!

وَ أَنَا أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِي. وَ مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ

أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي عَنْ وَفَاةِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَ أَكْرَهُ

مَسَاءَتَهُ.

إِنْ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى وَ لَوْ

صَرَفْتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهَلَكَ. وَ أَنْ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ

لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَ لَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهَلَكَ.

وَ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَىِّ مِمَّا

أَفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَ إِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَى النَّافِلَةِ حَتَّى أَحِبَّهُ؛ فَإِذَا

أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ إِذَا سَمِعْتَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ

بِهِ، وَ لِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا.

إِنْ دَعَانِي أَحْبَبْتَهُ؛ وَ أَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ^١.

^١ «اصول الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، حديث رقم ٨.

و روي هذا الحديث كذلك بدون سند ثقة الإسلام الشيخ أبو الفضل على الطبرسي المتوفى أوائل القرن السابع الهجري، في كتاب «مشكاة الأنوار في غرر الأخبار» الطبعة الثانية، المطبعة (الحيدريّة) - النجف الأشرف، في ص ١٤٦ و

و قد ذكر العلامة المجلسي رضوان الله عليه، شرحاً
مبسوطاً و جميلاً عند توضيحه و شرحه لهذه الرواية في
كتاب «مرآة العقول» نورد هنا مقتطفات من ذلك الشرح
ما يناسب هذا البحث:
(هذا الحديث صحيح السند.

١٤٧، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. و قد ذكر الحقيير المسكين هذا
الحديث أيضاً في كتاب «التوحيد العلمي و العيني» ص ٢٩٩، مع ذكر أسناد
عدّة له في التعليقة.

قال الشيخ البهائي برّد الله مضجعه: هذا الحديث صحيح السند، و هو من الأحاديث المشهورة بين الخاصة و العامة. و قد رووه في صحاحهم بأدنى تغيير هكذا.^١ و قد أطنب المرحوم الشيخ البهائي أعلى الله درجته، في مقام شرح و تفسير هذا الحديث، بعد ذكر هذه الرواية هنا، مُورداً مقتطفات من كلام الحكماء و الصوفيّة. ثمّ قام بنقل كلام للمحقّق الشريف في حاشية تفسير «الكشاف» و ذلك في آخر البحث، إلى أن قال: **وَ إِنَّهُ لِيَتَقَرَّبُ إِلَى**

بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ:

النوافل جميع الأفعال غير الواجبة، و أمّا تخصيصها بالصلوات المندوبة فعرف طارٍ. و معنى محبة الله سبحانه للعبد هو كشف الحجاب عن قلبه و تمكينه من أن يظأ على

^١ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَ مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَ بَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَ يَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. أَنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَ أَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ. وَ مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَ أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ.

بساط قربه، فإنّ ما يُوصف به سبحانه إنّما يؤخذ باعتبار
الغايات لا باعتبار المبادي. و علامة حبه سبحانه للعبد،
توفيقه للتجافي عن دار الغرور، و الترقّي إلى عالم النور، و
الانس بالله، و الوحشة عمّا سواه، و صيرورة جميع الهموم
همّاً واحداً.

و قال بعض العارفين: إذا أردت أن تعرف مقامك،
فانظر فيما أقامك.

و قد قال معلّقاً على هذه الفقرة: «إذا أحببته كنت إذا
سمعه الذي

يسمع به».

تمسك بعض الصوفيّة و الاتّحاديّة و الحلوليّة و
الملاحدة بظواهر تلك العبارات و أعرضوا عن بواطن
هذه الاستعارات، فضلّوا و أضلّوا، مع أن عقل جميع اولي
الألباب يحكم باستحالة اتّحاد شيء مع أشياء كثيرة متباينة
الحقائق و مختلفة الآثار، و أيضاً ما ذكروه من الكفر
الصريح لا يختص بالمحبّين و العارفين، فهم يحكمون
باتّحاده تعالى بجميع أصناف الموجودات، حتى الكلاب
و الخنازير و القاذورات، {سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ
عُلُوًّا كَبِيرًا}.

نقل المجلسي رحمه الله أدق المعاني لمضمون خبر «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»

و هنا، يختم العلامة المجلسي كلام الشيخ قدس
سرّه، ثمّ يشرع هو بشرح و تفصيل هذا الحديث قائلاً:
فهذه الأخبار نافية لمذاهبهم الفاسدة الخبيثة لا مثبتة
لها، و لها عند أهل الإيمان و أصحاب البيان و أرباب
اللسان معان واضحة ظاهرة تقبلها الأذهان و مبنية على
مجازات و استعارات شائعة في الحديث و القرآن، و

مشملة على نكات بليغة استحسناها أرباب المعاني، و لا تنافي عقائد أهل الإيمان، و هي كثيرة نوميء هنا إلى بعضها.

الأوّل: ما ذكره الشيخ البهائيّ قدّس سرّه و إن داهن

في أوّل كلامه حيث قال: لأصحاب القلوب في هذا المقام

كلمات سنيّة و إشارات سريّة و تلويحات ذوقية تعطر مشامّ

الأرواح و تحيي رميم الأشباح، لا يهتدي إلى معناها و لا

يطّلع على مغزاها إلّا من أتعب بدنه في الرياضات و عني

نفسه بالمجاهدات حتى ذاق مشربهم و عرف مطلبهم، و

أمّا من لم يفهم تلك الرموز و لم يهتد إلى هاتيك الكنوز

لعكوفه على الحظوظ الدنيّة و انهماكه في اللذات البدنيّة

فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم من التردّي

في غياهب الإلحاد و الوقوع في مهاوي الحلول و الاتّحاد،

تعالى الله عن ذلك

عُلُوًّا كَبِيرًا.

و قال الشيخ البهائي رحمه الله عندها:

فنقول: هذا مبالغة في القرب و بيان لاستيلاء سلطان المحبة على ظاهر العبد و باطنه و سرّه و علانيّته، فالمراد و الله اعلم: أنّي إذا أحببت عبدي جذبتّه إلى محلّ الانس و صرفته إلى عالم القدس و صيرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت و حواسّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت، فيثبت حينئذٍ في مقام القرب قدمه و يمتزج بالمحبة لحمه و دمه، إلى أن يغيب عن نفسه و يذهل عن حسّه فيتلاشي الأغيار في نظره حتى أكون له بمنزلة سمعه و بصره كما قال من قال:

جُنُونِي فِيكَ لَا يَخْفَى * وَ نَارِي مِنْكَ لَا تَحْبُو**

فَأَنْتَ السَّمْعُ وَ الْأَبْصَارُ * وَ الْأَرْكَانُ وَ الْقَلْبُ**

و قال رحمه الله: يَبْطِشُ بِهَا، بالكسر و الضمّ اي يأخذ

بها، و أصل البطش الأخذ بالعنف و السطوة - انتهى كلام

الشيخ رحمه الله.

هنا يورد العلامة المجلسي رحمه الله مضافاً إلى هذا الوجه، خمسة أوجه أخرى غيرها، و يستحسن الوجه الخامس بالخصوص، و يقول في الوجه السادس: ما هو أرفع و أوقع و أحلى و أدق و ألطف و أخفى ممّا مضى، و هو أن العارف لمّا تخلّى من شهواته و إرادته و تجلّى محبة الحقّ على عقله و روحه و مسامعه و مشاعره و فوّض جميع اموره إليه و سلّم و رضي بكلّ ما قضى ربّه عليه يصير الربّ سبحانه متصرّفاً في عقله و قلبه و قواه، و يدير اموره على ما يحبّه و يرضاه، فيريد الأشياء بمشيئة مولاه كما قال سبحانه مخاطباً لهم: **{ وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }**.^١

كما ورد في تأويل هذه الآية في غوامض الأخبار عن معادن الحكّم و الأسرار و الأئمة الأخيار.

و روي عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم: **قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ؛ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ.**

^١ صدر الآية ٣٠، من السورة ٧٦: الإنسان. و تمام الآية: **{ وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً }**.

و كذلك، يتصرّف ربّه الأعلى منه في ساير الجوارح و القوى، كما قال سبحانه مخاطباً لنبیّه المصطفى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} ١.

و قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} ٢.

فلذلك صارت طاعتهم طاعة الله و معصيتهم معصية الله، فاتّضح بذلك معنى قوله تعالى: «كُنْتُ سَمِعَهُ وَ بَصَرَهُ وَ أَنَّهُ بِهِ يَسْمَعُ وَ يُبْصِرُ». فكذا، ساير المشاعر تدرك بنوره و تنويره، و ساير الجوارح تتحرّك بتيسّره و تدبيره، كما قال تعالى: {فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى} ٣.

١ مقطع من الآية ١٧، من السورة ٨: الأنفال. و تمام الآية: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَ لِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

٢ صدر الآية ١٠، من السورة ٤٨: الفتح. و تمام الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

٣ الآيات ٥ إلى ٧، من السورة ٩٢: الليل. و تمام الآية: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى ● وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى ● فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى}.

و قريب منه ما ذكره الحكماء في اتّصال النفس بالعقول

المفارقة، و الأنوار المجرّدة على زعمهم، حيث قالوا: قد

تصير النفس لشدّة اتّصالها

بالعقل الفعّال بحيث يصير العقل بمنزلة الروح
للنفس، و النفس بمنزلة البدن للعقل، فيلاحظ
المعقولات في لوح العقل، و يدبّر العقل نفسه كتدبير
النفس للبدن، و لذا يظهر منه الغرائب التي يعجز عنها
ساير الناس كإحياء الموتى و شقّ القمر و أمثالهما.
تحقيق الميرزا رفيعا حول خبر «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»

قال صاحب «الشجرة الإلهية»^١: كما أن في النفس في
حال التعلّق بالبدن تتوهم أنّها هي البدن، أو أنّها فيه و إن
لم تكن هو و لا فيه، فكذلك النفس الكاملة إذا فارقت
البدن و قطعت تعلّقها من شدّة قوّتها و نوريّتها و علاقتها
العشقيّة مع نور الأنوار و الأنوار العقليّة، تتوهم أنّها هي
فتصير الأنوار مظاهراً للنفوس المفارقة كما كانت الأبدان

^١ و جاء في «الذريعة» ج ١٣، ص ٢٨، برقم ٨٩ أن: «شجرة الهيّه» هو كتاب
بالفارسيّة في اصول الدين للحكيم المتكلّم السيّد رفيع الدين محمّد بن حيدر
الحسنى الطباطبائيّ المعروف بـ (ميرزا رفيعا)، و هو من شيوخ المجلسيّ. توفي
في سنة ١٠٨٢ أو ١٠٩٩ هـ. و كان المشار إليه قد ألّف ذلك الكتاب للشاه
صفويّ الصفويّ سنة ١٠٤٧ هـ.

أيضاً، فهذا هو معنى الاتحاد لا بمعنى صيرورة الشئين شيئاً واحداً فإنه باطل - انتهى.

نقل المجلسي لتحقيق المحقق الطوسي وغيره حول حديث «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»

حتى يصل المجلسي إلى قوله:

قال المحقق الطوسي قدس الله سره القدوسي:

العارف إذا انقطع عن نفسه و اتّصل بالحق رأى كل قدرة

مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات، و كل

علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من

الموجودات، و كل إرادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبى

عنها شيء من الممكنات، بل كل وجود و كل كمال وجود

فهو صادر عنه فائض من لدنه.

فصار الحق حينئذٍ بصره الذي يبصر به، و سمعه الذي

يسمع به، و قدرته التي بها يفعل، و علمه الذي به يعلم،

وجوده الذي به يوجد، فصار

العارف حينئذٍ متخلِّقاً بأخلاق الله في الحقيقة.

و قال بعض المحقّقين في شرح هذا الخبر أيضاً: معنى

محبّة الله كشفه الحجاب عن قلبه و تمكينه إيّاه من قربّه، و

معنى المحبّة من العبد ميل نفسه إلى الشيء لكمال إدراكه

فيه بحيث يحمّلها على ما يقربها إليه، فإذا علم العبد أن

الكمال الحقيقيّ ليس إلّا لله، و أن كلّ ما يراه كمالاً من

نفسه أو من غيره فهو من الله و بالله و إلى الله لم يكن حبه

إلّا لله و في الله. و ذلك يقتضي إرادة طاعته و الرغبة فيما

يقربه إليه و اتّباعه لكلّ وسيلة موصلة إلى معرفته و محبّته،

قال الله تعالى لرسوله:

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} .^١

فإنّ متابعة الرسول في عبادته و سيرته و أخلاقه و

أحواله و نوافله، يحصل القرب إلى الله، و بالقرب يحصل

محبّة الله إيّاه.

^١ صدر الآية ٣١، من السورة ٣: آل عمران. و تمام الآية: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} .

و قال بعض العارفين بزعمه: إذا تجلّى الله سبحانه بذاته لأحد يرى كلّ الذوات و الصفات و الأفعال متلاشية في أشعة ذاته و صفاته و أفعاله، و يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنّها مدبّرة لها و هي أعضاؤها، و لا يلمّ بواحد منها إلّا و يراه ملتمّاً به، و يرى ذاته الذات الواحدة، و صفته صفتها، و فعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد، و ليس للإنسان وراء هذه الرتبة مقام في التوحيد.

و لَمّا انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة، و ارتفع التميّز بين القَدَم و الحدوث لزهور الباطل عند مجيء الحقّ.

و قيل: إلى هذا المعنى يشير ما ورد في الحديث

النَّبَوِيِّ: **على مَمْسُوسٍ فِي ذَاتِ اللَّهِ.**

و لعلّ هذا هو السرّ في صدور بعض الكلمات الغريبة

من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان و

أمثالها- انتهى.

و يقول المجلسي في ختام هذا البحث الذي ينتهي

هنا: الاكتفاء بما أسلفنا و أوماناً، و ترك الخوض في تلك

المسالك الخطيرة أولى و أحوط و أحرى، وَ اللَّهُ الْمُؤَفَّقُ

لِلْهُدَى^١.

الروايات المروية في كتب الخاصة في حديث «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»

و قد اعتبر الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله هذه

الرواية، واحدة من الروايات الأربعين الصحيحة في كتابه

^١ «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» ج ١٠، ص ٣٨٣ إلى ٣٩٦، حديث

٨، كتاب الإيمان و الكفر، باب من آذى المسلمين و احتقرهم، الطبعة الثانية،

سنة ١٤٠٤ هـ.

«الأربعين». و قد نقلها بسند متّصل عن الكلينيّ، كما فعل

المجلسيّ، ثمّ اختتمه بشرح جميل مرّت مقتطفات منه.^١

و قد ذكر أيضاً، السيّد على خان الحسينيّ الحسنيّ

المدنيّ الشيرازيّ المعروف بالكبير، هذه الرواية في «شرح

الصحيفة المباركة الكاملة السجّاديّة». ^٢ و كذا فعل السيّد

حسن الشيرازيّ في كتابه «كلمة الله». ^٣

و أورد ذلك أيضاً، الغزاليّ في كتابه «إحياء العلوم» في

باب المحبّة

^١ كتاب «الأربعين» ص ٢٩٥ إلى ٣٠٣، الحديث ٣٥، الطبعة الحجرية (ناصرية)، سنة ١٢٧٢ هـ.

^٢ «رياض السالكين» ج ٦، ص ١٥٧، في شرح الدعاء الخامس والأربعين، طبعة رابطة المدرّسين.

^٣ «كلمة الله» ص ٦٨، حديث رقم ٦٧، تحت عنوان (زُلفى المؤمن)، و ذكر مصادره في ص ٥١٩ عن «المحاسن» للبرقيّ، و «الكافي» للكلينيّ في ثلاثة مواضع.

و الشوق إلى الله.^١

و استشهد السيد حيدر الأملي بهذا الحديث في كتاب
«جامع الأسرار و منبع الأنوار» الذي طُبع بتصحيح هنري
كوربن، في أربعة مواضع:

الأول: في صفحة ٢٠٤، برقم (٣٩٣): أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى
فِيهِ (أَي مَقَامِ الْوَحْدَةِ الذَّاتِيَّةِ) فَكَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:
لَا يَزَالُ الْعَبْدُ - إلى آخره.

الثاني: في صفحة ٢٤٩، برقم (٤٩٥): قُلْنَا: جَوَابُكَ
فِي هَذَا السُّؤَالِ مِنْ طَرَفِهِمْ (هُوَ) فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ؛ وَ هُوَ
أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ إِذَا اثْبَتْنَا أَنَّ الْإِمَامَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
مَعْصُومًا وَ مَنْصُوصًا (عَلَيْهِ) - إلى آخره.

الثالث: في صفحة ٦٠٥، برقم (١٢٦٩): وَ حَقُّ
الْيَقِينِ هُوَ أَوَّلُ دُخُولِهِمْ فِي الْبَقَاءِ الْحَقِيقِيِّ الْحَاصِلِ بَعْدَ
الْفَنَاءِ الْكُلِّيِّ الْمُسَمَّى بِالْفَرْقِ بَعْدَ الْجَمْعِ، الَّذِي هُوَ مَقَامُ
التَّكْمِيلِ وَ الرَّجُوعِ إِلَى الْكَثْرَةِ بِاللَّهِ لَا بِهِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

^١ «إحياء العلوم» ج ٤، ص ٢٦٣، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى، مطبعة
ميمنة - مصر، سنة ١٣٣٤ هجرية قمرية.

{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}. وَ لِقَوْلِهِ فِي
الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ - إِلَى آخِرِهِ.

الرابع: فِي صَفْحَةِ ٦٧٥، بِرَقْمِ (١١٩): وَ هَذَا هُوَ
مَقَامُ مُشَاهَدَةِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ مَعَ كَثْرَتِهَا فِي مِرَاةِ الْحَقِّ وَاحِدَةً -
إِلَى آخِرِهِ.

وَ هَؤُلَاءِ هُمْ مِنَ الْخَاصَّةِ الَّذِينَ نَقَلُوا هَذِهِ الرَّوَايَةَ فِي
الْكَتَبِ الْمَذْكُورَةِ، وَ يَتَّضِحُ مِنْ كِتَابِ «سِرِّ الْعَالَمِينَ»، أَنَّ
الْغَزَالِيَّ كَانَ قَدْ تَشَبَّعَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ، وَ قَدْ اسْتَوْفَيْنَا الْبَحْثَ
فِي هَذَا الْأَمْرِ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ «مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ» مِنْ سَلْسَلَةِ
الْعُلُومِ وَ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ.^١

وَ قَدْ تَمَّ بَحْثُ هَذَا الْحَدِيثِ الْمُبَارَكِ مِنْ قَبْلِ الْعَبْدِ
الْحَقِيرِ، مُؤَلَّفِ هَذَا الْكِتَابِ «مَعْرِفَةَ اللَّهِ» فِي أَمَاكِنَ عَدَّةٍ فِي
سَلْسَلَةِ الْعُلُومِ وَ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ هَذِهِ: الْجُزْءِ التَّاسِعِ
مِنْ «مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ»^٢ وَ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ «مَعْرِفَةِ الْمَعَادِ»^٣ وَ

^١ «مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ» ج ٨، مِنْ الدَّرْسِ ١١٨ إِلَى ١٢٠.

^٢ «مَعْرِفَةُ الْإِمَامِ» ج ٩، مِنْ الدَّرْسِ ١٣١ إِلَى ١٣٤.

^٣ «الْمَصْدَرُ السَّابِقُ» ج ٢، الْمَجْلِسُ ٩.

كذلك في «مهر تابان» (= الشمس الساطعة)^١، و«التوحيد

العلمي و العيني»^٢.

الروايات المروية في كتب العامة في حديث: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»

و من العامة، رواه البخاري في كتاب «الرقاق»، باب

التواضع.^٣

و ذكره أيضاً الراغب الإصفهاني في «المفردات» في

كتاب القاف، في مادة قرب بقوله: و على هذا القرب، نبّه

عليه الصلاة و السلام فيما ذكر عن الله تعالى:

مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى شَيْءٍ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً.

و عنه قوله أيضاً: مَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدٍ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا

افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ - إلى آخر الخبر.^٤

و قد رواه أحمد بن حنبل عن عبد الواحد، مولى عروة،

عن عروة، عن عائشة، و قد بحث الشيخ عزيز الدين

^١ انظر: «الشمس الساطعة» البحث الفلسفي.

^٢ خلال التذييل على المكتوب السادس للمرحوم السيّد، ص ٢٩٩.

^٣ «صحيح البخاري» ج ٨، ص ١٠٥، طبعة بولاق.

^٤ «المفردات في غريب القرآن» ص ٣٩٩، العمود الأيسر، تحقيق السيّد محمّد

سيّد الجيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

النسفيّ هذا الحديث في ثلاثة مواضع من كتاب «الإنسان الكامل»:

الأوّل: خلال بحثه في العقل و درجاته، فهو يعتبر أن العقل الأعلى و الأرقى موجود لدى مَنْ تحقّق في شأنه الحديث القدسيّ: **كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَ بَصْرًا وَ يَدًا وَ لِسَانًا، بِي يَسْمَعُ وَ بِي يُبْصِرُ وَ بِي يَبْطِشُ وَ بِي يَنْطِقُ.**

الثاني: و خلال بحثه في المشكاة، فهو يطب في الشرح حتى يصل إلى هذا الحديث.

الثالث: و خلال بحثه في لقاء الله، يستشهد بهذا الحديث.^١

^١ «الإنسان الكامل» للنسفيّ، بتصحيح و مقدّمة فرانسوا ماريجان موله، طبعة تابان، سنة ١٣٤١، الصفحات: ١٣٦ و ٢٨٥ و ٣٠٥ على التوالي. قال بخصوص الموضوع الثالث هذا ما ترجمته:

« (٢١) يا أيّها الدرّيش! لن يكون بإمكان السالك معرفة أيّ شيء و رؤيته كما هو ما لم يتشرّف بلقاء الله. و ليس للسالك شغلاً شاغلاً غير معرفة الله و رؤيته، و معرفة صفاته و رؤيتها. فمن لم يرى الله و لم يعرف صفاته فهو كمن جاء (إلى الدنيا) أعمى و خرج (منها) أعمى. فإذا وصل السالك إلى نور الله فقد خلف وراءه كلّ الرياضات و المجاهدات الصعبة، و وصل إلى المقام الذي يقول عنه الله: **كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَ بَصْرًا وَ يَدًا وَ لِسَانًا، وَ بِي يَسْمَعُ وَ بِي يُبْصِرُ وَ بِي يَبْطِشُ وَ بِي يَنْطِقُ.** و كذا فقد وصل إلى المقام الذي قال عنه رسول الله عليه السلام:

و يقول الملا حسين الواعظ الكاشفي في «الرسالة

العلية» عند ذكره لمقام القرب: قال الله تعالى: {وَنَحْنُ

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}. و عندها يذكر هذا الحديث

القدسي^١.

اتَّقُوا فَرَأْسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ. و عند وصول السالك إلى نور الله فهو حينئذٍ سائر في طريق نور الله. فقد كان حتى تلك اللحظة سائراً في طريق نور العقل؛ وهو ذا عمل العقل قد انتهى؛ وهو الآن سائر في طريق نور الله. و يسير طوراً في طريق نور الله حيث تزال كل الحُجُب النورانية و الظلمانية من أمام السالك، فيرى الأخير الله و يعرفه. إذن فلا يمكن رؤية نور الله أو معرفته إلا بنور منه أيضاً.

^١ «الرسالة العلية في الأحاديث النبوية» (شرح أربعين حديثاً نبوياً بتصحيح السيد جلال الدين الارموي المحدث). هذا و قد توفي الكاشفي سنة ٩١٠.

نعم، فهذه الرواية موجودة في ص ١٧٠ و ١٧١ من هذه الرسالة. و جاء في كتاب «تشييع و تصوف (= التشيع و التصوف) تأليف الدكتور كامل مصطفى الشيبني، و ترجمة ذكاوتي القراكوزلو، ص ٣٢٥، ضمن بيان ترجمة أحوال الكاشفي ما يلي:

«و يبدو أن الواعظ الكاشفي كان من الأفاذ النوادر الذين لم يجد المذهب أو الطريقة أو التعصب سبيلاً إلى أنفسهم فكان طرازاً غريباً من الرجال، شبيهاً برجل من الشيعة اشتهر بتلك السماحة أيضاً هو بهاء الدين العاملي. و مع أن الواعظ الكاشفي كان صوفياً نقشبندياً و فقيهاً حنفياً ألف في الفقه الحنفي رسالة برأسها («هدية العارفين» ج ١، ص ٣١٦ - التعليقة)، كتب سنة ٩٠٨ أول و أهم رسالة في مجالس العزاء الحسيني سماها «روضة الشهداء في مقاتل أهل البيت».

و يذكر المَلّا عبد الرزّاق الكاشاني في «شرح منازل

السائرين» في قسم الحقائق، في باب الحياة:

«و أصل المحبّة هو العلم بالآيات و الأخبار الواردة

في المحبّة و الشوق و الإرادة كما في قوله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَ

يُحِبُّونَهُ} [٥ / ٥٤] {وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [٢ /

١٦٥] {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمْ

اللَّهُ} [٣ / ٣١] و عن الرسول الأكرم صلى الله عليه [و

آله] و سلّم حاكياً عن ربّه عزّ و جلّ: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ

يَتَقَرَّبُ- إلى آخر الحديث، وَ أَنْ أَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ

الْأَخْفِيَاءُ الْأَتْقِيَاءُ. ^١ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ. ^٢

و قد تطرّق أبو مظفر منصور السمعانيّ في كتاب

«روح الأرواح» إلى ذكر و شرح هذا الحديث القدسيّ في

^١ «سنن ابن ماجة» (كتاب الفتن، الباب ١٦، من ترجى له السلامة من الفتن:

٢ / ١٣٢١) عن الرسول الكريم... أَنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ،

الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَ لَمْ يَعْرِفُوا- (التعليقة).

^٢ «الجامع الصغير» للسيوطي (باب الميم: ٢ / ١٦٠) و «معاني الأخبار» باب

معنى ما روى أن من أحب لقاء الله. (التعليقة)؛ و شرح الكاشاني لـ «منازل

السائرين» للخواجة عبد الله الأنصاريّ، ص ٥٢٨، منشورات بيدار.

ثلاثة مواضع: في باب «الحقّ المبين» و «الواجد» و «المنتقم»^١.

و استشهد الشيخ نجم الدين الرازيّ به في موضعين من كتاب «مرصاد العباد»، و قال في الموضع الثاني في مقام تجلّي الالوهيّة:

«أن محمّداً عليه الصلاة هو مصداق لتجلّي الالوهيّة، حتى أضحي الوجود المحمّديّ إثباتاً لوجود الذات الإلهيّة حيث يقول تعالى: **أَنْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**».

لم ينل أحد من الأنبياء عليهم السلام هذا الشرف و المنزلة الرفيعة، و لكن كلّ من عزم على أن يأكل من هذه المائدة، فله أن يسعى للدنو من مضيّفه، و التقرب إليه أكثر فأكثر كما في قوله سبحانه **لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ بِالنَّوَافِلِ**. [حتى آخر الحديث].

^١ «روح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتّاح» بتصحيح نجيب مائل الهرويّ، ص ٤٤٢، ٤٩٩، ٥٥٢، «انتشارات علمي و فرهنگي» (= المنشورات العلميّة و الثقافيّة).

و هذه السعادة إنّما هي من خاصيّة تجلّي الذات

الإلهيّة»^١.

و استشهد كذلك الشيخ نجم الدين الرازيّ بهذا

الخبر في أحد المواضع في رسالة «العشق و العقل»، حيث

يستدلّ على عدم قدرة العقل في متابعة هذا الطريق، إلى أن

يقول:

«و من هنا، فلا سبيل إلّا بطيّ طريق العشق، حيث

يتجرّد العشق من الحروف، و يرتدي حلّة الجذبة، فيجتاز

السالك بجذبة واحدة مقام قاب قوسين ليصل به إلى

مرتبة الوجود، و تضعه في مقام أو أدنى و على بساط

^١ «مرصاد العباد» ص ٢٠٨، ٣٢٠، و ٣٢١، طبعة بنگاه ترجمه و نشر كتاب.

القرب، حيث:

جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ.

أي أنه لا يمكن الوصول إلى ما يوازي عمل الثقلين إلا بالجذبة. و أن ينسلخ من مرحلة فأذكروني، و يتجلى جمال مرحلة أذكركم، فيكون الذاكر مذكوراً، و العاشق معشوقاً، و حينها يوصل العشق العاشق بمعشوقه، فإنّ العشق يبقى بصفة (الدلالة) على الباب و العاشق يُقدم إلى حضرة وصال المعشوق بصفة الفَراشة، و وجوده يسكبه على قدم شعله شمع جلال المعشوق حتى يُضيّف المعشوق العاشق المحترق بنور جماله. فيتجلى الوجود المجازي للعاشق، و الوجود الحقيقي للمعشوق من مكن كُنْتُ كَنْزاً مَحْفِيّاً فلا يبقى من العاشق إلا اسمه.

شعر:

عشق آمد و شد چو خونم اندر رگ و پوست ***

تا کرد مرا تهی و پر کرد ز دوست

اجزای وجود من همه دوست گرفت *** نامی

است ز من بر من و باقی همه اوست^۱

فيكون هذا هو معنى لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَى الْبَلَوَّافِلِ

حتى احبّه [حتى آخر الرواية]». ^۲

^۱ يقول:

«جاء الحبّ و صار دمي في عروقي *** فأفرغني ثمّ ملأني من حبّ صدوق
و صار الحبيب كلّ همّي و وجودي *** فما أبقى لي غير اسمي دون
وجودي»

^۲ رسالة «عشق و عقل» ص ۶۴ إلى ۶۶، و ۱۱۷ و ۱۱۸، (معیار الصدق في مصداق العشق)، طبعة بنگاه ترجمه و نشر کتاب. و يقول معلق الكتاب: «حديث قدسيّ مشهور مروی علی وجوه مختلفة. ذكره الهجویری في «كشف المحجوب» ص ۳۹۳، طبعة لينينغراد، و جاء ذكره في «إحياء العلوم» و «الجامع الصغير» و «إتحاف السادة المتّقين». و قد أشار مولانا جلال الدين إلى مضمون هذا الحديث في «المثنوي» حيث قال:

رو که بی یسمع و بی یبصر توئی *** سرّ توئی چه جای صاحب سرّ توئی
آنکه بی یسمع و بی یبصر شده است *** در حق این بنده آن هم بیهدده است
يقول: «اذهَبْ، فَأَنْتَ مَنْ قِيلَ عَنْهُ (بِي يَسْمَعُ وَ بِي يُبْصِرُ)، وَأَنْتَ السِّرُّ لِأَنَّكَ أَنْتَ
صَاحِبُ السِّرِّ. إِنْ مَقَامَ (بِي يَسْمَعُ وَ بِي يُبْصِرُ) لَا يُمْكِنُ إِطْلَاقَهُ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ
جَزَافًا».

و قد استند الهجويريّ الغزنويّ في كتابه «كشف
المحجوب» إلى هذا الخبر في موضعين اثنين.^١ و استدلّ
الملا مسكين في تفسير «حدائق الحقائق» بهذه الرواية في
موضع واحد.^٢

و ذكر كلّ من عبد الحليم محمود و محمود بن شريف
هذا الحديث القدسيّ في مقدّمتهما في شرح «الحكم
العطاية» للشيخ أحمد زروق خلال بيان و تعداد مدارج
الإنسان.^٣

أبيات ابن الفارض حول حديث: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»

و قد نظّم ابن الفارض المصريّ أبياتاً تفيد معنى هذا
الحديث في كتابه «نظم السلوك»:

^١ «كشف المحجوب» تصنيف أبو الحسن علي بن عثمان الجلابيّ الهجويريّ
الغزنويّ، بتصحيح و. جو كوفسكي، ص ٣٢٦ و ٣٩٣، طبعة مكتبة طهوري.
^٢ تفسير «حدائق الحقائق» لمعين الدين الفراهي الهرويّ، ص ٢٧٨، منشورات
أمير كبير.

^٣ «حكم ابن عطاء الله» شرح الشيخ أحمد زروق، ص ٤، طبعة طرابلس الغرب،
مكتبة النجاح، حيث يقول: و في حديث قدسيّ يقول سبحانه: **عَبْدِي! اَعْبُدْنِي**
أَجْعَلَكَ رَبَّانِيًّا، نَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ. و في حديث قدسيّ آخر يقول (الحديث
إلى آخره).

وَجَاءَ حَدِيثِي فِي اتِّحَادِي ثَابِتٌ *** رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ
غَيْرُ ضَعِيفَةٍ

يُشِيرُ بِحُبِّ الْحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ *** إِلَيْهِ بِنَفْلِ أَوْ أَدَاءٍ

فَرِيضَةٌ

وَ مَوْضِعُ تَنْبِيهِ الْإِشَارَةَ ظَاهِرٌ *** بِكُنْتُ لَهُ سَمْعًا

كَنْوَرِ الظَّهِيرَةِ

تَسَبَّبْتُ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ *** وَ وَاِسِطَةً

الْأَسْبَابِ إِحْدَى أُدْلِيَّتِي

وَ وَحَدَّثْتُ فِي الْأَسْبَابِ حَتَّى فَقَدْتُمَا *** وَ رَابِطَةً

التَّوْحِيدِ أَجْدَى وَسَيْلَتِي

وَ جَرَّدْتُ نَفْسِي عَنْهُمَا فَتَجَرَّدْتُ *** وَ لَمْ تَكُ يَوْمًا

قَطُّ غَيْرَ وَحِيدَةٍ

وَ غَضْتُ بِحَارِ الْجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا عَلَى ان ***

فَرَادِي فَاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةٍ

لَأَسْمَعَ أَفْعَالِي بِسَمْعِ بَصِيرَةٍ *** وَ أَشْهَدَ أَقْوَالِي

بِعَيْنِ سَمِيعَةٍ^١

١ - «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٢، الطبعة الاولى، ١٣٧٢ هـ؛ و طبعة بيروت

١٣٨٢ هـ؛ «نظم السلوك» البيت ٧١٩ إلى ٧٢٦؛ و قد ورد البيت الخامس في

كلا النسختين هكذا: أجدى وسيلة. و في الشرح العربي للفرغاني في ج ٢، ص

٢٠١: أجدى وسيلتي و هو الصحيح.

و استدلل كذلك سعيد الدين سعيد الفرغاني بهذا الحديث في موضعين من شرحه العربي و الفارسي للتائية:
الأول في شرحه لقول ابن الفارض:

جَوَاهِرُ أَنْبَاءٍ، زَوَاهِرُ وَصَلَةٍ * طَوَاهِرُ أَنْبَاءٍ،**

قَوَاهِرُ صَوْلَةٍ^١

و الثاني في شرحه لقول هذا العارف:

وَ جَاءَ حَدِيثِي فِي امْتِحَادِي ثَابِتٌ * رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ**

غَيْرُ ضَعِيفَةٍ

و قد ذكر هذا البيت، و بيتين آخرين بعده، سبقت الإشارة إليهما هنا، و استدلل بهذا الخبر في موضعين أثناء شرح وافٍ لهما، و لأنّ شرحه، في الحقيقة، هو شرحٌ للحديث الذي نحن بصددده، فما أجمل أن ننقل هنا عباراته، حتى نتعرّف أكثر على مفاد و محتوى هذا الحديث، و أن نستوعب واقع معنى أبيات ابن الفارض بشكل أفضل:

^١ عن «مشارق الدراري» المشروح بالفارسيّة ص ٤٥٧، و الذي ذكر هذا الحديث في ص ٤٦.

يقول الفرغاني^١: «يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: «وَجَاءَ حَدِيثِي...» أَنْ

يَكُونُ عَلَيَّ

١ و لبيان عظمة المقام العلمي للفرغاني و القيمة الأدبية لكلامه، نكتفي هنا بذكر ما قاله آية الله مير سيّد حامد حسين الموسوي النيشابوري الهندي في كتاب «عبارات الأنوار» ج ١، من المجلد (١٢): سند حديث الثقلين و الموجود في القسم الثاني حسب طبعة مؤسّسة نشر نفايس المخطوطات (إصفهان)، من ص ٤٧٣ إلى ٤٧٥، برقم ١١٣. فقد قال آية الله النيشابوري الهندي ما ترجمته:

«و أمّا إثبات سعيد الدين محمد بن أحمد الفرغاني لحديث الثقلين فقد قال في شرحه بالفارسيّة على القصيدة التائيّة لابن الفارض عن تفسيره للبيت التالي:

وَ أَوْضَحَ بِالتَّأْوِيلِ مَا كَانَ مُشْكَلًا * عَلَيَّ بِعِلْمٍ نَالَهُ بِالْوَصِيَّةِ**

ما يلي: لقد أوضح على بالتأويل ما قد أشكل من المعنى و أشبه فيه من مراد القرآن و الحديث على غيره من الصحابة و خاصّة عمر؛ و هو الذي كان يُردّد دوماً (مقولته المشهورة) بهذا الخصوص: **لَوْ لَا عَلَيَّ لَهْلَكَ عُمَرُ**. مع أن (عليّاً) كان قد تطرّق إلى هذه المشكلات و حلّها بالعلم الذي كان قد ورثه عن المصطفى بواسطة الوصيّة التي قال فيها: **إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَ عَثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي! اذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي**، ثلاث مرّات، ثم عاد و كرّر قوله: **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**. و بواسطة قوله: **أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلَيَّ بِأَبْهَا** - انتهى كلام الفرغاني.

و محامد العلامة الفرغاني المبهرة و معاليه المزهرة واضحة لكلّ من يبحث في كتاب «عبر في خبر من غير» للذهبي، و «نفحات الانس» لعبد الرحمن الجامي، و «كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار» لمحمود بن سليمان الكفوي، و «كشف الظنون» لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني، و غير ذلك من

لِسَانِ الْجَمْعِ الْإِلَهِيِّ؛ فَإِنَّ هَذَا حَدِيثٌ إلهِيٌّ. وَ يَحْتَمِلُ
أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِ الْجَمْعِ الْمُحَمَّدِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

الكتب الأخرى. و قد سَبَقَ بعون الله المُنِيلِ في مجلّدِ حديثِ مدينةِ العلمِ، بيّانُها بالتفصيلِ. و هنا نكتفي بالإشارة إلى ما قاله عبد الرحمن الجاميّ في كتاب «نفحات الانس»، و هو (ما ترجمته):

و كان الشيخ سعيد الدين الفرغاني رحمه الله تعالى من أكمل أرباب العرفان و أكابر أصحاب الذوق و الوجدان. فلم يُبَيِّنْ أحد مسائلِ علمِ الحقيقةِ بهذه الدقّة و الصحّة كما فعله هو في ديباجة «شرح القصيدة التائيّة الفارسيّة». فقد قام أولاً بشرحها بالفارسيّة، ثمّ عرض ذلك على شيخه (الشيخ صدر الدين القونويّ قدّس سره، فاستحسن شيخه ذلك و كتب بعض العبارات في هذا الباب، فوضع الشيخ سعيد تلك العبارات المكتوبة بعينها في ديباجته على الشرح الفارسيّ تيمناً و تبرّكاً. و ثانياً، و لتعميم الفائدة و تتميمها، قام بنقلها إلى العربيّة و أضاف عليها فوائد كثيرة و زيادات أخرى. جزاه الله عن الطالبين خيرَ الجزاء. و له مُصَنَّفٌ آخر يُسمى بـ «مناهج العباد إلى المعاد» في أصحاب المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين و هو في مسائل العبادات و بعض المعاملات التي لا غنى لسالكي هذا الطريق عنها؛ و التي لا يمكن سلوك طريق الحقيقة بدونها في بيان آداب الطريقة بعد إصلاح و تصحيح أحكام الشريعة. و الحقّ أنّه كتاب مفيد و هو ما لا بدّ لأيّ طالبٍ و مریدٍ - إلى آخره.

^١ فهذا الفرغانيّ، شيخُهم السعيد المسعود، و خبرُهم الحميد المحمود؛ قد أثبت هذا الخبرَ النافع كالأزهار و الورود العاطر، كالقُتار الساطع من العود. فالعجبُ كلُّ العجب من الجاحد العنود، و المنكر الكنود؛ كيف لا يزعُوه وازعُ

وَيُشِيرُ ذَلِكَ الْحَدِيثَ عَلَى تَحَقُّقِ مَحَبَّةِ الْحَقِّ لِي وَ مَحَبَّتِي

لَهُ، وَ ذَلِكَ

عَنِ الْإِنْكَارِ وَالْجُحُودِ، وَ لَا يَصْرِفُهُ صَارْفٌ عَنِ الْبَغْيِ وَ الْمُرُودِ! وَ اللَّهُ الْعَاصِمُ
عَنْ شَرِّ كُلِّ مَعَانِدٍ حَسُودٍ لِدُودٍ، وَ هُوَ الْوَاقِي عَنْ زَيْغِ كُلِّ حَيُودٍ مَيُودٍ».

بعد طلبي للتقرب و الزلفى إلى الحق بأداء النوافل و
الفرائض و العبادات. و يبدو موضع الإشارة في هذا
الحديث إلى الأتّحاد واضحاً و جدّ جليّ و صريح كنور
الشمس الوضّاح في صدر النهار و كبد السماء؛ و ذلك ممّا
قصدّه بقوله: **كُنْتُ لَهُ سَمْعًا.**

و أمّا لفظ الحديث، كما ورد في «صحيح البخاري» و
مسلم فهو:

**مَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى مِنْ أَدَاءِ مَا
افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. وَ لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَى النَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ؛
فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَ بَصَرُهُ الَّذِي
يُبْصِرُ بِهِ، وَ لِسَانُهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَ رِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا -
الحديث.**

و اعلم، أن المحبّة شدّة الرغبة الباطنيّة من أجل
الوصول إلى كمالٍ من الكمالات، و حقيقتها: الأصرة
القويّة الوحداينيّة بين الطالب و المطلوب، و معناها:
تسلّط عوامل الأتّحاد أو الاشتراك، ممّا يستلزم زوال
عوامل التفاضل أو الاختلاف بين الطالب و المطلوب.

و المحبّ هو من تظهر فيه هذه الأصرة أوّلاً، و تتغلّب و تتسلّط عليه حتى يقوم الطالب بإزالة عوامل التفاضل عن نفسه، أو عمّا يطلب. و أصل هذه المحبّة، هو حقيقة **فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرَفَ**، حيث كانت ذات الحقّ الواحدة مُحَبَّة، و كان المحبوب كمال وجوده و ظهور الكمالات الأسمائيّة له، و تعكس مرآة المحبوب، الحقيقة الإنسانيّة، صورةً و معنى، و لا شيء غيرها. لِكَمَالِ جَمْعِيَّتِهَا وَ تَمَامِ مُضَاهَاتِهَا وَ قَابِلِيَّتِهَا، وَ قُصُورِ غَيْرِهَا عَنْ ذَلِكَ.

وَ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ فِيمَا رُوِيَ مِنَ الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ خِطَاباً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ: **لَوْلَاكَ لَمَّا خَلَقْتُ الْكَوْنَ.**

و بحكم هذه المحبّة، تعيّن تجلُّ من الله، بصورة إجماليّة في باطن

تلك الحقيقة الإنسانية في جوهرها، و التي تشير إلى
البرزخية و الجمعية بين الواحدية و الأحادية **أولاً**، و بين
العلم بالعالم و بين الوجود **ثانياً**، ثم سار و تنزل من باطن
تلك الحقيقة الإنسانية في صورٍ تفصيلية، و التي هي عبارة
حقائق العالم، لكمال الظهور الذي كان هو المحبوب
الأول، حتى يصل إلى هذه الصورة العنصرية الإنسانية، و
هي الصورة الإجمالية الواقعية لتلك الحقيقة الإنسانية.

و أمّا مرآة الجمعية و كمال ظهور ذلك التجلي، فواقع
الوحدانية لذلك النزوع و المحبة، تزامن مع هذا التجلي،
و هي مستترة في باطنه.

و لما كان ذلك التجلي وحدانياً، كان لزاماً أن يكون
محلّه و مرآته و ظهوره في هذا النزول، أمراً وحدانياً كذلك،
و ما كان لغير العدالة و الاعتدال الموحدنين للكثرة في
هذه المراتب، بل في عالم التركيب و الكثرة من أثر و ظلّ
و صورة من حقيقة الوحدة، و لا جرم أن مرآة ظهور ذلك
التجلي في كلّ مرتبة، هي أمر معتدل، حتى تكون مرآته،
حقيقة وسطية، و عدالة إمكان كلّ ممكن في عالم المعاني و

الأرواح، و ذلك بين جهة الوجود وجهة المحال. و أمّا
في عالم المثال و الحسّ، فلم يكن مظهر ذلك التجلّي إلاّ
مزاجاً معتدلاً من الطبيعة و العناصر و المولّدات، و
حصيلة هذه الجملة من مراتب الاعتدالات، هو إظهار
الاعتدال الإنسانيّ الموجود في الوسط، و صورة الوحدة
و العدالة لذلك هي البرزخيّة الاولى و الثانية.

و لما كان ظهور ذلك التجلّي في نزوله، في جملة هذه
المراتب، و لأنّه تلبّس بصور إنسانيّة تفصيليّة و إجماليّة،
فقد اجتمعت حوله أحكام الكثرة و التعيّنات، و النسب
و الإضافات، و التي هي من مستلزمات الأجزاء و
الأطراف، و آثار الانحراف، فخرج كلّ حكم من تلك
الأحكام على صورة أمل و امنية و طلب لذّة و شهوة، و
أرادت التغلّب على حكم الوحدة

و البساطة و صورة الجمعيّة و عدالتها و توجيهها
نحو أوصاف الكثرة و التركيب و أحكام الانحرافات و
التغلّب عليها. و كان أمر الشجرة، و الهبوط من الجنة،
صورة و أثراً لتلك الغلبة.

فتطلّبت تلك المحبّة الوجدانية- و هي الآصرة
المستترة في باطن التجلّي- وضع ميزان اعتداليّ يمثّل
الشيعة و الطريقة، لتربط هذا الإنسان المتعرّض
للمحسوب بالواسطة، بجملة من الإرادات و المقاصد و
الحركات و السكنات الخاصّة بها، و بالوحدة و العدالة،
ظاهراً و باطناً.

معنى «سَمِعَ اللهُ لَنْ حَمْدَهُ» هو كلام الله على لسان عبده

و تستتر حقيقة هذه المحبّة في الباطن، و هي لسان
هذا الميزان الذي هو عين الفرائض، بحكم انتشار وحدة
الأمر { وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ } فَإِنَّ مُطْلَقَ الْأَمْرِ يَقْتَضِي
الفرضيّة، فيسري أثر هذه المحبّة في باطن أجزاء عمود
الميزان و كفتيه، اللتين هما بمثابة سنن و نوافل هذا
الميزان، فتغدو حُجُب الحقيقة الإنسانيّة ضعيفة و شفّافة

و لطيفة، تلك الحقيقة التي تكون بمرتبة المحبوبة بحكم
العناية اللاعنية في الأزل، و التي غلبت عليه بحكم
الوجوب و الوحدة، و بحكم استعداده الكامل زمان
السير و المرور عبر المراتب تنازلياً، طرأت الحجب
الضعيفة و الشفافة و اللطيفة عليه، فإذا تيسر أداء
الفرائض بإخلاص و بالكامل بسبب محبته، فبمجرد
أداء تلك الفرائض ظاهراً و باطناً ترتفع الحجب، و حينها،
يظهر حكم حقيقة تلك المحبة و الوحدة الحقيقية فيه، و
التي باطنها لسان في قلبه، فتجذبه نحوها رغم إرادته، و
تجعل منه مرآة كمال ظهورها، حتى يظهر الحكم السابق
فأحبت فيه بواسطتها، و تكون نتيجة ذلك الظهور أن الله
قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ.

و ذلك تحقيق قوله: **مَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ**

إِلَى مَنْ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ. ذلك أن لا شيء من الميزان

أقرب إلى الوحدة من لسان

الميزان؛ و كذا لا شيء أقرب إلى الوحدة الحقيقيّة
للمحبّة من أداء الفرائض عند سريان وحدة الأمر فيه.
و أمّا إذا كان ذلك موجوداً من قبل في مبدأ الحكم و
الاستعداد الإنسانيّ، في زمان مروره و نزوله عبر المراتب،
فستجتمع حوله قيود و صفات الكثرة الإنسانيّة و بكثافة،
و تتغلّب على حكم وحدته، فسيحتاج ذلك الشخص إلى
رياضة و مجاهدة كثيرتين، و لا تيسّر استقامة و اعتدال
ذلك الميزان الذي يمثّل أداء الفرائض قلباً و قالباً، إلّا
بملازمة السنن و النوافل من الأذكار و الأعمال و شتّى
أنواع القُرْبَات، التي تخالفها النفس، شرط توفرّ الإخلاص
و مجانية الشبهات و صغائر الرياء، و ترك جميع اللذات و
الشهوات النفسيّة التي تتوقّف عليها استقامة ميزان
الشرعية و الطريقة بصورة كاملة. كما جاء في الحديث:

إِنْ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ
الصَّلَاةُ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَ أَنْجَحَ، وَ أَنْ فَسَدَتْ
خَابَ وَ خَسِرَ. وَ أَنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئًا قَالَ الرَّبُّ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: انظُرُوا! هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا
انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ؟! ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ.

يدلّ ظاهر الحديث على أن النوافل هي مكملات
للفرائض.

و على هذا، فيلزم على السالك الذي وقع في رتبة
المحبّ منذ الأزل المداومة على هذه السنن و النوافل،
حتى يتسنى له بعد ملازمته للإخلاص و التوحيد في
العمل الاقتراب من لسان الميزان، و يتمكّن أثر المحبّة
الكامن في كفتي و أجزاء عمود ميزان الشريعة و الطريقة
من إزالة كلّ صور و أحكام انحرافات نفس هذا السالك،
حتى تعادل كفتا الميزان و عموده. و حينئذٍ، يظهر القلب
الذي هو محلّ ذلك اللسان المذكور، و يظهر فيه ذلك
التجلّي الوجوديّ بوحدته الحقيقيّة، و يزيل ذلك الأثر من
المحبّة الذي تزامن مع

هذا التجلّي و اللسان و رافقهما كلّ حكم امتياريّ فيما
بين الوجود المضاف إلى النفس و القوى و المدارك
الباقية فيه، و يُظهر بدلاً من ذلك حكم عوامل الاتّحاد.

فينكشف حينئذٍ هذا المعنى لهذا السائر المحبّ، في الحقيقة، بظهور حكم المحبّة الذي هو إزالة للأحكام الامتيازية للنسب و الإضافات أن هذا الوجود الواحد الذي كان سمعه و بصره و لسانه و يده و رِجله حتى هذه اللحظة، و أنّه لم يكن يسمع إلاّ بنور الوجود الواحد الحقّ، و لم يكن ليري و لا لينطق و لا يبطن و لا يسير إلاّ به.

و قد كان محجوباً عن هذا العلم حتى الآن بسبب تقيّده بأحكام تلك النسب و الإضافات التي هي أحكام امتيازية، فارتفعت الحجب و الموانع بسبب حقيقة المحبّة التي أزالَت تلك القيود، و انكشفت حقيقة هذا العمل ساطعة و ضاءة.

و هذا هو معنى قوله: **وَ لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ**
بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتَ سَمِعَهُ وَ بَصَرَهُ وَ
لِسَانَهُ وَ يَدَهُ- (الحديث).

وإذن، ففي هذا الحديث الصحيح دلالة صريحة على

صحّة و ثبوت ما ادّعيته في التوحيد؛ وَ اللَّهُ الْمُلْهُمُ

لِلصَّوَابِ.^١

^١ شرح «مشارك الدراري» ص ٦٠٥ إلى ٦١٠، طبعة انجمن فلسفه و عرفان اسلامي (بالفارسيّة)؛ و الشرح بالعربيّة المطبوع في مصر سنة ١٢٩٣ هـ: ج ٢، ص ١٩٧ إلى ٢٠٠.

قال العلامة شمس الدين محمّد بن محمود الآمليّ في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢، ص ٢٦ و ٢٧ (ما ترجمته):

«و لأنّ حقيقة المحبّة هي نوع من علاقات الاتحاد التي تربط المحبّ بالمحبوب، و جذبة من جذبات المحبوب التي تجذب المحبّ نحوه، فيسلخ المحبوب تدريجيّاً من جميع صفاته نتيجة هذه الجذبة و تلك العلاقة، ثمّ تسلبه ذاته بقبضة قويّة و مقتدرة و تضفي عليه ذاتاً أخرى غيرها تناسب اتّصافه بصفاته هو. و بعد ذلك، تتبدّل صفاته الموجودة داخل تلك الذات؛ كما قال الجنيّد: المحبّة دخول صفات المحبّ على البدن من المحبّ. و هنا يتّضح لدينا سرّ فإذا أحببته كنت له سمعاً و بصرًا، و هي حقيقة

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَ مَنْ أَهْوَى أَنَا * نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا**

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ * وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا**

و مع ذلك فلا يوجد سبب معيّن للمحبّة (كما قيل) حيث:

إِنِ الْمَحَبَّةُ أَمْرٌ عَجَبٌ * تُلْقَى عَلَيْكَ وَ مَا لَهَا سَبَبٌ**

ثمّ قال في ص ٣٢: «و قال بعضهم: أن الفناء هو الغياب عن الأشياء، و البقاء حضور مع الحقّ؛ و هذا المعنى هو نتيجة السُّكْرِ. فقد قال صاحب «العوارف»: الفناء المطلق المطابق، هو ما يَسْتَوِي من أمر الحقّ سبحانه على العبد، فيغلب كون الحقّ على كونه العبد. و هذه هي حقيقة مطلق الفناء».

معنى «كُنْتُ سَمْعُهُ وَ...» هو انكشاف تجلّي وجود الله في أفعال السالك

و على أساس فناء الصفات و اندكاك عالم الوجود في

عالم الحق، يصرّح العارف الجليل المغربي بقوله:

دیده‌ای وام کنم از تو، به رویت نگرم *** زانکه

شایسته دیدار تو نبود نظرم

چون ترا هر نفسی جلوه به حُسنی دگر است ***

هر نفس زان نگران در تو به چشمی دگرم

توئی از منظر چشمم نگران بر رخ خویش *** که

توئی مردمک دیده و نور بصرم^۱

هر که بی‌رسم و اثر گشت به کویش پی برد ***

من بی‌رسم و اثر ناشده، پی می‌نبرم

تا زمن هست اثر، از تو نیابم اثری *** کاشکی

در دو جهان هیچ نبودی اثرم

^۱ يقول: «أعزني بصرًا لأنظر إليك به وإن كانت عيني لا تليق النظر إليه.

إن في كلّ نفسٍ منك يتجلى مظهر آخر لجمالك، و في كلّ مرّة أخافُ فيها عليك فألحظك بعيني الأخرى.

أنت ناظر إلى حُسنك و جمالك من نظرات عيوني، لأنك أنت إنسان عيني و بُؤبؤها و نور بصري».

نتوانم به سر کوی تو کردن پرواز *** تا ز اقبال

تو حاصل نبود بال و پرم

بوی جانبخش تو همراه نسیم سحر است *** زان

سبب مرده‌ی انفاس نسیم سحرم

یار هنگام سحر بر دل ما کرد گذر *** گفت

چون جلوه‌کنان بر دل تو می‌گذرم

مغربی آینه‌ی دل ز غبار دو جهان

پاك بزدای که پیوسته در او می‌نگرم

و نظم الحکیم الجلیل الحاج ملا هادی السبزواری

شعراً قال فيه:

ای به ره جستجوی، نعره زنان دوست دوست
*** گر به حرم ور به دیر، کیست جز او، اوست

اوست

پرده ندارد جمال غیر صفات جلال *** نیست بر

این رخ نقاب، نیست بر این مغز پوست

جامه دران گل از آن نعره زنان بلبلان *** غنچه

بپیچد به خود، خون به دلش تو به توست

دم چو فرورفت‌هاست، هوست چو بیرون رود

*** یعنی از او در همه هر نفسی‌های و هوست

یار به کوی دل است، کوی چو سرگشته گوی

*** بحر به جوی است و جوی این همه در

جستجوست

با همه پنهانش هست در اعیان عیان *** با همه

بی‌رنگیش در همه ز او رنگ و بوست^۱

^۱ یقول: «یا مَنْ تصرخ فی بحثک: الحیب الحیب، مَنْ ذا غیره موجود فی الحرم
أو الدیر؟ إنه هو.

لا ستار یُعْطِي الجمال سوی صفات الجلال، و لا خمار یُخْفِي هذا الوجه و لا قشر
یحیط بهذا اللب.

یار در این انجمن یوسف سیمین بدن *** آینه

خانه جهان، او به همه رو به روست

پرده حجازی بساز یا به عراقی نواز *** غیر یکی

نیست راز؛ مختلف از گفتگوست

مخزن اسرارِ اوست سرّ سویدای دل *** در پیش

اسرار باز در به در و کو به کوست^۱

إن الزهور تشقُّ أكمامها لغناء البلابل، و البراعم تملأ قلوبها بالدم.
إن النَّفس حين يدخل في الشهيق، و يخرج في الزفير يعني أن منه (من الله) شهيقاً
و زفيراً في كلِّ نفس.

إن الحبيب (موجود) في طريق القلب و الطريق كأنه حيران، و اتَّحد البحر
بالغدیر و أضحى الغدير يبحث كلِّ هذا البحث.

إنَّه مع اختفائه و استتاره ظاهر و عيان في الأعيان، و بالرغم من عدم تلوُّنه فقد
اقتبس كلِّ شيء لونه و عبيره منه».

^۱ يقول: «أن مثل الحبيب في حفلنا هذا كمثل يوسف ذي الجسم الفضِّي اللون،
يُشبهه الحجر المغطَّاة جدرانها بالمرايا، فأينما وليت وجهك رأيتَه، فهو أمام
الجميع.

اصنع ستاراً حجازياً أو اعزف لناً عراقياً، فلا وجود إلا لسرِّ واحد؛ مختلف عن
كلِّ (ما عهدناه من) حديث.

إنَّه هو مخزن الأسرار و عيبها و هو سرّ سُويداء القلب، و هو الذي يعرف
الأسرار جميعاً».

«ديوان حكيم حاج ملا هادي سبزواري» المعروف بـ «الأسرار» ص ۳۸ و
۳۹، مكتبة ثقفی، أصفهان.

روي آية الله المرحوم الحاج ميرزا جواد آقا الملكي
التبريزي هذا الحديث على صورتين. فقد قال: فَلَوْ كَانَ
الْعَمَلُ عَمَلًا فَلَا بُدَّ أَنْ يُثْمَرَ نُورًا وَ مَعْرِفَةً فِي الْقَلْبِ. فَلَا
يَزَالُ يَزْدَادُ نُورُهُ حَتَّى يَكُونَ مُحْسُوسًا لِكُلِّ أَحَدٍ. أَمَا
سَمِعْتَ مَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:

لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَى بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَجْعَلَهُ مِثْلِي -

إلى آخره.

وَلَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَى بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ وَ كُنْتُ

سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ - إلى آخره.^١

معنى كلام الإمام الصادق عليه السلام «حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا»

و يصف المحقق الفيض الكاشاني سماع الإمام جعفر

الصادق عليه

^١ «أسرار الصلاة» ص ١٧٥، طبعة مطبعة الحيدري، سنة ١٣٨٠ هجرية قمرية.

السلام كلامه هو كلام الله و بإذن الله بما يلي:

وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ حَالَةِ لِحْقَتِهِ فِي الصَّلَاةِ

حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ؛ فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا

زِلْتُ أَرَدُّ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى قَلْبِي حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ

بِهَا، فَلَمْ يَثْبُتْ جِسْمِي لِمُعَايِنَةِ قُدْرَتِهِ.^١

و يقول المحقق الفيض أيضاً في هذا الكتاب^٢: «و قد

أخبر جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أعلى

درجات هذه الحالة بقوله: **وَ اللَّهِ لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِحَلْقِهِ فِي**

كَلَامِهِ وَ لَكِنْ لَا يُبْصَرُونَ.^٣ و بعدها بصفحة واحدة يورد

الفيض هنا نفس الرواية السابقة التي نقلها في «أسرار

الصلاة».

^١ «المحجّة البيضاء» ج ١، ص ٣٥٢، طبعة مكتبة الصدوق، سنة ١٣٣٩

شمسي (١٣٨٠ ق)، كتاب «أسرار الصلاة»؛ و يقول في التعليق عليه: عن «بحار

الأنوار» عن «فلاح السائل».

^٢ ج ٢، ص ٢٤٧، كتاب آداب تلاوة القرآن.

^٣ يقول في تعليقه: قد نقله الشهيد في «أسرار الصلاة» ص ٢٠٤.

يقول السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب «فلاح

السائل»^١: فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ مَوْلَانَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ

[عَلَيْهِ السَّلَامُ] كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِهِ، فَعُشِيَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا

أَفَاقَ سُئِلَ: مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا أَنْتَهَتْ حَالُكَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ مَا

مَعْنَاهُ: مَا زِلْتُ أَكْرُرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى حَالِ

كَأَنِّي سَمِعْتُ مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا، عَلَى الْمُكَاشَفَةِ وَالْعِيَانِ،

فَلَمْ تَقُمْ الْقُوَّةُ الْبَشَرِيَّةُ بِمُكَاشَفَةِ الْجَلَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

و بعدها يقول السيّد في توضيحه: «أنت الذي لا

تعرف حقيقة هذا الأمر، إياك و أن تستبعد ذلك، أو

يوسوس الشيطان لك فيجعلك تشكّ أو

^١ ص ١٠٧ و ١٠٨، طبعة فرهومند، سنة ١٣٨٢ هجرية قمرية.

تردّد في قبول هذا الذي نرويه لك. فعليك أن تؤمن
بذلك، أ فلم تسمع بقول البارئ جلّ جلاله: **فَلَمَّا تَجَلَّى
رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا** .

و يحكي آية الله الحاجّ ميرزا جواد آقا الملكيّ
التبريزيّ في رسالة «لقاء الله»^١ و كذلك في كتاب «أسرار
الصلاة»^٢ نفس عبارة السيّد في «فلاح السائل»، و يقول في
ص ٢١٢ من هذه الطبعة (و في ص ٩٣ من الطبعة
القديمة): «و الارتقاء هو أن تسمو به القراءة صعوداً حتى
يصل إلى الحالة التي يسمع بها كلام الله كما رأيت في قراءة
الإمام الصادق عليه السلام في الجملة التي يقول فيها:
حتى **سَمِعْتُهَا مِنْ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا**».

و في ص ٢٤٢ من هذه الطبعة (ص ١٠٧ من الطبعة
القديمة) يقول: **وَ مِنْ ذَلِكَ مَا رُوِيَ مِنْ غَشْوَةِ الصَّادِقِ
عَلَيْهِ السَّلَامِ عِنْدَ تَكَرُّارِ {مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ}**؛ و ما روي عن

^١ من النسخة الخطيّة بقلم الحقيّر: ص ١٦ و ١٧؛ و من النسخة المطبوعة: ص
٤٣.

^٢ الطبعة الحجرية، أحمد شاهي: ص ٨٤ و ٨٥؛ و طبعة فروهمند: ص ١٩٥ و
١٩٦.

الإمام السجّاد عليه السلام: **إِذَا قَرَأَهُ، يُكْرَرُهُ حَتَّى يَكَادُ أَنْ يَمُوتَ**».

الطرق العديدة عن الخاصّة و العامّة للخبر الصادقي: «مَا زِلْتُ...»

يروى المجلسي رضوان الله عليه في «بحار الأنوار»^١ عن «فلاح السائل»: «قال صاحب كتاب «زهرة المهج و تواريخ الحجج» بسنده عن الحسن بن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن ابن أبي يعفور أنّه قال: قَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ أَشْعَرَ جِلْدَهُ وَ اصْفَرَ لَوْنَهُ وَ ارْتَعَدَ كَالسَّعْفَةِ**»^٢.

و بنفس المعنى يروي الكليني أنّ مولانا زين العابدين عليه السلام كان إذا قال: **{مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ}**، يُكْرَرُهَا فِي قِرَاءَتِهِ حَتَّى كَانَ يَظُنُّ مَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَمَاتِهِ

^١ طبعة الإسلامية، ج ٨٤، ص ٢٤٧، كتاب الصلاة، باب آداب الصلاة.

^٢ «فلاح السائل» ص ١٠١ - التعليقة.

و رُوِيَ أَنَّ مَوْلَانَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقَ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِهِ فَعُشِيَ عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ
سُئِلَ مَا الَّذِي أُوجِبَ مَا انْتَهَتْ حَالُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ:
مَا زِلْتُ أَكْرُرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى حَالِ كَأَنِّي
سَمِعْتُهَا مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا^١. انتهت رواية المجلسي رحمه
الله.

و يروي الكليني في «اصول الكافي»^٢ عن علي بن
إبراهيم، بإسناده عن الزُّهريّ قال: «قَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ
عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَوْ مَاتَ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَمَا
اسْتَوْحَشْتُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مَعِي. وَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِذَا قَرَأَ «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» يُكْرِّرُهَا حَتَّى كَادَ أَنْ يَمُوتَ.

يقول الملا عبد الرزاق الكاشاني في كتاب
«الاصطلاحات» على هامش «شرح منازل السائرين» في
«مائة باب» للخواجه عبد الله الأنصاري: الْمُطَّلَعُ هُوَ مَقَامٌ
شُهُودِ الْمُتَكَلِّمِ عِنْدَ تِلَاوَةِ آيَاتِ كَلَامِهِ مُتَجَلِّياً بِالصِّفَةِ الَّتِي

^١ «فلاح السائل» ص ١٠٤ - التعليقة.

^٢ «فلاح السائل» ص ١٠٧ و ١٠٨ - التعليقة.

هي مَصْدَرُ تِلْكَ الْآيَةِ. قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ
[عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]: لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي كَلَامِهِ وَ لَكِنْ لَا
يُبْصِرُونَ. وَ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الصَّلَاةِ فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ،
فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ: مَا زِلْتُ اكَرَّرُهَا حَتَّى سَمِعْتُ مِنْ
قَائِلِهَا.

قَالَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ شَهَابُ الدِّينِ قَدَّسَ اللَّهُ سِرَّهُ: كَانَ

لِسَانُ جَعْفَرٍ

الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَشَجَرَةِ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ نِدَائِهِ مِنْهَا بِأَنِّي أَنَا اللَّهُ. وَ لَعَمْرِي أَن
الْمُطَّلَعَ أَعْمُ مِنْ ذَلِكَ، وَ هُوَ مَقَامُ شُهُودِ الْحَقِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ
مُتَجَلِّياً بِصِفَاتِهِ الَّتِي ذَلِكَ الشَّيْءُ مَظْهَرُهَا؛ لَكِنْ لَمَّا وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ]: «مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَ لَهَا
ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، وَ لِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَ لِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ» خَصُّوهُ
بِذَلِكَ.^١

يقول الغزاليّ في «إحياء العلوم»^٢: وَ أَخْبَرَ جَعْفَرُ بْنُ
مُحَمَّدِ الصَّادِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ عِظْمَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ قَالُ:
وَ اللَّهُ لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَ لَكِنَّهُمْ لَا
يُبْصِرُونَ. وَ قَالَ أَيْضاً وَ قَدْ سَأَلُوهُ عَنْ حَالَةِ لِحْقَتِهِ فِي
الصَّلَاةِ- حَتَّى آخِرِ الرُّوَايَةِ الْمَرْوِيَةِ فِي «فَلَاحِ السَّائِلِ» وَ
عِنْدَهَا يَقُولُ: «وَ عَلَيْهِ فِئِي مِثْلَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ، تَزْدَادُ حَلَاوَةَ
الْقِرَاءَةِ وَ لَذَّةَ الْمَنَاجَاةِ حَتَّى يَقُولُ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: لَقَدْ
اعْتَدْتُ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَ لَكِنْ بَدُونَ أَن أَسْعُرَ بِحَلَاوَةِ

^١ الطبعة الحجرية، ص ١٢٠.

^٢ طبعة دار الكتب العربية الكبرى، ج ١، ص ٢٥٩.

ذلك، حتى صرتُ أقرأه بشكلٍ و كأنِّي أسمعُهُ بصورة مباشرة من لسان النبيِّ و هو يتلوه على أصحابه. و بعد ذلك، ارتقيتُ مرتبة أعلى، و ذلك بقراءته بشكل يجعلني و كأنِّي أسمعُ جبرائيل عليه السلام و هو يلقيه على النبيِّ، و بعدها أكون في حالة و كأنِّي أسمعُهُ من الناطق بالقرآن نفسه. و هنا، أشعرُ بلذة و نعيم لا أقوى عليها و لا أتملِّك نفسي»- انتهى كلام الغزاليِّ.

يقول مؤلِّف «كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه

التجليات»^١

و هو شرح على كتاب «التجليات الإلهية» لمحيي

الدين بن عربي: كَانَ الْإِمَامُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ-

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ذَاتَ يَوْمٍ فِي الصَّلَاةِ، فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.

فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا زِلْتُ أَكْرُرُ آيَةً حَتَّى سَمِعْتُ مِنْ

قَائِلِهَا، فَكَانَ بِي مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ. (عن «عوارف المعارف»

للسهرورديِّ و «إحياء العلوم»).

^١ طبعة مركز نشر دانشگاهي - طهران ١٤٠٨ هـ، بتحقيق عثمان إسماعيل يحيى،

يقول الحكيم السبزواري في «ديوان أسرار»^١:

شورش عشق تو در هیچ سری نیست که نیست

*** منظر روی تو زیب بصری نیست که نیست

نیست يك مرغ دلی، كش نفكندی به قفس *** تیر

بیداد تو تا پر به پری نیست که نیست

ز فغانم ز فراق رخ و زلفت به فغان *** سگ

کویت همه شب تا سحری نیست که نیست

نه همین از غم او سینه‌ی ما صد چاك است ***

داغ او لاله صفت بر جگری نیست که نیست^٢

^١ ص ٣٩ و ٤٠، طبعة كتابفروشي ثقفي - أصفهان، سنة ١٣٣٨ شمسي (= ١٣٧٩ ق).

^٢ يقول: «ليس من رأس إلا وفيه هياج حبك، وليس من بصر إلا وهو ناظر إلى طلعتك الجميلة».

لقد أسرت في قفصك كل طائر من طيور القلوب وحبسته فيه، وأن سهامك القاتلة لا تعرف الحية أبداً.

ما بقي صوت لعواء كلب عند حيك لارتفاع صوت صراخي و أنيني كل ليلة إلى وقت السحر.

ليست صدورنا هي وحدها التي تمزقت بسبب الحزن عليه و حسب، بل أن الأسي الذي خلّفه فينا و وضع علائمه واضحة على جميع الأكباد».

موسئی نیست که دعویٰ أنا الحقّ شنود *** ورنه

این زمزمه اندر شجری نیست که نیست

چشم ما دیده‌ی خفّاش بود ورنه ترا *** پرتو

حسن به دیوار و دری نیست که نیست

گوش اسرار شنو نیست و گر نه اسرار *** برش

از عالم معنی خبری نیست که نیست

الْبَحْثَانُ الْحَادِي عَشَرَ وَ الثَّانِي عَشَرَ: اللَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ،

اِفْتَحْ عَيْنَيْكَ وَ حَدِّقْ وَ تَفْسِيرَ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ: {مَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:
{مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}¹.

و الآيات السابقة لها هي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

¹ الآية ٥، من السورة ٢٩: العنكبوت.

{الم ● أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ
هُمْ لَا يُفْتَنُونَ ● وَ لَقَدْ فَتَّنا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ
اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لْيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ ● أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا ساءَ ما يَحْكُمُونَ}.

أما الآيات اللاحقة لها فهي:

{وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ
الْعَالَمِينَ ● وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا
يَعْمَلُونَ}.

في الآية، موضوع البحث، يعد الله سبحانه و تعالى شأنه، المشتاقين إلى رؤيته صراحةً بلقائه و زيارته، و ينبّه إلى أن الأمر لا ينتهي بمجرد قول الشهادتين و الإيمان باللسان، بل أن المؤمنين أمامهم امتحانات عديدة عليهم اجتيازها، و بدون الاختبار، و وضع المتفوّهين بالشهادتين و الإيمان باللسان على محكّ التجربة، يستحيل على أحد الصعود إلى درجات النعيم و الفوز بالجنان و لقاء جمال الواهب المنان، و هي سنة سنّية، و دأب قديم لله في إخضاع كلّ الامم و الأقسام للامتحان، حتى يتبين المؤمن الصادق من المدّعي الكاذب.

و لقد ساء ما يعتقد به البعض و ضلّ ضلالاً كبيراً، أنّه بارتكاب القبائح و المعاصي يسبقون إرادة الله و اختياره و قدره و قضاءه، بل سيندحرون، و سيتبين لهم أنّهم توهموا كونهم أحراراً غير مقيدين في ارتكابهم تلك الأعمال في عالم الكون و الأمر و الخلق و الإيجاد، ساء ما يعتقدون به و يظنون، حيث لم يعقلوا أن استباقهم لأمر الله و تأخرهم عنه، هو أمر إلهي محييط بهم، و أنّهم بطريقة

تفكيرهم هذه إنّما يضعون أنفسهم في قبضة إرادة الله
القاهرة و مشيئته الغالبة.

و أمّا الذين يتوقون إلى رؤية الله و لقاءه، فستتحقّق
لهم امنيتهم تلك، و لن يخيب أملهم أو تحبط مساعيهم؛ و
سيحين موعد اللقاء، و تطوي صفحة البُعد و الهجران،
فالله الواحد العالم بالخلق و السميع بهم؛ على علمٍ تامّ
بتلك الامنية، و سيكشف النقاب عن وجهه المشرق، و
سيُلقى السالك جائزته لقاء سعيه و اجتهاده الحثيث في
سبيل لقاء الله و رؤيته.

إن اجتهاد الناس و رغبتهم في لقاء الله، لا ينفع الله في
شيء، لأنّه غنيّ عن العالمين، و أن مردود و ثواب اجتهاد
و سعي الإنسان المجاهد و الساعي و السالك، إنّما هو
عائد له.

إن الذين آمنوا بالله لا بلسانهم بل بأعماق قلوبهم، و
أعقبوا ذلك أعمالاً صالحة تُرضي الله المحبوب الأزليّ،
الذين تجيش في نفوسهم فكرة لقاء الله، فلا جرم أن الله
سبحانه سيغفر ما تقدّم من ذنوب هؤلاء المحبّين
الصادقين و يثيبهم على صالح أعمالهم.

تفسير «الميزان» لآية: مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ

تفسير آيات أوائل سورة العنكبوت في امتحان المؤمنين ورجاء لقاء الله

قال جناب استاذنا الأعظم المفسّر الأكبر: العلامة
الطباطبائيّ قدّس الله تربته المنيفة في تفسير هذه الآيات:
«يلوح من سياق آيات السورة و خاصّة ما في صدرها
من الآيات أن بعضاً ممّن آمن بالنبّيّ صلى الله عليه و آله
بمكّة قبل الهجرة رجع عنه خوفاً من فتنة كانت تهدّده من
قبّل المشركين، فإنّ المشركين كانوا يدعونهم إلى العود
إلى ملّتهم و يضمّنون لهم أن يحملوا خطاياهم إن اتّبعوا
سبيلهم فإن أبوا فتنوهم و عذبوهم ليعيدوهم إلى ملّتهم.

يشير إلى ذلك قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ} -
(الآية).^١

وقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ
فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} - (الآية).^٢

و كأن في هؤلاء الراجعين عن إيمانهم من كان رجوعه
بمجاهدة من والديه على أن يرجع و إلحاح منها عليه في
الارتداد كبعض أبناء المشركين على ما يستشتم من قوله
تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ
لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} - (الآية)^٣،
وقد نزلت

السورة في شأن هؤلاء.

فغرض السورة على ما يستفاد من بدئها و ختامها و
السياق الجاري فيها أن الذي يريده الله سبحانه من الإيمان

^١ الآية ١٢، من السورة ٢٩: العنكبوت.

^٢ الآية ١٠، من السورة ٢٩: العنكبوت.

^٣ الآية ٨، من السورة ٢٩: العنكبوت.

ليس هو مجرد قولهم: **{آمَنَّا بِاللَّهِ}**، بل هو حقيقة الإيمان التي لا تحركها عواصف الفتن و لا تغيرها غير الزمن، و هي إنما تثبت و تستقر بتوارد الفتن و تراكم المحن.

فالناس غير متروكين بمجرد أن يقولوا: **ءآمَنَّا بِاللَّهِ** دون أن يُفتنوا و يُمتحنوا فيظهر ما في نفوسهم من حقيقة الإيمان أو وصمة الكفر فليعلمنّ الله الذين صدقوا و يعلم الكاذبين.

فالفتنة و المحنة سُنّة إلهية لا معدّل عنها تجري في الناس الحاضرين كما جرت في الامم الماضية كقوم نوح و عاد و ثمود و قوم إبراهيم و لوط و شعيب و موسى فاستقام منهم من استقام و هلك من هلك. **{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}**^١.

فعلى من يقول: **ءآمَنْتُ بِاللَّهِ** أن يصبر على ايمانه و يعبد الله وحده فإن تعذّر عليه القيام بوظائف الدين فليهاجر إلى أرض يستطيع فيها ذلك فأرض الله واسعة و لا يَحْفُ عسر المعاش فإن الرزق على الله.

^١ ذيل الآية ٣٣، من السورة ١٦: النحل.

{وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ

إِيَّاكُمْ} ١.

و أمّا المشركون الذين يفتنون المؤمنين من غير جرم
أجرموه إلا أن يقولوا: رَبَّنَا اللَّهُ فلا يحسبوا أنهم يُعجزون
الله و يسبقونه، فأما فتنهم للمؤمنين و إيذاؤهم و
تعذيبهم فإنها هي فتنة لهم و للمؤمنين غير خارجة عن علم
الله و تقديره، فهي فتنة و هي محفوظة عليهم إن شاء
أخذهم بوبالها في

١ صدر الآية ٦٠، من السورة ٢٩: العنكبوت.

الدنيا وإن شاء أخرجهم إلى يوم يُرجعون فيه إليه، و ما لهم من محيص.

و أمّا ما لفقوه من الحجّة و ركنوا إليه من باطل القول فهو داحض مردود إليهم و الحجّة قائمة تامّة عليهم.

ثمّ يصل سماحة الاستاذ إلى تفسير الآية الثانية فيقول:

قوله تعالى: **{ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ**

اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ }.

اللامان للقسم، و قوله: **{ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ**

قَبْلِهِمْ }. حال من الناس في قوله: **أَحْسَبَ النَّاسُ،** أو من

ضمير الجمع في قوله: **لَا يُفْتَنُونَ.** و على الأوّل فالإنكار و

التوبيخ متوجّه إلى ظنهم أنّهم لا يُفْتَنُونَ مع جريان السنّة

الإلهيّة على الفتنة و الامتحان، و على الثاني إلى ظنهم

الاختلاف في فعله تعالى حيث يفتن قوماً و لا يفتن

آخرين، و لعلّ الوجه الأوّل أوفق للسياق.

فالظاهر أن المراد بقوله: **{ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ**

قَبْلِهِمْ }. أن الفتنة و الامتحان سنّة جارية لنا و قد جرت في

الذين من قبلهم و هي جارية { وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا }^١.

و قوله: { فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا } إلى آخر الآية،
تعليل لما قبله، و المراد بعلمه تعالى بالذين صدقوا [و]
بالكاذبين ظهور آثار صدقهم و كذبهم في مقام العمل
بسبب الفتنة و الامتحان الملازم لثبوت الإيمان في قلوبهم
حقيقة و عدم ثبوته فيها حقيقة فإن السعادة التي تترتب
الإيمان المدعو إليه و كذا الثواب إنما تترتب على حقيقة
الإيمان الذي له آثار ظاهرة من الصبر عند المكاره و
الصبر على طاعة الله و الصبر عن معصية الله لا على
دعوى الإيمان المجردة.

^١ ذيل الآية ٢٣، من السورة ٤٨: الفتح.

و يمكن أن يكون المراد بالعلم علمه تعالى الفعليّ
الذي هو نفس الأمر الخارجيّ، فإنّ الامور الخارجيّة
بنفسها من مراتب علمه تعالى، و أمّا علمه تعالى الذاتيّ فلا
يتوقّف على الامتحان البتّة.

و المعنى: أ حَسِبُوا أَنْ يَتْرَكُوا و لَا يُفْتَنُوا بِمَجْرَدِ
دَعْوَى الْإِيمَانِ و إِظْهَارِهِ، و الحال أن الفتنة ستتنا و قد
جرت في الذين من قبلهم، فمن الواجب أن يتميّز
الصادقون من الكاذبين بظهور آثار صدق هؤلاء و آثار
كذب اولئك، الملازم لاستقرار الإيمان في قلوب هؤلاء
و زوال صورته الكاذبة عن قلوب اولئك.

و الالتفات في قوله { فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ } إلى اسم الجلالة
قيل: للتهويل و تربية المهابة، و الظاهر أنّه في أمثال المقام
لإفادة نوعٍ من التعليل.

و ذلك أن الدعوة إلى الإيمان و الهداية إليه و الثواب
عليه لما كانت راجعة إلى المسمّى بالله الذي (مِنْهُ يَبْدَأُ كُلُّ
شَيْءٍ، وَ بِهِ يَقُومُ كُلُّ شَيْءٍ، وَ إِلَيْهِ يَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ بِحَقِيقَتِهِ.)
فمن الواجب أن يتميّز عنده حقيقة الإيمان من دعواه

الخالية، و يخرج عن حال الإبهام إلى حال الصراحة، و
لذلك عدل عن مثل قولنا: فَلَنَعْلَمَنَّ، إلى قوله: {فَلْيَعْلَمَنَّ
اللهُ}.

المراد بـ «الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» هم المشركون الذين ...

قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ
يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}.

«أَمْ» منقطعة، و المراد بقوله: {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ} المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين و
يصدّونهم عن سبيل الله، كما أن المراد بالناس في قوله: أَمْ
حَسِبَ النَّاسُ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا: ءَأَمْنَا، و هم في معرض
الرجوع عن الإيمان خوفاً من الفتنة و التعذيب.

و المراد بقوله: {أَنْ يَسْبِقُونَا}، الغلبة و التعجيز
بسبب فتنة المؤمنين و صدّهم عن سبيل الله، على ما
يعطيه السياق.

و قوله: {سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}، تخطئة لظنهم أنهم

يسبقون الله بما يمكرون من فتنة و صدّ، فإنّ ذلك بعينه

فتنة من الله لهم أنفسهم و صدّ لهم عن سبيل السعادة؛ {و

لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}.^١

ثمّ يصل العلامة بعد بيان موجز إلى هذه الآية، فيقول

في تفسيرها و تفسير الآيتين اللتين تعقبانها:

«قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ

لَا تِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}. إلى تمام ثلاث آيات. لما وبّخ

سبحانه الناس على استهانتهم بأمر الإيمان و رجوعهم عنه

بأيّ فتنة و إيذاء من المشركين، و وبّخ المشركين على

فتنتهم و إيذائهم المؤمنين و صدّهم عن سبيل الله إرادة

لإطفاء نور الله و تعجيزاً له فيما شاء و خطأ الفريقين فيما

ظنّوا. رجع إلى بيان الحقّ الذي لا معدّل عنه و الواجب

^١ الآيتان ٤٢ و ٤٣، من السورة ٣٥: فاطر: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا

نُفُورًا ۖ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ

اللَّهِ تَحْوِيلًا}.

الذي لا مخلص منه، فيبين في هذه الآيات الثلاث أن من
يؤمن بالله لتوقع الرجوع إليه و لقاءه، فليعلم أنه آتٍ لا
محالة و أن الله سميع لأقواله عليم بأحواله و أعماله،
فليأخذ حذره و ليؤمن حق الإيمان الذي لا يصرفه عنه
فتنة و لا إيذاء و ليجاهد في الله حق جهاده، و ليعلم أن
الذي يتتفع بجهاده هو نفسه و لا حاجة لله سبحانه إلى
إيمانه و لا إلى غيره من العالمين، و ليعلم أنه إن آمن و عمل
صالحاً فإن الله سيكفر عنه سيئاته و يجزيه بأحسن أعماله.
و العلماء الأخيران يؤكّدان العلم الأوّل و يستوجبان

لزومه الإيمان

و صبره على الفتن و المحن في جنب الله.

فقوله: {مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ}، رجوع إلى بيان

حال مَنْ يقول: آمنت فإنه إنما يؤمن لو صدق بعض

الصدق لتوقعه الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامة، إذ لو

لا المعاد للغي الدين من أصله، فالمراد بقوله: {مَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ}؛ أو من كان يقول:

آمنت بالله. فالجملة من قبيل وضع السبب موضع

المسبب.

بيان العلامة: لقاء الله لا ينحصر في القيامة

و المراد بـ لِقَاءَ اللَّهِ و قوف العبد موقفاً لا حجاب بينه

و بين ربّه، كما هو الشأن يوم القيامة الذي هو ظرف ظهور

الحقائق، قال تعالى:

{وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} ١.

و قيل: المراد بلقاء الله هو البعث. و قيل: الوصول

إلى العاقبة من لقاء ملك الموت و الحساب و الجزاء. و

قيل: المراد ملاقاته جزاء الله من ثواب أو عقاب. و قيل:

١ ذيل الآية ٢٥، من السورة ٢٤: النور.

ملاقة حكمة يوم القيامة، و الرجاء على بعض هذه الوجوه بمعنى الخوف.

و هذه وجوه مجازية بعيدة لا موجب لها إلا أن يكون من التفسير بلازم المعنى.

وقوله: **{فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ}**، الأجل هو الغاية التي ينتهي إليها زمان الدين و نحوه، و قد يطلق على مجموع ذلك الزمان و الغالب في استعماله هو المعنى الأوّل.

و **{أَجَلَ اللَّهِ}**: هو الغاية التي عينها الله تعالى للقاءه، و هو آت لا ريب فيه و قد أكّد القول تأكيداً بالغاً، و لازم تحتم إتيان هذا الأجل و هو يوم القيامة أن لا يسامح في أمره و لا يستهان بأمر الإيـمان بالله حقّ الإيـمان

و الصبر عليه عند الفتن و المحن من غير رجوع و
ارتداد، و قد زاد في تأكيد القول بتذييله بقوله: { وَ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }، إذ هو تعالى لما كان سميعاً لأقوالهم عليماً
بأحوالهم فلا ينبغي أن يقول القائل: آمنت بالله إلا عن
ظهر القلب و مع الصبر على كل فتنة و محنة.

و من هنا يظهر أن ذيل الآية: { فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ }
من قبيل وضع السبب موضع المسبب كما كان صدرها:
{ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ } أيضاً، و الأصل من قال:
آمَنْتُ بِاللَّهِ. فليقله مستقيماً صابراً عليه مجاهداً في ربه.

و قوله: { وَ مَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ
لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }، المجاهدة و الجهاد مبالغة من الجهد
بمعنى بذل الطاقة، و فيه تنبيه لهم أن مجاهدتهم في الله
بلزوم الإيثار و الصبر على المكاره دونه ليست مما يعود
نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهتمهم و يُلغوه لغناهم عنه،
بل إنما يعود نفعه إليهم أنفسهم، لغناه تعالى عن العالمين،
فعليهم أن يلزموا الإيثار و يصبروا على المكاره دونه.

فقوله: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ} تأكيد

لحجة الآية السابقة. وقوله: {أَنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}

تعليل لما قبله.

و الالتفات من سياق التكلم بالغير إلى اسم الجلالة في

الآيتين نظير ما مرّ من الالتفات في قوله: {فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

الَّذِينَ صَدَقُوا}.

و قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا

يَعْمَلُونَ}. بيان لعاقبة إيمانهم حق الإيمان المقارن للجهاد

و يتبين به أن نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه و

أنه عطية من الله و فضل.

و على هذا فالآية لا تخلو من دلالة ما على أن الجهاد

في الله هو الإيمان و العمل الصالح، فإنها في معنى تبديل

قوله في الآية السابقة: {وَمَنْ

جاهدًا { من قوله في هذه الآية: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ

عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ }.

و تكفير السيئات هو العفو عنها، و الأصل في معنى الكفر هو الستر، و قيل: تكفير السيئات هو تبديل كفرهم السابق إيماناً و معاصيهم السابقة طاعات، و ليس بذلك.

و جزاؤهم بـ { أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ } هو رفع درجتهم إلى ما يناسب أحسن أعمالهم أو عدم المناقشة في أعمالهم عند الحساب إذا كانت فيها جهات رداءة و خسة فيعاملون في كل واحد من أعمالهم معاملة من أتى بأحسن عمل من نوعه فتحسب صلاتهم أحسن الصلاة و إن اشتملت على بعض جهات الرداءة و هكذا»^١.

و عموماً، فإن هذه الآية الشريفة التي نحن بصدددها، و بالنظر إلى ما أوردناه من تفسير العلامة قدس الله سره تبين بوضوح أن لقاء الله هو أمر حتمي، و للوصول إلى ذلك، لزم أن يعمل الراغبون للقاءه على حزم أمرهم و أن يتهيأوا لذلك و يخطوا بخطوات ثابتة و بعزم راسخ

^١ «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٦، ص ١٠١ إلى ١٠٧، طبعة الآخوندي.

للمضيّ في هذا الطريق، و ألاّ يخشوا آية آفة أو عاهة في هذا
السبيل، و ألاّ يردعهم رادع أو مانع يصادفهم، و عليهم
إزالة كلّ تلك الموانع بالاستعانة بالله، و لا يستوحشوا
مما يلاقهم من محن و اختبارات مفروضة في هذا الطريق،
حتى ينعموا بوصاله سبحانه و بمدد منه. أن هذا ليس
حِكراً على أمة خاتم الأنبياء، فهذه السنّة مع جميع الامم
السالفة، و كلّ الأقوام المؤمنة بأنبيائها.

إن الأعداء لن تجدي نفعاً، و تأجيل العمل إلى الغد،
لن يُثمر، و إسدال ستار الجهل و الحُمق على البصيرة يحول
دون ورود النور إلى القلوب.

فكيف لله أن يفهم عباده، و بأية وسيلة أو طريقة،

فيعقل السفهاء، و يفيق النائمون، و ينتبه الغافلون؟

فوالله و تالله و بالله، لو لم تكن في القرآن كله إلا هذه

الآيات الأخيرة المذكورة في أول سورة العنكبوت، و

التي تم تفسيرها إجمالاً من قبل الاستاذ العلامة فقيد الفقه

و العلم و العرفان و البصيرة و الشهود، فنقرأها و نفهمها،

لكفى بها من عبرة، فما بالك مع باقي الآيات في القرآن التي

تبحث جلّها و حدة الحقّ، و وجود واجب الوجود، و التي

تبيّن لنا بوضوح و صريح البيان لقاءه سبحانه.

أشعار المغربي في ضرورة المجاهدة للوصول إلى لقاء الله تعالى

نخست دیده طلب کن، پس آنگهی دیدار *** از

آنکه یار کند جلوه بر اولو الأبصار

ترا که دیده نباشد کجا توانی دید *** به گاه

عرض تجلی جمال چهره یار

اگر چه جمله ی پرتو، فروغ حُسن وی است ***

ولی چو دیده نباشد کجا شود نظار

ترا که دیده نباشد چه حاصل از شاهد *** ترا که

گوش نباشد چه سود از گفتار^۱

ترا که دیده بود پر غبار، نتوانی *** صفای

چهره‌ی او دید با وجود غبار

اگر چه آینه‌داری برای حسن رخس *** ولی چه

سود که داری همیشه آینه تار

بیا به صیقل توحید، آینه بزداي *** غبار شرك، که

تا پاك گردد از زنگار

اگر نگار تو آئینه‌ای طلب دارد *** روان تو

دیده‌ی دل را به پیش او می‌دار

^۱ يقول: «في البدء اطلب عينين، ثم اسأل عن اللقاء و الموعد، حتى يتجلى الحبيب لأولي الأبصار.

فإذا لم تكن لك عينان فأني لك أن تبصر مكان تجلي جمال محيا الحبيب؟
إنه و إن كان النور كله هو شعاع حسنه (أي الحبيب)، لكن لا يمكنك أن تكون
ناظراً ما لم تكن لديك عينان تبصر بهما.

إذا لم تكن لديك عينان فما الفائدة من حضور الحبيب عندك، و إذا لم تكن لديك
أذنان فما فائدة التحدث (معه)».

جمال حسن ترا صد هزار زيب افزود *** از آنکه

حسن ترا مغربي است آينه دار^۱

أبيات من لامية ابن الفارض في ضرورة المجاهدة للقاء الله تعالى

هُوَ الْحُبُّ

هُوَ الْحُبُّ فَاسْلَمَ بِالْحَشَا مَا الْهَوَى سَهْلٌ *** فَمَا

اخْتَارَهُ مُضْنَى بِهِ، وَ لَهُ عَقْلٌ

^۱ يقول: «وإذا كانت عينك مليئتين بالغبار، لن تستطيع معاينة صفاء وجهه (أي الحبيب) مع وجود ذلك الغبار.

إنك و إن كنت تملك مرآة لحسن مَحْيَاهُ، لكن لا فائدة منها إذا كانت لا تُظهر الأشياء فيها بوضوح.

تعال و أزل غبار الشرك عن المرأة بمصقلة التوحيد حتى تتطهر و تتخلص من كل صدأ (بها).

إذا كان معشوقك و حبيبك يتطلب مرآة، لزم أن تضع عيني فؤادك أمامه.

لقد أضفى الجمال و الحسن عليك ألف نوع من الزينة، لأن «المغربي» هو الحامل للمرأة التي ترى فيها نفسك».

«ديوان شمس المغربي» ص ٦٧ و ٦٨، طبعة الإسلامية، سنة ١٣٤٨ شمسية هجرية، (١٣٨٩ هـ. ق).

وَ عِشْ خَالِيًا، فَالْحُبُّ رَاحَتُهُ عَنَّا *** وَ أَوَّلُهُ سُقْمٌ،

وَ آخِرُهُ قَتْلٌ

وَ لَكِنْ لَدَى الْمَوْتِ فِيهِ صَبَابَةٌ *** حَيَاةً لِمَنْ

أَهْوَى، عَلَى بِهَا الْفَضْلُ

نَصَحْتِكَ عِلْمًا بِأَهْوَى وَ الَّذِي أَرَى *** مُحَالَفَتِي،

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا يَحْلُو

فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَى سَعِيدًا، فَمُتْ بِهِ *** شَهِيدًا وَ

إِلَّا فَالْغَرَامُ لَهُ أَهْلٌ

فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يَعِشْ بِهِ *** وَ دُونَ اجْتِنَاءِ

النَّحْلِ مَا جَنَّتِ النَّحْلُ

تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الْهَوَى، وَ اخْلَعْ الْحَيَا *** وَ خَلْ

سَبِيلَ النَّاسِكِينَ، وَ أَنْ جَلُّوا

وَ قُلْ لِقَتِيلِ الْحُبِّ: وَفَيْتَ حَقَّهُ *** وَ لِلْمُدَّعِي:

هَيْهَاتَ مَا الْكَحْلُ الْكَحْلُ^١

تَعَرَّضْ قَوْمٌ لِلْغَرَامِ وَ أَعْرَضُوا *** بِجَانِبِهِمْ عَنْ

صِحَّتِي فِيهِ وَ اعْتَلُّوا

^١ الْكَحْلُ: عَيْنٌ مَكْحُولَةٌ؛ الْكَحْلُ: سَوَادُ الْعَيْنِ خِلْقَةٌ.

رَضُوا بِالْأَمَانِي، وَابْتَلُوا بِحُطُوبِهِمْ *** وَخَاضُوا

بِحَارِ الْحَبِّ دَعَوَى فَمَا ابْتَلُوا

فَهُمْ فِي السَّرَى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ *** وَ مَا

ظَعَنُوا فِي السَّيْرِ، عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا

وَعَنْ مَذْهَبِي، لَمَّا اسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى ال- ***

هُدَى حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوا

أَحَبَّةَ قَلْبِي، وَ الْمَحَبَّةُ شَافِعِي *** لَدَيْكُمْ، إِذَا شِئْتُمْ

بِهَا اتَّصَلَ الْحَبْلُ

عَسَى عَطْفَةٌ مِنْكُمْ عَلَى بِنظَرَةٍ *** فَقَدْ تَعَبَتْ بَيْنِي وَ

بَيْنَكُمْ الرَّسْلُ

أَحِبَّايَ أَنْتُمْ، أَحْسَنَ الدَّهْرِ أَمْ أَسَا *** فَكُونُوا كَمَا

شِئْتُمْ، أَنَا ذَلِكَ الْخِلُّ

إِذَا كَانَ حَظِّي الْهَجْرُ مِنْكُمْ وَ لَمْ يَكُنْ *** بِعَادٍ

فَذَاكَ الْهَجْرُ عِنْدِي هُوَ الْوَصْلُ

وَ مَا الصَّدُّ إِلَّا الْوُدُّ مَا لَمْ يَكُنْ قَلِي *** وَ أَضَعَبُ

شَيْءٍ غَيْرٍ إِعْرَاضِكُمْ سَهْلُ

وَ تَعْدِيكُمْ عَذْبٌ لَدِي وَ جَوْرُكُمْ *** عَلَيَّ بِمَا

يَقْضِي الْهَوَى لَكُمْ عَدْلُ

وَ صَبْرِي صَبْرٌ عَنْكُمْ، وَ عَلَيَّكُمْ *** أَرَى أَبَدًا

عِنْدِي مَرَارَتُهُ تَحْلُو

أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَ هُوَ بَعْضِي فَمَا الَّذِي *** يَضُرُّكُمْ

لَوْ كَانَ عِنْدَكُمْ الْكُلُّ

نَأَيْتُمْ فَغَيْرَ الدَّمْعِ لَمْ أَرِ وَافِيًا *** سِوَى زَفْرَةٍ مِنْ حَرِّ

نَارِ الْجَوَى تَغْلُو

فَسُهِدِي حَيٍّ فِي جُفُونِي مُخَلَّدٌ *** وَ نَوْمِي بِهَا مَيْتٌ

وَ دَمْعِي لَهُ غُسْلٌ

هَوَى طَلَّ مَا بَيْنَ الطُّلُولِ دَمِي فَمِنْ *** جُفُونِي

جَرَى بِالسَّفْحِ مِنْ سَفْحِهِ وَبُلُّ

تَبَالَه قَوْمِي، إِذْ رَأَوْنِي مُتَيَّمًا *** وَقَالُوا: بِمَنْ هَذَا

الْفَتَى مَسَّهُ الْحَبْلُ؟

وَمَا ذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سَوَى: غَدَا *** بِنِعْمٍ لَهُ

شُغْلٌ، نَعَمْ لِي بِهَا شُغْلٌ

وَقَالَ نِسَاءُ الْحَيِّ: عَنَّا بِذِكْرِ مَنْ *** جَفَانًا، وَبَعْدَ

الْعِزِّ لَذَّ لَهُ الذُّلُّ

إِذَا أَنْعَمْتَ نِعْمٌ عَلَى بِنْظَرَةٍ *** فَلَا أَسْعَدَتْ

سُعْدَى وَلَا أَجْمَلَتْ جُمْلٌ

وَقَدْ صُدِّدَتْ عَيْنِي بِرُؤْيَةٍ غَيْرِهَا *** وَلَثْمٌ جُفُونِي

تُرْبَهَا لِلصَّدَا يَجْلُو

وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي قَتِيلٌ لِحَاظِهَا *** فَإِنَّهَا فِي كُلِّ

جَارِحَةٍ نَضَلُّ

حَدِيثِي قَدِيمٌ فِي هَوَاهَا وَمَا لَهُ *** كَمَا عَلِمَتْ بَعْدُ،

وَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ

وَمَا لِي مِثْلُ فِي غَرَامِي بِهَا، كَمَا *** غَدَتِ فِتْنَةٌ فِي

حُسْنِهَا مَا لَهَا مِثْلُ

حَرَامٌ شِفَا سُقْمِي لَدَيْهَا رَضِيْتُ مَا *** بِهِ قَسَمْتُ

لِي فِي الْهُوَى وَدَمِي حِلُّ

فَحَالِي وَ أَنْ سَاءَتْ فَقَدْ حَسُنَتْ بِهَا *** وَ مَا حَطَّ

قَدْرِي فِي هَوَاهَا بِهِ أَعْلُو

وَ عِنْوَانُ مَا فِيهَا لَقِيْتُ وَ مَا بِهِ *** شَقِيْتُ وَ فِي

قَوْلِي اخْتَصَرْتُ وَ لَمْ أَغْلُ

خَفَيْتُ ضَنِي حَتَّى لَقَدُ ضَلَّ عَائِدِي *** وَ كَيْفَ

تَرَى الْعَوَّادُ مَنْ لَا لَهُ ظِلُّ

وَ مَا عَثَرْتُ عَيْنٌ عَلَى أَثْرِي وَ لَمْ *** تَدْعُ لِي رَسْمًا فِي

الهُوَى الْأَعْيُنُ النَّجْلُ

وَ لِي هِمَّةٌ تَعْلُو إِذَا مَا ذَكَرْتَهَا *** وَ رُوحٌ يَذْكُرَاهَا إِذَا

رَخِصَتْ تَعْلُو

جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي *** فَأَصْبَحَ لِي

عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ

فَنَافِسٌ يَبْدُلُ النَّفْسِ فِيهَا أَخَا الْهُوَى *** فَإِنْ قَبِلَتْهَا

مِنْكَ يَا حَبْدًا الْبَدْلُ

فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي حُبِّ نِعْمٍ بِنَفْسِهِ *** وَ لَوْ جَادَ

بِالدُّنْيَا إِلَيْهِ انْتَهَى الْبُخْلُ

وَ لَوْ لَا مِرَاعَاةُ الصِّيَانَةِ غَيْرَةً *** وَ لَوْ كَثُرُوا أَهْلُ

الصَّبَابَةِ أَوْ قَلُّوا

لَقُلْتُ لِعُشَّاقِ الْمَلَا حَةِ أَقْبِلُوا *** إِلَيْهَا عَلَى رَأْيِي وَ

عَنْ غَيْرِهَا وَلَوْ

وَ أَنْ ذُكِرْتُ يَوْمًا فَخِرُّوا لِذِكْرِهَا *** سُجُودًا وَ أَنْ

لَاحَتْ، إِلَى وَجْهِهَا صَلُّوا

وَ فِي حُبِّهَا بَعْتُ السَّعَادَةَ بِالشَّقَا *** ضَلَالًا وَ عَقْلِي

عَنْ هُدَايَ بِهِ عَقْلُ

وَقُلْتُ لِرُشْدِي وَالتَّنْسِكِ وَالتَّقَى *** تَخَلُّوا، وَ مَا
بَيْنِي وَ بَيْنَ الهوى خَلُّوا
وَ فَرَّغْتُ قَلْبِي عَنْ وُجُودِي مُخْلِصاً *** لَعَلِّي فِي
شُغْلِي بِهَا مَعَهَا أَخْلُو
وَ مِنْ أَجْلِهَا أَسْعَى لِمَنْ بَيْنَنَا سَعَى *** وَ أَعْدُو، وَ
لَا أَعْدُو لِمَنْ دَابَّهُ العَدْلُ
فَارْتَاخُ لِلوَاشِينَ بَيْنِي وَ بَيْنَهَا *** لِتَعْلَمَ مَا أَلْقَى وَ
مَا عِنْدَهَا جَهْلُ
وَ أَصْبُو إِلَى العُدَالِ حُبًّا لِذِكْرِهَا *** كَأَنَّهُمْ مَا بَيْنَنَا
فِي الهوى رُسُلُ
فَإِنْ حَدَّثُوا عَنْهَا فَكُلِّي مَسَامِعُ *** وَ كُلِّي أَنْ
حَدَّثْتَهُمْ، أَلْسُنُ تَتَلُو
تَخَالَفَتِ الأَقْوَالُ فِينَا تَبَايُنًا *** بِرَجْمِ ظُنُونِ بَيْنَنَا مَا
لَهَا أَضَلُّ
فَسَنَعَ قَوْمٌ بِالوِصَالِ وَ لَمْ تَصِلْ *** وَ أَرْجَفَ
بِالسَّلْوَانِ قَوْمٌ وَ لَمْ أَسْلُ

فَمَا صَدَقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لِشِقْوَتِي *** وَقَدْ كَذَبْتُ

عَنِّي الْأَرَاخِيفُ وَالنَّقْلُ

وَكَيْفَ أَرْجِي وَصَلَ مَنْ لَوْ تَصَوَّرْتُ *** جِمَاهَا

الْمُنَى وَهَمًّا، لَضَاقَتْ بِهِ السُّبُلُ

وَأَنْ وَعَدْتُ لَمْ يَلْحَقِ الْفِعْلُ قَوْلَهَا *** وَأَنْ

أُوْعَدْتُ فَالْقَوْلُ يَسْبِقُهُ الْفِعْلُ

عِدِينِي بِوَصْلِ وَ امْطَلِي بِنَجَارِهِ *** فَعِنْدِي إِذَا

صَحَّ الْهُوَى حَسُنَ الْمَطْلُ

وَ حُرْمَةِ عَهْدٍ بَيْنَنَا عَنْهُ لَمْ أَحُلْ *** وَ عَقْدٍ بِأَيْدٍ بَيْنَنَا

مَا لَهُ حَلُّ

لَأَنْتِ عَلَى غَيْظِ النَّوَى وَ رِضَى الْهُوَى *** لَدَيَّ وَ

قَلْبِي سَاعَةً مِنْكَ مَا يَخْلُو

تُرَى مُقَلَّتِي يَوْمًا تَرَى مَنْ أَحَبَّهُمْ *** وَ يُعْتَبِنِي

دَهْرِي وَ يَجْتَمِعُ الشَّمْلُ

وَ مَا بَرِحُوا مَعْنَى أَرَاهُمْ مَعِي فَإِنْ *** نَأُوا صُورَةَ

فِي الذَّهْنِ قَامَ لَهُمْ شَكْلُ

فَهُمْ نُصِبُ عَيْنِي ظَاهِرًا حَيْثُمَا سَرَوْا *** وَ هُمْ فِي

فُؤَادِي بَاطِنًا أَيْنَمَا حَلُّوا

هُمْ أَبْدَاءٌ مِنِّي حُنُوءٌ وَ أَنْ جَفَوْا *** وَ لِي أَبْدَاءٌ مِثْلُ

إِلَيْهِمْ وَ أَنْ مَلُّوا^١

^١ «ديوان ابن الفارض المصري» ص ٣٨ إلى ٤٢، اللامية، الطبعة الاولى،

١٣٧٢ هـ. ق، دار العلم للجميع؛ و من طبعة سنة ١٣٨٢ هـ، دار صادر- دار

بيروت: ص ١٣٤ إلى ١٣٩؛ و في «شرح الديوان الكامل لابن الفارض»

تصنيف الشيخين: حسن البوريني و عبد الغني النابلسي، (من طبعة دار التراث

فتوى پیر مغان دارم و قولى است قدیم *** که
حرام است می آنجا که نه یارست ندیم^۱
چاک خواهم زدن این دلق ریائی چکنم *** روح
را صحبت ناجنس عذابی است الیم
تا مگر جرعه فشاند لب جانان بر من *** ساها
شد که منم بر در میخانه مقیم
مگرش خدمت دیرین من از یاد برفت *** ای
نسیم سحری یاد دهش عهد قدیم
بعد صد سال اگر بر سر خاکم گذری *** سر بر
آرد ز گلم رقص کنان عظم رمیم
دلبر از ما به صد امید ستد اول دل *** ظاهراً
عهد فراموش نکند خلق کریم

بیروت) ج ۲، ص ۱۰۸ إلى ۱۳۶، و لأجل التركيب الأدبيّ لهذه اللامية، أو للمعاني العرفانية الراقية التي تحملها، فقد جاء شرحها بشكل كامل و وافٍ.
^۱ يقول: «أن لدى فتوى من شيخ الحانة و قول قدیم له كذلك (مفادهما)، أن احتساء الخمره حرام إذا لم يكن الحبيب موجوداً يشاركك الشراب.

غنچه گو تنگدل از کار فرو بسته مباش *** کز

دم صبح مدد یابی و انفاس نسیم^۱

فکر بهبود خود ای دل ز دری دیگر کن *** درد

عاشق نشود به، به مداوای حکیم

گوهر معرفت اندوز که با خود ببری *** که

نصیب دگران است نصاب زر و سیم

دام سخت است مگر یار شود لطف خدا *** ور

نه آدم نبرد صرفه ز شیطان رجیم

^۱ يقول: «سامزق ثوب الرياء إرباً إرباً، إذ لا حيلة لي غير ذلك، لأنّ التحدّث إلى روح العاشق الطاهرة لا تتناسب و الرياء أو الخداع، لأنّ ذلك تعذيب مؤلمٌ للروح.

ليت شفّتي الحبيب تُريق على و لو جرعة، فإنّي مُقيم عند باب الحانة سنين طوَّالاً. هل نسيّ خدمتي له في السابق؟ يا نسيم السَّحَر! ذكَّره بالعهد القديم. (و قل له:) لو مررت على رفاقي بعد مضيّ مائة عام على موتي، فإنّ عظامي النخرة ستخرج من التراب و ترقص لك.

إن الذي شغف حُبّه قلبي كان يُمنيّنا بألف أمل و امنية للوصال، فليس حريّ بمن كان ذا حُلُق كَرِيم (و سجايا حميدة) أن ينس (أو يتناسي) العهود (التي قطعها لنا).

قل للبراعم أن لا تحزن و لا تكتئب لانغلاقها، لأنّه ستصلك من نسيم الصباح ما يُمدك بأسباب الحياة (و ستفتّحين بواسطة نسيم الربيع)».

حافظ ار سيم و زرت نيست چه شد شاکر باش

*** چه به از دولت لطف سخن و طبع سليم^۱

عشاق لقاء الله تعالى لا يخافون مما يصيبهم

و هنا يحكم العقل السليم بأن يكون القلب كله ملكاً لله، بغض النظر عن الطقوس و العادات و التقاليد التي تشغل الإنسان عن ربه بغيره؛ و أن يواصل الإنسان السير منفرداً في طريق الصدق، و لقاء ربه الودود و مرضاته، منفرداً، و لو وقف بوجهه جميع العالمين، و أن ينهج منهج

^۱ يقول: «أيها الفؤاد! إن كنت تبغي مداواة نفسك ففكر و ابحث عن وسيلة أخرى، فإن آلام الصب لا يشفيها دواء الحكيم. اكتنز لآلي العرفان و كشف الحقيقة حتى تتمكن من حملها معك (إلى العالم الآخر)، في حين أنه يتوجب على المرء إعطاء زكاة الذهب و الفضة إذا ما وصل حد النصاب.

إن الشرك و المصيدة (التي نصبها الشيطان لنا) مُحكمة و لا يمكننا الفرار منها إلا بلطف إلهي، و لو لا ذلك اللطف لما استطاع آدم (أبو البشر) من التغلب على الشيطان الرجيم.

يا حافظ! إن لم تكن غنياً و لم تكن تملك الذهب و الفضة فلا تأبه لذلك و كن شاكراً، فلا أفضل من كونك صاحب لسانٍ ذرب و طبع سليم و قريحة جيّدة». «ديوان الخواجة شمس الدين حافظ الشيرازي» ص ٤٩٩ و ٥٠٠، الغزلية رقم ٣٦٧، طبعة منشورات صفّي على شاه.

الرسول الكريم: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا

اللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} ١. و ينصت

لنداء الحق القائل: {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ} ٢.

و لا يكتفي بقدميه، بل زحفاً على صدره، وصولاً إلى
بارئه، و أن ينطق بكلّ جوارحه ملبياً ذلك النداء. و أن
يخرج من زمرة المرتدّين، و ينضوي تحت لواء {يُحِبُّهُمْ وَ
يُحِبُّونَهُ} ٣. و لا يخافون لومة لائم:

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ
لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ} ٣.

١ الآية ٢١، من السورة ٣٣: الأحزاب.

٢ آخر الآية ٩١، من السورة ٦: الأنعام.

٣ الآية ٥٤، من السورة ٥: المائدة.

و هكذا تظلل قصيدة الغزل التي نظمها حكيم شيراز
عن عالم الغيب تعزف نشيد الباري سبحانه ليظلّ صوته و
صداه على الدوام في أسمع اولي البصائر.

دست از طلب ندارم تا کام من برآید *** یا جان

رسد به جانان یا جان ز تن برآید

بگشای تربتم را بعد از وفات و بنگر *** کز آتش

دروغم دود از کفن برآید^۱

بنمای رخ که خلقی واله شوند و حیران ***

بگشای لب که فریاد از مرد و زن برآید

جان بر لب است و حسرت در دل که از لبانش

*** نگرفته هیچ کامی جان از بدن برآید

از حسرت دهانش آمد به تنگ جانم *** خود کام

تنگدستان کی زان دهن برآید

^۱ يقول: «لن أكفَّ عن البحث (عمّا أبحث) حتى أصل إلى مرادي و هدفي، و هو: إمّا أن أصل إلى حبيبي أو أهلك دون ذلك.

انبش قبري بعد وفاتي و انظر، إلى الدخان الصاعد من كفني بسبب النار التي تستعر في داخلي».

بر بوی آنکه در باغ یابد گلی چو رویت *** آید

نسیم و هر دم گرد چمن بر آید

گویند ذکر خیرش در خیل عشقبازان *** هر جا

که نام حافظ در انجمن بر آید^۱

^۱ يقول: «أظهرَ مُحْيَاكَ فَالْحَلَقُ كُلُّهُ مُتَيِّمٌ وَ حيران، وَ افْتَحَ ثَغْرَكَ حَتَّى تَصْعَدَ صرخات الرجال والنساء وتعالى أصواتهم. لقد ملّ بدني و ضاق قلبي بسبب الغمّ و الحسرة لعدم حصولي على قُبلة (من الحبيب).

متى سئِلِي الحبيب مطلبنا و يمنّ علينا برشفة من لَمِي شفّتيه؟
لقد هبّ النسيم و طاف بالمرج كلّ لحظة على أمل أن يصافح وردة جميلة كطلعتك؟

متى ذَكَرَ اسم حافظ في أيّ جمع للعشّاق، فَإِنَّهُ يُذَكَّرُ بالخير و الحسنی». ديوان «الخواجه شمس الدين حافظ الشيرازي» ص ۳۱۵ و ۳۱۶، الغزلية رقم ۲۳۳، طبعة منشورات صفّي على شاه، سنة ۱۳۷۶ شمسيّة، (۱۴۱۸ ق). يبدأ عجز البيت الأوّل في هذه المجموعة، بعبارة «يا تن رسد به جانان»، و لكن ركافة المعنى التي تُسبّبها هذه العبارة في هذه الحالة، جعلتنا نستعيض عنها بـ «يا جان رسد به جانان» التي وردت في بعض النسخ من «ديوان حافظ» و هي الأصحّ.

نقل السيّد هاشم البحرانيّ رواية لطيفة و ظريفة عن

يونس بن ظبيان، عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق

عليهما السلام حول منهج و سلوك اولي

الألباب، و كيفية محبتهم لله، و الأعمال التي يتقربون بها إلى الله فتوصلهم إلى لقاءه و معرفته، حتى يصل في نهاية الأمر إلى أن على كل من يروم الوصول إلى مقام الكمال، أن يسير على نهج الأئمة عليهم السلام حتى يتسنى له اجتياز كل العقبات و الطرق الصعبة و التخلص من حائل الشيطان و النفس الأمارة بالسوء، و بذلك يتم له الوصول إلى علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين. و قد ذكر روايات عدة في تفسير الآية الكريمة:

{يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين}.^١

منها هذه الرواية:

عن ابن بابويه، عن علي بن الحسين، عن أبي محمد هارون بن موسى، عن محمد بن همام، عن عبد الله بن

١ الآيات ٧١ إلى ٧٦، من السورة ٣٨: ص، وهي: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ • إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ • قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ • قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}.

جعفر الحميري، عن عمر بن علي العبدي، عن داود بن
كثير الرقي، عن يونس بن ظبيان أنه قال: دخلتُ على
الصادق عليه السلام، فقلتُ: يا بن رسول الله! إنني دخلتُ
على مالك و أصحابه فسمعتُ بعضهم يقول أن الله له
وجه كالوجه، و بعضهم يقول: له يدان، و احتجوا ذلك
قول الله تعالى: {بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرَتْ}. و بعضهم يقول: هو
كالشاب من أبناء الثلاثين! فما عندك في هذا يا بن رسول
الله؟

قال يونس: و كان متكئاً فاستوى جالساً و قال: اللهم

عَفْوِكَ! عَفْوِكَ!

ثم قال: يا يونس! مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا كَالْوُجُوهِ فَقَدْ

أَشْرَكَ. وَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ جَوَارِحَ كَجَوَارِحِ الْمَخْلُوقِينَ فَهُوَ

كَافِرٌ بِاللَّهِ، فَلَا تَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ! وَ لَا تَأْكُلُوا ذَبِيحَتَهُ! تَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْمُشْبِّهُونَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ. فَوَجْهَ اللَّهِ

أَنْبِيَآؤُهُ وَ أَوْلِيَآؤُهُ.

وَ قَوْلُهُ: { خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرُ }، فَالْيَدُ: الْقُدْرَةُ

[كَقَوْلِهِ:] { وَ أَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ } (لَأَنَّ «أَيْدٍ» مِنْ مَادَّةِ «يَدٍ».

اي أن الله تعالى قواكم بنصره). فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ،

أَوْ عَلَى شَيْءٍ، أَوْ تَحَوَّلَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، أَوْ يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ،

وَ لَا يَخْتَلِي^١ مِنْهُ مَكَانٌ، أَوْ يَشْغَلُ بِهِ شَيْءٌ؛ فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ

الْمَخْلُوقِينَ.

^١ هكذا وردت في النسخة المسجلة، و الصحيح هو أو يختلي، و جاء في «أقرب

الموارد»: الخلوة: المكان الذي يختلي فيه الرجل.

وَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. لَا يُقَاسُ بِالْمِقْيَاسِ، وَ لَا يُشَبَّهُ
بِالنَّاسِ. وَ لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَ لَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ. قَرِيبٌ
فِي بُعْدِهِ، بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ. ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

فَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ وَ أَحَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ.
وَ مَنْ أَحَبَّهُ بِغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ فَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ.
ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنْ أُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ عَمِلُوا
بِالْفِكْرَةِ حَتَّى وَرِثُوا مِنْهُ حُبَّ اللَّهِ. فَإِنَّ حُبَّ اللَّهِ إِذَا وَرِثْتَهُ
الْقُلُوبُ اسْتَضَاءَ بِهِ وَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ اللَّطْفُ،^١ فَإِذَا نَزَلَ مَنْزِلَةَ
اللُّطْفِ (وَ نَزَلَ عَلَيْهِ الْأَسْمُ الْإِلَهِيُّ اللَّطِيفُ) صَارَ مِنْ أَهْلِ
الْفَوَائِدِ.

فَإِذَا صَارَ مِنْ أَهْلِ الْفَوَائِدِ تَكَلَّمَ بِالْحِكْمَةِ. وَ إِذَا تَكَلَّمَ
بِالْحِكْمَةِ صَارَ صَاحِبَ فِطْنَةٍ.^٢ فَإِذَا نَزَلَ مَنْزِلَةَ الْفِطْنَةِ عَمِلَ

^١ جاء في «أقرب الموارد»: لَطَفَ بِهِ وَ - له (ن) لُطْفًا: رَفَقَ بِهِ، وَ - الله للعبد وَ
بالعبد: رَفَقَ بِهِ وَ أَوْصَلَ إِلَيْهِ مَا يُحِبُّ بِرَفْقٍ، وَ -: وَ عَصَمَهُ فَهُوَ لَطِيفٌ بِهِ، وَ
الاسم: اللطف، وَ - الشيء: دنا.

^٢ جاء في «أقرب الموارد»: الْفِطْنَةُ بِالْكَسْرِ: الْحِذْقُ وَ الْفَهْمُ، قَدْ تُفَسَّرُ بِجُودَةِ تَهَيُّؤِ
النَّفْسِ لِتَصَوُّرِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْغَيْرِ؛ وَ يُقَابَلُهَا الْغَبَاوَةُ. ج: فِطْنٌ.

بِهَا فِي الْقُدْرَةِ، فَإِذَا عَمِلَ بِهَا فِي الْقُدْرَةِ عَمِلَ فِي الْأَطْبَاقِ
السَّبْعَةِ.

فَإِذَا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ صَارَ يَتَقَلَّبُ فِي لُطْفٍ وَحِكْمَةٍ وَ
بَيَانٍ.

فَإِذَا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ جَعَلَ شَهْوَتَهُ وَ مَحَبَّتَهُ فِي خَالِقِهِ.
فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ نَزَلَ الْمَنْزِلَةَ الْكُبْرَى؛ فَعَايَنَ رَبَّهُ فِي قَلْبِهِ،
وَ وَرِثَ الْحِكْمَةَ بِغَيْرِ مَا وَرِثْتَهُ الْحُكَمَاءُ، وَ وَرِثَ الْعِلْمَ بِغَيْرِ
مَا وَرِثْتَهُ الْعُلَمَاءُ، وَ وَرِثَ الصَّدَقَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَهُ الصَّدِيقُونَ.
إِنَّ الْحُكَمَاءَ وَرِثُوا الْحِكْمَةَ بِالصَّمْتِ. وَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ
وَ رِثُوا الْعِلْمَ بِالطَّلَبِ. وَ أَنَّ الصَّدِيقِينَ وَرِثُوا الصَّدَقَ
بِالْحُشُوعِ وَ طُولِ الْعِبَادَةِ.

فَمَنْ أَخَذَهُ بِهَذِهِ السَّيْرَةِ إِمَّا أَنْ يَسْفَلَ وَ إِمَّا أَنْ يُرْفَعَ. وَ
أَكْثَرُهُمُ الَّذِي يَسْفَلُ وَ لَا يُرْفَعُ إِذَا لَمْ يُرْعَ حَقَّ اللَّهِ وَ لَمْ يَعْمَلْ
بِمَا أَمَرَهُ بِهِ.

فَهَذِهِ صِفَةٌ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، وَ لَمْ يُحِبَّهُ حَقَّ
مَحَبَّتِهِ.

(يا يونس!) فَلَا يُغَرِّكَ صَلَاتُهُمْ وَ صِيَامُهُمْ وَ

رَوَايَاتُهُمْ وَ عُلُومُهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ حَمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ.^١

الحجج الإلهية منحصرة في الأئمة الاثني عشر

ثم قال الإمام: يَا يُونُسُ! إِذَا أَرَدْتَ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ

فَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَإِنَّا وَرَثَاهُ، وَ أوتينا شرح الحكمة و

فَصَلَ الْخِطَابِ.

^١ مقتبس من الآيتين ٥٠ و ٥١، من السورة ٧٤: المدثر: {كَأَنَّهُمْ حَمْرٌ

مُسْتَنْفِرَةٌ • فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}.

يقول يونس: قلتُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ!

وَ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَرِثَ كَمَا وَرِثْتُمْ مِنْ عَلِيٍّ

وَ فَاطِمَةَ؟!

قال عليه السلام: مَا وَرِثَهُ إِلَّا الْأَيْمَةُ الْاِثْنَا عَشَرَ!

يقول يونس: قلت يا بن رسول الله سمّمهم لي!

قال عليه السلام: أَوْلَهُمْ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ، وَ بَعْدَهُ

الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ، وَ بَعْدَهُ عَلِيٌّ بِنَ الْحُسَيْنِ، وَ بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ

عَلِيٍّ، وَ بَعْدَهُ أَنَا، وَ بَعْدِي مُوسَى وَ لَدِي، وَ بَعْدَ مُوسَى عَلِيٌّ

ابْنُهُ، وَ بَعْدَ عَلِيٍّ مُحَمَّدٌ، وَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ، وَ بَعْدَ عَلِيٍّ الْحَسَنُ،

وَ بَعْدَ الْحَسَنِ الْحُجَّةُ؛ اصْطَفَانَا اللَّهُ وَ طَهَّرَنَا، وَ آتَانَا مَا لَمْ

يُوتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ.

قال يونس ثمّ قلتُ له: يا بن رسول الله! دخل عليك

ابن عبد الله بن مسعود و سألك ما سألت فأجبتّه بغير ما

أجبتني به.

قال: يَا يُونُسُ! كُلُّ امْرِئٍ مَا يَحْتَمِلُهُ! وَ لِكُلِّ وَقْتٍ

حَدِيثُهُ! وَ إِنَّكَ لِأَهْلٌ لِمَا سَأَلْتَهُ! فَكُتِمَهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ! ^١

رواية «مصباح الشريعة»: وَأَنَّ الْمُوقِنِينَ لَعَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ

يروى العلامة المجلسي رحمه الله في «بحار الأنوار»

عن «مصباح الشريعة»:

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الإِخْلَاصُ يَجْمَعُ

حَوَاصِلَ ^٢ الأَعْمَالِ.

^١ «البرهان في تفسير القرآن» ج ٢، ص ٩٣٠، الطبعة الحجرية، سنة ١٣٠٢ هـ؛ وقد روي هذه الرواية شيخنا الأقدم علي بن محمد الخزاز القمي الرازي مع اختلاف طفيف في الألفاظ و بنفس السند دون واسطة ابن بابويه بل عن علي بن الحسين (أبيه) مباشرة، في كتاب «كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر» ص ٢٥٥ إلى ٢٥٩، طبعة انتشارات بيدار، سنة ١٤٠١ هـ.

^٢ جاء في «أقرب الموارد»: الحاصل من كل شيء: ما بقي و ثبت و ذهب ما سواه، يكون من الحساب و الأعمال و نحوها. و حاصل الشيء: بقيته؛ ج: حواصل. الحاصل أيضاً: ما خلص من الفضة من حجارة المعدن، و يقال للذي يُخْلِصُهُ: مُحْصِلٌ.

و جاء في النسخة المصححة و المطبوعة للشيخ المصطفوي (مركز نشر كتاب- طهران) سنة ١٣٧٩ هـ، ص ٥٢ و ٥٣، باب ٧٦: يَجْمَعُ فَوَاضِلَ الأَعْمَالِ.

و في نسخة الملا عبد الرزاق الجيلاني الشارح لـ «لمصباح الشريعة» الذي صححه السيد جلال الدين المحدث الارموي و طبعته (انتشارات دانشگاه طهران) سنة ١٣٤٤ هـ ج ٢، ص ١٣٦: فَوَاضِلٌ.

وَ هُوَ مَعْنَى مِفْتَاحِهِ الْقَبُولُ، وَ تَوَقُّعُهَا الرِّضَا.

فَمَنْ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَ رَضِيَ عَنْهُ فَهُوَ الْمُخْلِصُ وَ أَنْ قَلَّ

عَمَلُهُ. وَ مَنْ لَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمُخْلِصٍ وَ أَنْ كَثُرَ

عَمَلُهُ؛ اعْتِبَارًا بِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ إِبْلِيسَ. (إِذْ تُقَبَّلُ عَمَلُ

أَدَمَ مَعَ قَلَّتِهِ، وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ عَمَلُ إِبْلِيسَ مَعَ كَثْرَتِهِ).

وَ عَلَامَةُ الْقَبُولِ وَ جُودُ الْأَسْتِقَامَةِ بِبَدَلِ كُلِّ الْمُحَابِّ،

مَعَ إِصَابَةِ عِلْمٍ^١ كُلِّ حَرَكَةٍ وَ سُكُونٍ.

فَالْمُخْلِصُ ذَائِبٌ رُوحُهُ، بِأَذَلِّ مُهْجَتِهِ فِي تَقْوِيمِ مَا بِهِ

الْعِلْمُ وَ الْأَعْمَالُ وَ الْعَامِلُ وَ الْمَعْمُولُ بِالْعَمَلِ. لِأَنَّهُ إِذَا

أَدْرَكَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدْرَكَ الْكُلَّ. وَ إِذَا فَاتَهُ ذَلِكَ فَاتَهُ الْكُلُّ. وَ

هُوَ تَصْفِيَّةٌ مَعَانِي التَّنْزِيهِ فِي التَّوْحِيدِ^٢.

^١ لا وجود لكلمة علم في «المستدرک».

^٢ في نسخة «البحار» و «مصباح الشريعة» لحجة الإسلام المصطفوي كذا: في

تقويم ما به العلم و الأعمال، و العامل و المعمول بالعمل. و أمّا في نسخة «شرح

المصباح» للملا عبد الرزاق الجيلاني، و تصحيح الارموي، ج ٢، ص ١٣٧،

فقد وردت العبارة الآنفة كذا: في تقويم ما به العلم و الأعمال و العامل و

المعمول و العمل.

و لهذا نقلنا العبارات التي تلت العبارة المذكورة هنا عن نسخة الملا عبد

الرزاق الجيلاني.

كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: هَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلَّا الْعَابِدُونَ؛ وَ هَلَكَ
الْعَابِدُونَ إِلَّا الْعَالِمُونَ؛ وَ هَلَكَ الْعَالِمُونَ إِلَّا الصَّادِقُونَ؛
وَ هَلَكَ الصَّادِقُونَ إِلَّا

المُخْلِصُونَ؛ وَ هَلَكَ الْمُخْلِصُونَ إِلَّا الْمُتَّقُونَ؛ وَ
هَلَكَ الْمُتَّقُونَ إِلَّا الْمُوقِنُونَ؛ وَ أَنْ الْمُوقِنِينَ لَعَلَى خَطَرٍ
عَظِيمٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ
حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ».

وَ أَدْنَى حَدِّ الْإِخْلَاصِ بَدَلُ الْعَبْدِ طَاقَتَهُ، ثُمَّ لَا يَجْعَلُ
لِعَمَلِهِ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا فَيُوجِبُ بِهِ عَلَى رَبِّهِ مُكَافَأَةً بِعَمَلِهِ.
لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَوْ طَالَبَهُ بِوَفَاءِ حَقِّ الْعُبُودِيَّةِ لَعَجَزَ.

وَ أَدْنَى مَقَامِ الْمُخْلِصِ فِي الدُّنْيَا السَّلَامَةُ مِنْ جَمِيعِ
الْآثَامِ، وَ فِي الْآخِرَةِ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَ الْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ^١.

^١ «بحار الأنوار» ج ٧٠، ص ٢٤٥، طبعة الدار الإسلامية؛ و في طبعة الكمباني
القديمة: ج ١٥، من القسم الثاني، ص ٨٦، باب الإخلاص و معنى قُربهِ تَعَالَى؛
و في «مستدرک الوسائل» ج ١، ص ١٠، الطبعة الحجرية، مقدّمة العبادات، باب
وجوب الإخلاص في العبادة و النية، من «مصباح الشريعة»؛ و كتاب «أسرار
الصلاة» للشهيد الثاني، ص ١٢٥، الطبعة الحجرية، طهران سنة ١٣١٢، ضمن
بيان أسرار النية من «مصباح الشريعة»؛ و «مصباح الشريعة» ص ٥٢ و ٥٣،
الباب ٧٦، من طبعة مركز نشر كتاب، بتصحيح و تعليق حجّة الإسلام و
المسلمين الحاجّ الشيخ حسن المصطفويّ.

و قد أضاف المَلّا عبد الرزّاق الجيلانيّ هنا شرحاً و هذه ترجمته: «و نسب الإتيان
إلى الموت لا إلى المخاطب بسبب مرارة الموت و أن الموت ليس ممّا يمكن

نعم رأينا في رواية اولي الألباب أن الإمام عليه السلام
صرّح بمعاينة الله و مشاهدته في القلب (فَعَايَنَ رَبَّهُ فِي
قَلْبِهِ)، وهذه إنَّما تكون بجهاد النفس و الروح التي شرحها
الإمام قبل هذا و أكد أن نتيجة ذلك و ثمرته هو الورود
في المنزلة الكبرى و لقاء ربّ العزّة.

و قد لاحظنا في هذه الرواية الأخيرة عن «مصباح
الشريعة» أن النجاة إنَّما تكون بالإخلاص في العمل،

للإنسان أن يصله فيرضى به، إذن ففي قصّة الموت نرى وصول الموت إليه لا
وصوله هو إلى الموت. أو هو إشارة إلى عِظَمِ منزلة الموت باعتبار الأهوال التي
تسبقه و تخلفه. اي أنّه بسبب كون الموت مخيفاً و مهولاً فإنّ وصول العبد
الضعيف إليه مُتَعَسِّرٌ أو قل مُتَعَذِّرٌ، فإذا وقع (الموت) فإنّ ذلك مُتَصَوِّرٌ من قِبَلِ
الموت لا من قِبَلِ العبد؛ [كما نُقِلَ] عن الخواجة جمال الدين محمود الشيرازيّ و
الذي كان من جملة تلاميذ الملا جلال الدوانيّ أنّه قال لأستاذه يوماً: يا شيخنا!
هل سيأتي علينا يوم يمكن لنا أن نصل فيه إلى الفضيلة و بالجملة نرتقي فيه
درجات العِلْمِ فنكون في عداد الفضلاء؟! فقال استاذُه: لن تصلوا إلى الفضل
أبداً، لكنّ الفضل نفسه سيصلكم! اي أن الفضيلة و العِلْمِ سينزلان تدريجياً و
يصلان إليكم.

و يفسّر الصوفيّة اليقين بمرتبة الوصول إلى الحقّ. اي أن مَنْ وصل الحقّ عن
طريق الرياضات و المجاهدات و هجر المتعلّقات البدنيّة و رفض الغواشي
الهيوليّة سقطت عنه العبادات و رُفِعَ عنه التكليف؛ و هذا ممّا لا معنى له على
الإطلاق؛ إذ أنّه لو كان الوصول إلى أعلى مراتب الرياضة و أقصى درجاتها ينتج
عنه سقوط التكليف لكان سقوطها أو جب للأنبياء و الأوصياء».

مؤكّدة أن البذل في سبيل المحبوب بشكل صحيح و
أصيل مع العلم بصواب كلّ حركة و سكونة تؤدّي، و صهر
الروح و بذل المهجة و النفس في سبيل الله، و اعتبار ذلك
ميزاناً و معياراً لقبول الأعمال و الأفعال.

قوة العشق الحقيقي هي وحدها التي تفتح سبيل الوصول إلى الله

إن الطريق الأقوم و السبيل الأرشد، هما ما سار فيه
الأنبياء و النخبة من الأولياء. و هو جدّ خطير و دقيق، إنّه
عشق لله، الحيّ ذي الجلال و الواحد القهار. و ما أخطره
و ما أعظمه، و ما أكثر ما يحمل من معاني الشوق و الحبّ،
حتى غدا خلاصة أعمال الكائنات و رجح على عبادة
الثقلين.

إنّها قوّة الحبّ التي تزيل الموانع و تدكّ الحصون و
تعين على اجتياز العقبات و السير في غمرة الظلمة، و تعبر
بالمراء بحار الحسرة و صحاري

الحيرة، و عوالم التيه و الضلال، و لو لا ذلك ما استطاعت جميع قوى الدنيا أن تخطو بالإنسان شبراً إلى الأمام بدون إرادة الله. أن الحبّ حلّال المشاكل و مفتاح سرّ النجاح.

ای رُخت چون خلد و لعلت سلسبیل ***

سلسبیلت کرده جان و دل سبیل

سبز پوشان خطت بر گرد لب *** همچو مورانند

گرد سلسبیل

ناوك چشم تو در هر گوشه‌ای *** همچو من

افتاده دارد صد قلیل

یا رب این آتش که بر جان من است *** سرد کن

ز انسان که کردی بر خلیل

من نمی‌یابم مجال ای دوستان *** گرچه دارد او

جمالی بس جمیل^۱

^۱ يقول: «یا مَنْ وجهه كجَنَّة الخُلد و شفتاه (تنبغان) ماءً سلسبیلًا، لقد أباح لك سلسبیلك العذب أرواح العاشقین و قلوبهم.

إن الشَّعْرَ الأخضر اللون الذي يعلو شفتك العُليا كأنه نَمْلٌ مُصْطَفٌّ أمام عین السلسبیل (الذي هو فَمُك).

پای ما لنگ است و منزل بس دراز *** دست ما

کوتاه و خرما بر نخیل

شاه عالم را بقا و عزّ و ناز *** باد و هر چیزی که

باشد زین قبیل^۱

حافظ از سر پنجه عشق نگار *** همچو مور افتاده

شد در پای پیل^۲

إن سهام عينيك قد أطاحت بالمئات من القتلى من أمثالي في كل زاوية و ركن.
إلهي! أطفئ النار المستعرة في داخلي و اجعلها برداً و سلاماً كما جعلتها كذلك
على (إبراهيم) خليلك.

إنّه لا سبيل و لا إذن لي (للوصل إلى جمال حبيبي و حسنه)، بالرغم من أن جماله
و حسنه لا يضاهيهما شيء^۱.

^۱ و جاء في التعليقة أن البيت التالي هو من ضمن الغزلية أعلاه كذلك:

عقل در حسنت نمي يابد بدل

طبع در لطفتم نمي بيند بديل يقول: «لم يرَ (أو لم يشهد) العقل حُسْنَكَ نظيراً، و
لم يجد (أو ما وجد) الطبعُ بديلاً أو مثلاً للطفِكَ».

^۲ يقول: «أن رجلايَ عرجاوان و المقام جدّ بعيد، و يدايَ قصيرتان في حين أن
البَلَح عالٍ (لا يمكن الوصول إليه).

فليعش سلطان العالم و ليُدْم بقاؤه و عزّه و دلاله، و كلّ ما يمتُّ له بصلة أو
يختصّ به.

لقد صار حافظ كنملة موطوءة بأقدام الفيل، و ذلك لجبروت العشق و قدرته
عليه و هيمنته لقواه».

ديوان «الخواجه شمس الدين حافظ الشيرازي» ص ۱۶، الغزلية رقم ۳۰۸.

روي العلامة المجلسي رحمه الله عن كتاب «الخرائج

و الجرائح» للقطب الراوندي رحمه الله عن الإمام أبي

جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام أنه قال:

مَرَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَرْبَلَاءَ فَقَالَ: لَمَّا مَرَّ بِهِ أَصْحَابُهُ

وَ قَدْ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بَيْكِي وَ يَقُولُ:

هَذَا مُنَاخُ رِكَابِهِمْ، وَ هَذَا مُلْقَى رِحَالِهِمْ، هَا هُنَا مُرَاقُ

دِمَائِهِمْ؛ طُوبَى

لِكَ مِنْ تُرْبَةٍ عَلَيْهَا تُرَاقُ دِمَاءُ الْأَحِبَّةِ!

وَ قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَرَجَ عَلَى يَسِيرٍ بِالنَّاسِ،
حَتَّى إِذَا كَانَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى مِائِينَ أَوْ مِئَلٍ، تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
حَتَّى طَافَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ: الْمِقْدَفَانِ. فَقَالَ: قُتِلَ فِيهَا مِائَتَا
نَبِيِّ وَ مِائَتَا سَبْطٍ كُلُّهُمْ شُهَدَاءٌ.

وَ مَنَاخُ رِكَابٍ وَ مَصَارِعُ عُشَاقٍ شُهَدَاءَ. لَا يَسْبِقُهُمْ
مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ؛ وَ لَا يَلْحَقُهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ.^١

رواية ابن عباس في كربلاء عند الحركة باتجاه صفين

روى العالم الكبير و المحقق العظيم المرحوم الحاج
الشيخ جعفر الشوشترى عن مجاهد، عن ابن عباس أنه
قال:

كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام عند ما خرج إلى
صفين، فلما وصل إلى نينوى على شطّ الفرات، ناداني بأعلى
صوته و قال: يَا بْنَ عَبَّاسٍ! أَتَعْرِفُ هَذَا الْمَوْضِعَ؟!

^١ «بحار الأنوار» طبعة الكمباني: ج ٩، ص ٥٨٠؛ و طبعة آخوندي: ج ٤١، ص ٢٩٥، الرواية رقم ١٨، و ذكر المرحوم الشيخ جعفر الشوشترى القسم الأول من الرواية في كتاب «خصائص الحسين» عليه السلام، ص ١١٥ و ١١٦، الطبعة الحجرية.

أجبتة: كلا يا أمير المؤمنين، لا أعرفه.

قال عليه السلام: **لَوْ عَرَفْتَهُ كَمَعْرِفَتِي، لَمْ تَكُنْ تُجْوزُهُ**

حتى تَبْكِي كَبُكَاي!

يقول ابن عباس: فبكى عليه السلام حتى اخضلت

لحيته الشريفة و جرت دموعه على صدره. و بكينا نحن

أيضاً معه، و كان يقول:

أَوْهَ! أَوْهَ! مَالِي وَ لَالِ أَبِي سُفْيَانَ؟! مَالِي وَ لَالِ حَرْبِ

حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَ أَوْلِيَاءِ الْكُفْرِ؟! يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! فَقَدْ لَقِيَ

أَبُوكَ مِثْلَ الَّذِي تَلَقَى مِنْهُمْ!

ثم طلب ماءً ليتوضأ، و صلى قدراً، و لما فرغ من
صلاته، أخذته غفوة لساعة فلما أفاق نادى: يا بن عباس!
فأجبهته: لبيك.

قال عليه السلام: أَلَا أَحَدَّثُكَ بِمَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي آتِئاً
عِنْدَ رَقَدَتِي؟! فقلت: قد رقدت عينك، أبشر يا أمير
المؤمنين، إنها رؤيا خير!

فقال عليه السلام: كَأَنِّي بِرِجَالٍ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ؛ وَ
مَعَهُمْ أَعْلَامٌ بِيضٌ، وَ قَدْ تَقَلَّدُوا سُيُوفَهُمْ وَ هِيَ بِيضٌ
تَلْمَعُ، وَ قَدْ خَطُّوا حَوْلَ هَذِهِ الْأَرْضِ خَطَّةً.

ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ هَذَا النَّخِيلَ قَدْ ضَرَبَتْ بِأَغْصَانِهَا
الْأَرْضَ، تَضْطَرِبُ بِدَمٍ عَبِيْطٍ. وَ كَأَنِّي بِالْحُسَيْنِ سَخَلْتِي وَ
فَرَحِي وَ مُضْغَتِي وَ مُحْيِي، قَدْ غَرَّقَ فِيهِ يَسْتَعِيْثُ فِيهِ فَلَا
يُغَاثُ.

وَ كَأَنَّ الرَّجَالَ الْبِيضَ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادُونَهُ وَ
يَقُولُونَ: صَبْرًا آلَ الرَّسُولِ! فَإِنَّكُمْ تُقْتَلُونَ عَلَى أَيْدِي شِرَارِ
النَّاسِ وَ هَذِهِ الْجَنَّةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مُشْتَاقَةٌ. ثُمَّ يَعُزُّونِي

وَيَقُولُونَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! أَبَشِرْ فَقَدْ أَقَرَّ اللَّهُ بِه عَيْنَكَ يَوْمَ
يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ!

ثُمَّ انْتَبَهَتْ هَكَذَا! وَ الَّذِي نَفْسٌ عَلَى بِيَدِهِ، لَقَدْ حَدَّثَنِي
الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ: أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي
خُرُوجِي إِلَى أَهْلِ الْبَغْيِ عَلَيْنَا!

وَ هَذِهِ أَرْضُ كَرْبٍ وَ بَلَا، يُدْفَنُ فِيهَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ
السلام وَ سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ وُلْدِي وَ وُلْدِ فَاطِمَةَ. وَ إِنَّهَا
لَفِي السَّمَاوَاتِ مَعْرُوفَةٌ تُذَكَّرُ أَرْضُ كَرْبٍ وَ بَلَا كَمَا تُذَكَّرُ
بُقْعَةُ الْحَرَمَيْنِ وَ بُقْعَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - إلى آخره.^١

وَ أَيْضاً يروي آية الله الشوشترى أعلى الله مقامه: أَنَّهُ
لَمَّا سَارَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ حَضَرَ جَمَاعَةً مِنْ
الْجَنِّ عِنْدَهُ، وَ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنُوحُ وَ يَقْرَأُ الْمَرَاثِي فِي
حِينَ كَانُوا يَسْتَمْعُونَ لَهُ. وَ تَفْصِيلُ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ
مَوَاقِبَ الْجَنِّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا: يَا
سَيِّدَنَا! نَحْنُ شِيعَتُكَ وَ أَنْصَارُكَ، فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ وَ مَا تَشَاءُ!

^١ «خصائص الحسين» ص ١١٢ و ١١٣، الطبعة الحجرية، سنة ١٣٠٣ هـ.

وَلَوْ أَمَرْتَنَا بِقَتْلِ كُلِّ عَدُوِّ لَكَ وَ أَنْتَ بِمَكَانِكَ، لَكَفَيْنَاكَ
ذَلِكَ!

فَجَزَاهُمْ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا وَقَالَ لَهُمْ: **أَوْ مَا
قَرَأْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَ عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ:**

{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي
بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ}؟^١

و يقول الله سبحانه: {لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ
إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}.^٢

وَ إِذَا أَقَمْتُ بِمَكَانِي فَبِمَاذَا يُبْتَلَى هَذَا الْخَلْقُ الْمَتَعُوسُ^٣
وَ بِمَاذَا يُجْتَبَرُونَ؟! وَ مَنْ ذَا يَكُونُ سَاكِنَ حُفْرَتِي بِكَرْبَلَا؟ وَ
قَدْ اخْتَارَهَا اللَّهُ يَوْمَ دَحَى الْأَرْضِ وَ جَعَلَهُ مَعْقَلًا لِشِيعَتِنَا،
وَ يَكُونُ لَهُمْ أَمَانًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ!

^١ صدر الآية ٧٨، من السورة ٤: النساء.

^٢ مقطع من الآية ١٥٤، من السورة ٣: آل عمران.

^٣ جاء في «أقرب الموارد»: نَعِسَ (ل) نَعْسًا: لغةٌ فهو نَعِسٌ مثل نَعِبٍ. وَ تَعَدَّى
هذه بالحركة وَ بالهمزة فيقال: تَعَسَهُ اللَّهُ وَ أتعَسَهُ. وَ منه: هو منحوسٌ متعوسٌ،
نَعْسًا له، أي ألزمه الله هلاكًا، وَ هو مفعول مطلقٌ عامله محذوفٌ.

وَ لَكِنْ تَحْضُرُونَ يَوْمَ السَّبْتِ وَ هُوَ يَوْمٌ عَاشُورَا الَّذِي
فِي آخِرِهِ اقْتُلُ، وَ لَا يَبْقَى بَعْدِي مَطْلُوبٌ مِنْ أَهْلِي! وَ تُسَبِّى
أَخَوَاتِي وَ أَهْلُ بَيْتِي، وَ يُسَارُّ بِرَأْسِي إِلَى يَزِيدَ لَعْنَهُ اللَّهُ!

فَقَالَتْ جَمَاعَةُ الْجَنِّ: يَا حَبِيبَ اللَّهِ وَ ابْنَ حَبِيبِ اللَّهِ، لَوْ
لَمْ تَكُن طَاعَتِكَ مَفْرُوضَةً وَ لَمْ تَجْزِ مَخَالَفَتِكَ، لَجَعَلْنَا أَعْدَاءَكَ
هَبَاءً مَنثورًا قَبْلَ أَنْ

تصل أيديهم إليك.

فقال الإمام الحسين صلوات الله عليه لهم:

نحن و الله أقدر عليهم منكم، و لكن {لِيَهْلِكَ مَنْ

هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَ يَجِي مَنْ حَى عَنْ بَيْنَةٍ} ^١.

لقاء عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و عبد الله بن الزبير مع الحسين

و ذكر أيضاً آية الله الشوشترى كلاماً حول مراثي

سيد الشهداء عليه السلام، و استماع عبد الله بن عمر

أحياناً، و عبد الله بن الزبير أحياناً أخرى لها خارج مكة، و

هذا الكلام هو:

إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ، جَاءَ عَبْدُ

اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَأَشَارَا عَلَيْهِ

بِالْإِمْسَاكِ.

فَقَالَ لَهُمَا: أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَدْ أَمَرَنِي

بِأَمْرٍ وَ أَنَا مَاضٍ فِيهِ.

قَالَ: فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ هُوَ يَقُولُ: وَ أَحْسِينَاهُ!

^١ «خصائص الحسين» ص ١١٩ و ١٢٠؛ و هذه الآية هي مقطع من الآية ٤٢،

من السورة ٨: الأنفال.

عبد الله بن عمر ينصح الإمام الحسين عليه السلام بالصلح!

ثُمَّ جَاءَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَ أَشَارَ إِلَيْهِ بِصُلْحِ أَهْلِ
الضَّلَالِ، وَ حَذَّرَهُ مِنَ الْقَتْلِ وَ الْقِتَالِ.

فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ هَوَانِ
الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ رَأَسَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا أَهْدَى إِلَى بَغْيِي
مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ؟!

أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَقْتُلُونَ بَيْنَ طُلُوعِ
الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ سَبْعِينَ نَبِيًّا ثُمَّ يَجْلِسُونَ فِي
أَسْوَاقِهِمْ يَبِيعُونَ وَ يَشْتَرُونَ كَأَنَّ لَمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا! فَلَمْ
يُعَجِّلِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَلَّ أَخَذَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ عَزِيزِ ذِي
الْإِقْتَامِ؟!

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! وَلَا تَدْعُ نَصْرَتِي!

إِلَّا أَنْ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ سَلَامٌ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ،
وَ الْإِمَامَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ، رُوحِي وَ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ لَهُ
الْفِدَاءُ، لَمْ يَنْشُرْ عَنْ رَأْيِهِ وَ تَصْمِيمِهِ، وَ سَارَ قُدُمًا بِأَمْرِ اللَّهِ
الْجَلِيلِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَ طَبَقًا لِنَظَرِيَّتِهِ وَ إِرَادَتِهِ فِي
تَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ بِالتَّمَامِ وَ الْكَمَالِ، بَلْ إِنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا وَ
مَغْتَبَطًا فِي قِيَامِهِ وَ ثَوْرَتِهِ ضِدَّ ظَلَمِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَ يَزِيدٍ، وَ أَمْسَى
مَثَلًا يُقْتَدَى بِهِ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ، مَلْخَصًا حَقَّهُ وَ حَقَّ أَخِيهِ وَ
أُمَّهُ وَ جَدَّهُ فِي أَرْجُوذَتِهِ الْمَدْوِيَّةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ:

كَفَرَ الْقَوْمُ وَ قَدُمًا رَغِبُوا *** عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ

الثَّقَلَيْنِ

وَ أَثَبْتُ أَنَّ الْوَصَايَةَ تَخْتَصُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَ أَنَّ إِمَامَتَهُ هِيَ الْإِمَامَةُ الْحَقَّةُ، وَ أَنَّ حُكُومَةَ يَزِيدٍ
الْمَبْنِيَّةَ عَلَى أُسَاسِ حُكُومَةِ مَعَاوِيَةَ، وَ عَلَى أُسَاسِ حُكُومَةِ
عُثْمَانَ وَ عَلَى أُسَاسِ حُكُومَةِ عُمَرَ، وَ عَلَى أُسَاسِ حُكُومَةِ
أَبِي بَكْرٍ، إِنَّهَا هِيَ بَاطِلَةٌ وَ جَوْفَاءٌ.

و اعلموا يا خلق الله! و اسمعوا أيها الناس! أن أبي
وصي المصطفى، وهو المرتضى خليفة الحق. و أنا الإمام
الناطق بالحق، و من له حق مسك زمام الامور الظاهريّة و
الباطنيّة و الهاديّة و المعنويّة و سوق البشر نحو الهداية و
سبل السلام. و قيادة الناس إلى شاطئ الأمن و الأمان، و
يخلفني ابني علي من بعدي و هكذا حتى آخر الأئمة
المعصومين عليهم السلام، الطاهر الطهر المتمسك
بحبل الله، المعرض عن هوي النفس الأمّارة بالسوء، و
حبّ الجاه، و المستند إلى عزّة صاحب العزّة، الإمام
المهديّ محمّد بن الحسن العسكريّ عجل الله تعالى فرجه
الشريف.

افّ، افّ لهذه الدنيا و حكومتها! افّ افّ لعالم
الشهوات و التوابع!

أرمني الوصول إلى مأمّنه، أن ربّي و محبوبي الأزليّ،
الذي بذلت له مهجتي مذ كنت في حجر النبيّ قال لي: يا
حسين! عليك بهذا الأمر هذا طريقك و هذا مسلكك.

فالنفس عزيزة على الدليل الذي يقبل بظلم دول
الطغيان سابقاً و حاضراً.

لكنني أنا الحسين، و نفسي عزيزة إذا بذلتها لتحرير بني
البشر من براثن هؤلاء الوحوش، عندئذٍ، سأستطعم لذة
الفداء حينما أرى نفسي و أهل بيتي على هذا الطريق. هذا
هو منهجي فمن أراد أن يكون حسيناً فليسلك هذا
المنهج.

لقاء الفرزدق مع سيد الشهداء عليه السلام في طريق الكوفة

و ذكر آية الله الشيخ الشوشترى قدس الله تربته أن
السيد رحمه الله قال:

وصل خبر استشهاد مسلم بن عقيل إلى الإمام في
منزل «زُبالة» إلا أن الإمام واصل سيره حتى التقى
بالفرزدق فسلم عليه و قال:

يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ! كَيْفَ تَرَكَنُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَ هُمْ
الَّذِينَ قَتَلُوا ابْنَ

عَمَّكَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَ شِيعَتَهُ؟!

يقول الراوي: فَاسْتَعَبَرَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَاكِياً. ثُمَّ

قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مُسْلِمًا! فَلَقَدْ صَارَ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَ رِيحَانِهِ وَ

تَحِيَّتِهِ وَ رِضْوَانِهِ!

أَمَا إِنَّهُ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَ بَقِيَ مَا عَلَيْنَا. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً *** فَدَارُ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى

وَ أَنْبَلُ

وَ أَنْ تَكُنِ الأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ انْشِئَتْ *** فَقَتْلُ امْرِئٍ

بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ

وَ أَنْ تَكُنِ الأَرْزَاقُ قِسْمًا مُقَدَّرًا *** فَقِلَّةُ حِرْصِ

المَرْءِ لِلرِّزْقِ أَجْمَلُ

وَ أَنْ تَكُنِ الأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَا *** فَمَا بَالُ مَتْرُوكِ

بِهِ الحُرُّ يَبْخَلُ^١

و قد أنشد الميرزا سروش أبياتاً كذلك في كيفية

استشهاد و تضحية الإمام، نقتطف منها ما يلي:

^١ «خصائص الحسين» ص ٢٣.

گفت شاه‌ها من فرشته نصرتم *** کآمه سوی تو

از آن حضرتم

آدم از ذروهی گردون به سطح *** که منم نصر

مِنَ اللّٰهِ وَ فَتَحْ^۱

حکم کن ای أحمد معراج عشق *** تا نه کوفه باز

ماند نه دمشق

حکم کن ای أحمد روز اُحد *** تا بلا باریم بر این

قوم لُدّ

گفت: رو رو عاجزان را یار باش *** با که‌ای

هان؟ خفته‌ای، بیدار باش

ای فرشته رو بخوان لَوْلَاكَ را *** تا بدانی صانع

افلاك را

ای فرشته هر چه آید بر سرم *** هیچ آوخ از

درون برناورم

^۱ یقول: «قال: یا سلطان (الدنیا و الآخرة)! أنا المَلَاک الذی جاء من لَدن الحقّ
تعالی لِنُصرتک.

قد جئتک من أعلى عِلّینِ إلی هنا، فأنا نصرٌ من اللّٰه و الفتح.»

ای فرشته حال عشق اندر تو نیست *** تا بدانی

عاشقان را حال چیست

تو همی بینی سپاه اندر سپاه *** من نمی بینم کسی

غیر از إله^۱

تو همی بینی سنان اندر سنان *** من همی بینم

جنان اندر جنان

من دوئیّت از میان برداشتم *** من علم بر بام

عشق افراشتم

کیستم من آفتاب شرق عشق *** غرق عشقم

غرق عشقم غرق عشق

^۱ یقول: «فاحکم (بها تشاء) یا أحمد معراج الحبّ و العشق، حتی لا ابقي (علي هذه الأرض) لا الكوفة و لا دمشق.

احکم یا أحمد یوم احد، حتی نُمطر البلاء علی هؤلاء القوم المعتدین.

قال: ما ذا تقول؟ هل أنت نائم أم صاح؟ اذهب، و أعین الضعفاء.

یا أيها المَلّاک! اذهب و ردّد عبارة (لولاک)، حتی تَعْلَمَ مَنْ هو صانع الأفلاک.

أيها المَلّاک! أن ما ينزل بي من بلاء، لن يجعلني أصرخُ أو أقول: آه.

أيها المَلّاک! (يبدو) أن العشق لَمّا يدخلک بعد، لتَعْلَمَ حال العاشقين و حالتهم.

أنت ترى جيشاً و عساكر لا غير، في حين لا أرى إلا الإله»

کی درنگد کی شکید ای کیا *** عاشقی که

گفت معشوقش بیا

عون آن خواهد که جان خواهد به تن *** نه کسی

که عاشق جان باختن

عاشقانه رفته اندر مهلکه *** حکم لَا تُلْقُوا به

ایشان نامده

حکم لَا تُلْقُوا بود مر خام را *** نه که خاصان

بلاآشام را^۱

مرغ آبی را بود آتش ممت *** مرغ آتش را حیات

اندر حیات

^۱ يقول: «أنت لا ترى إلا تصادم الأستة و تراحم الرماح، و أنا لا أرى إلا جناناً و جنّات.

لقد أزلتُ عن نفسي الثنويّة، و رفعتُ الراية فوق صرح العشق.
أنا لستُ إلا شروق العشق (لا غروبه)، فأنا غارقٌ في بحر العشق و يمه و لججه.
يا عظيم! أيّ عاشقٍ تَوَقَّفَ و انتظر، و قال لمعشوقه: تعال؟
إن الذي يُريد بقاء روحه داخل جسده هو الذي يحتاج إلى العون، و ليس العاشق
الذي يشتهي إزهاق روحه (في سبيل معشوقه).

ذلك العاشق الذي رمى بنفسه وسط المهالك، فأطلق عليه لَقَبَ (لا تُلْقُوا).
فإنّ حُكْمَ (لا تُلْقُوا) يخصّ الأغرار (الذين لا خبرة لهم في الحبّ)، و لا يسري
حُكْمه على الخواصّ المشتاقين إلى احتساء البلايا».

از سمندر دور ران احراق را *** هین مترسان از

بلا عشاق را

شوق سر دادن ربوده خوابشان *** انتظار صبح

صبر و تابشان^۱

... حتی آخر القصيدة.^۲

^۱ يقول: «أن النار لتُحرقُ و تُميتُ الطائر المائي و حسب، لكنّ حياة طائر النار مرهونة بالنار (و بقاءه منوط ببقائها).

أبعد النار عن السمندر، و لا تُرهب العشاق أو تُخوفهم بالبلايا. إن هوى الفداء و التضحية قد أفلق منام هؤلاء العشاق، و ضاقت صدورهم لفرط انتظارهم إلى الصباح».

^۲ لقد دوّن الحقيّر هذه القصيدة في كراسي الخطّي السادس ص ۵۹ و ۶۰ نقلًا عن بعض المخطوطات. و قد أورد المرحوم الحاجّ ملاّ على آقا واعظ التبريزيّ الخيابانيّ ثلاثة أبيات من شعر الميرزا سروش في كتاب «وقائع الأيام» المجلّد الخاصّ بمحرّم الحرام، من طبعة الدار الإسلاميّة، سنة ۱۳۵۴، ص ۴۵۳، و هي:

تیر بگذشت از گلوی نازکش *** شاه را بشکافت بازو، ناوکش

بازوی دست خدا را کرد چاک *** گفت هم جنّ و ملک: تبتّ یداک

رفت از وی هوش درآغوش باب باب *** شه ز دیده ریخت بر رویش

گلاب

يقول: «اخترق السهم نحره الرقيق، فقطع شريانه (أي شريان الطفل الرضيع) و أصاب سهّم آخر ذراعه (أي ذراع الأب).

لقد مزّق ذراع الله (بعمله هذا)، فصاحت الملائكة و الجنّ معاً: تبتّ یداک!

و في هذا الصدد، قام الشاعر الجودي الخراساني بنظم

قصيدة صورت هذه الواقعة أروع تصوير حين قال:

باشد به سوی کعبه‌ی مقصود روی ما *** کآنجا

برآید آنچه بود آرزوی ما

ما را خیال يك سر مو نیست غیر دوست *** بر

حال ما گواه بود مو به موی ما

تخمی فشانده‌ایم و خوریم آنگهش ثمر *** کآبش

دهد زمانه ز خون گلوی ما

گشتیم ما مسافر کوئی که اندر او *** جز تیر و

تیغ و نی نکند جستجوی ما

کردیم رو به سوی دیاری که هر قدم *** باشد

بلا مقابل، اجل رو به روی ما

ففقَدَ الطُّفْلُ وِعيه في حجر أبيه، فأراق سلطان الدنيا و الآخرة من دموعه التي تُشبه ماء الورد على حَيَّاه».

و قال المرحوم المؤلف نفسه في تعليقه: و هذا مذكور في بعض تواريخ العامة و في «مصائب المعصومين».

در کعبه‌ای مقام نهائیم کز صفا *** مسجود کائنات

بود خاک کوی ما^۱

بر قبله‌ای برای نماز آوریم روی *** کآنجا بود ز

خون سر ما وضوی ما^۲

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَ عَلَى الْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ
يَدَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ. يَا لَيْتَنَا كُنَّا مَعَكَ فَفُوزَ فَوْزاً
عَظِيماً. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ حَرَمِهِ وَ الذَّايِنِ عَنْهُ، وَ
اجْعَلْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِإِذْرَاكِ ثَارِهِ مَعَ الْإِمَامِ الْمُتَنْظِرِ حُجَّةِ
بْنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ.

^۱ يقول: «فلتبق أنظارنا متوجهة نحو كعبة المقصود، حتى تتحقق امنياتنا هناك.

فلا شيء يشغل بالنا قيد شعرة إلا الحبيب، و على هذا تشهد كل شعرة فينا.

لقد بذرنا حباً سنأكل ثمره بعد حين، إذ سيرويه الزمان من دماء حناجرنا.

و قد سرنا في طريق تلاحقنا فيه الرماح و السهام و النبال.

و توجهنا إلى ديار لا نرى أمامنا إليه إلا أجلنا في كل حين.

إننا نقيم في مقام أضحى نراه مسجداً لكل الكائنات».

^۲ يقول: «و إننا نتوجه في صلاتنا إلى قبله ليس فيها من ماء لوضوئنا إلا دم

رؤوسنا».

«وقائع الأيام» المجلد الخاص بمحرّم الحرام، ص ۷۸.

لله الحمد و له المنّة على إتمام الجزء الأوّل من «معرفة
الله» من القسم الأوّل من سلسلة (العلوم و المعارف
الإسلامية) بتوفيق من الربّ الودود و رعاية الإمام الحّيّ
الرفوف صاحب العصر أرواحنا فداه، و ذلك في صبيحة
يوم الخميس الثامن و العشرين من شهر جمادى الاولى سنة
١٤١٥ هـ- في مدينة مشهد المقدّسة، على ثاويها و
ساكنها و شاهدها آلاف التّحية و الإكرام و الصّلاة و
السّلام، بتحرير الحقير الفقير السيّد محمّد الحسين الحسينيّ
الطهرانيّ غفر الله له و لوالديه.

بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ
مِنَ الْآنَ إِلَىٰ قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.